١٢٣

١٠٤

من متملكات الاخ الاعز
علاوة الاكرمين والاخ الذي اذا حضر لم يعد
واذا غاب لم يفتقد اقل عباد الله
محمد رضا ابن فتح الله السبزواري

٧٢

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الامام العلامة ركن الشيعة والشريعة الامام بناب الحديد لطفه الله تعالى به محمد واله الطيبين الطاهرين

ألا انجد المجد ابيض نجوب ... و لكنه جم المهالك مرهوب

النجد الطريق المرتفع والمجد الكرم والماجد قال ابن السكيت والمجد والشرف يكونان من قبل الاباء تقول رجل ماجد اذا كان له اباء متقدمون في الشرف والمجد والحسب والكرم يكونان في الرجل وان لم يكن لاباءه شرف وشرح باقي البيت في الوجهة التي تلي هذه الاعراب الا حرف موضوع للتنبيه وافتتاح الكلام ولذلك لزم كسر ان لقوله تعالى الا ان اولياء الله والا يقع هذه الاثبات والنفي والامر والنهي والاستفهام والنداء والتمني كالاية المذكورة ولقول الشاعر الا ان عينا لم تجد يوم ... والامر كقول الشاعر الا عللاني قبل نوح النوائح والنهي كقول الشاعر الا لا تذكري الحمام ان ذكره والاستفهام كقول الشاعر الا اصطبار لسلمى ام لها جلد ... والنداء كقول الشاعر الا يا زيد والضحاك سيرا فقد جاوزتما حد الطريق والتمني كقول الشاعر الا ليت شعري هل ابيتن ليلة وذكرك ... اي لا ...

فكم خر فيها للبوارق مبرق ... وكم ذل فيها للقنا السلب مسلوب

خر سقط والبوارق جمع بارقة وهي هنا السيوف والمبرق المتهدد يقال منه رعد وبرق وارعد وابرق والسلب الذي له عدة يحاج سليب فعل بمعنى مفعول والمسلوب الذي سلب ماله واهله

وكم اصعب الصعب الحروب بارضها ... وكم تاب فيها خاضعا وهو ...

كم في هذه المواضع خبرية للتكثير ... حمله على ضدها وهي رب لانها للتقليل وهم يحملون على الضد كالنظير واصعب انقاد تقول كم انقاد بارض خيبر من الرجال من كان امرؤ صعب له ينقاد وكم من كان ملكا حاكما ... وهو مملوك يحكم عليه

وكم عاصب بالعصب هامة فتى ... فلم ينسل الا وهو بالعضب معصوب

والعصب ايضا البرد اليماني والعضب السيف القاطع والمعصوب المتعمم في اول النهار ... معتصبا بعمامته وفي اخره يقتلوه فتصار السيف له كالعصابة المحيطة بالراس لقد كان فيها عبرة لمجرب وان شاب ... بالمقام مجرب

وما انس لا انس الذين تقدما ... وفرهما والفر قد علما حوب

ما شرطية وانس مجزوم بها ولا انس مجزوم لانه جواب الشرط والذين يريد بهما ابو بكر وعمر ويقول ... منها انس من الاشياء لا انس ما هرب ... هذين الرجلين مع علمهما ان بالفرار حوب اي اثم

وللراية العظمى وقد ذهبا بها ... ملابس ذل فوقها وجلابيب

الراية العظمى راية رسول الله صلى الله عليه وسلم والجلابيب جمع جلباب وهو الملحفة اي قد اشتمل الذل على هذه الراية بحمل هذين الرجلين لها كما تشمل الملابس والجلابيب

على الانسان ومن طريق احمد بن حنبل رواه ولده عنه يوم خيبر اخذ اللواء ابو بكر
فانصرف ولم يفتح عليه ثم اخذه من الغد عمر فرجع ولم يفتح عليه وقد اصاب
الناس يومئذ شدة وجهد فقال رسول الله صلعم اني دافع
اللواء الى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ولا يرجع حتى يفتح
الله عليه فلما اصبح رسول الله صلعم دعا باللواء والناس على مصافهم فدعا
عليا عم وهو ارمد فتفل في عينه ودفع اليه اللواء ومضى ففتحت له قال
الشارح وانزل الله تعالى قوله لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا
فهذا الفتح المذكور في هذه الاية وهو فتح خيبر في الصحيح من النقل ويدل بعموم
لفظ المؤمنين في الاية تختص بامير المؤمنين عم والرضا من الله متعين
عليه وكيف لا والسكينة انما انزلت عليه والفتح انما كان على يديه

يشلهما من الموسي شمردل طويل نجاد السيف اجيد يعبوب

يشلهما يطردهما والموسي هنا قومه والشمردل القوي السريع ويريد به مرحب
بن مينا والعرب تمتدح بطول النجاد ويريدون به طول القامة لان طول
النجاد دليل على طول القامة والطول محمود فيه عندهم والاجيد الطويل
الجيد وهو العنق واليعبوب الفرس الكثير الجري والبحر
الشديد الجري والطلق موجب هذه اللفظة لشدته وشدة حركته

يمج منونا سيفه وسنانه ويلهب نارا غمده والانابيب

يمج يقذف والمنون الموت والضمير في قوله سيفه وسنانه

والمحبوب الواضع الحدس يقال لحيت اللحم عن العظم الحينه لحيا
اذا قشرته وكذا العود وغيره والجم الكثير والموهوب المخوف شعرا

هو العسل الماذي لشتاره امرء بنجاة والطراف الرماح اليعاسيب

الماذي الابيض يشتاره يستخرجه من موضعه ضرب العسل واشترتها
اذا اجتنيتها واليعاسيب جمع يعسوب وهو ذكر النحل ومنه
قيل للسيد يعسوب وامرء اصل فاسكنوا الميم على غير قياس اذ خلوا
عليه الف وصل وجعلوا حركة الراء تبعا لحركة الهمزة وحملهم على ذلك خرق
الهمزة منه تحقيقا والقاء حركتها على الراء كما يقال كم وكم ونبجو
لجعل حركة الراء تبعا على انها تكون حرف الاعراب والمعنى ان سكر المجد
وصوحه كثير لله هو الا صعب المسالك وذلك لان المطالب العالية لا تنال
الا باقتحام الحروب ومكايدة الخطوب ولما استعار لفظ العسل للمجد المتقدم
لفظ اليعاسيب للرماح التي هي دون المجد واليعاسيب دون العسل

ذق الموت ان شئت العلى واطعم الردا فنيل الاماني بالمنية مكسوب

العلى والعلا الرفعة والشرف اذا قصرت ضممت واذا مددت فتحت
والردا الهلاك يقال منه ردى يردي والاماني بتشديد
الياء جمع منية وهو ما يتمنى الانسان وخفف الياء ضرورة والمنية الموت
لانها مقدرة والمنا القدر شعرا

خطا الحتف يا من خطاه الحتف انما يبوح ضرام الحطب والحطب مشبوب

دعزه

الحتف الموت وجمعه حتوف ويقال مات فلان حتف انفه اذا مات
من غير قتل ولا ضرب ولا يبنى منه فعل وخططت الخسف حالة الذل يقال
سامه خسفاً بفتح الخاء وضمها اي اولاه ذلاً والخسف ايضا النقصان ويجوز
ان يكون الخطب الامر الشديد وقال الجوهري الخطب سبب الامر
وضرامه سرعة التهابه والمشبوب الملتهب واستعار لفظ الخوض للدخول
في غمار الخطب وقال لا يهولنك ما تراه من اضطرام نيران الملاحم
وادم بتمسك في اهوالها فانها انما تسكن وهي على تلك الحالة مع ثبوت
النفس ورباطة الجاش شعر

الم تر الاجبال في فتح خيبر ففيها لذي اللب الملب اعاجيب

الهمزة للتقرير واللب العقل والملب المقيم الثابت يقال الب بالمكان
ولب اذا اقام ومنه لبيك قال الفراء اي انا مقيم على طاعتك ونصب
على المصدر كقولك حمداً لله وشكراً وتثنى على معنى التاكيد اي الباباً بعد
الباب واقامة بعد اقامة والاعاجيب جمع الاعجوبة ولما ذكر ان المجد
لا يدرك الا بتجشم الاخطار وتقحم المهالك خرج الى مدح امير المؤمنين صلوات
الله عليه واله بذكر هذا الفتح الجليل الذي لا يحصل الا بمثل ما قرن ذو الفضل
ولهذا حيث قعد غيره في ذلك اليوم وحال لم تقربا فاز به علي ولا ادركه

وفوز علي بالعلى فوز هابه فكل الى كل مضاف ومنسوب

ذا النجاة والظفر بالخير وهو ايضا في عن هذا الموضع الهلاك والاضافة الضم الى العلى عبارة

حصون حصان الفرج حيث تبرجت وما كل ممتط الجزارة مركوب

حصون خبر مبتدا اي هي حصون والحصان المرأة العفيفة الفرج الموضع المخوف
كالثغر والتبرج اظهار المرأة محاسنها وهو ضد الحصانة والممتط الممتد والجزارة الاطراف
العنق لان الجزار ياخذها في جزارته كالعمالة للعامل والجزور من الابل يقع على
الذكر والانثى واستعار وصف المرأة للحصون في الحصانة والتبرج ويريد
ان هذه الحصون مع اتساعها ممتنعة على من يروم فتحها وضرب لها المثل
فقال ليس كل ما يمشي على اربع يمكن ركوبه فان السبع ممتد القوائم وهو
ممتنع ولقد اجاد في هذا البيت اذ لم يسبق الى معناه شعر

تناط عليها للنجوم قلائد ومستفل عنها للغمام اهاضيب

تناط تعلق يقال ناط الشيء ينوطه اذا علقه والنياط عرق علق به القلب
من الوتين فاذا انقطع مات صاحبه وهو النيط ايضا والاهاضيب جمع هضاب
والهضاب جمع هضب وهي حلبات القطر والهضبة المطر وجمعها هضب مثل
بدرة وبدر ويقول ان هذه الحصون لارتفاعها قد لاصقت السماء وكان
النجوم عليها قلائد وكان حلبات القطر مستفلة عنها وذلك على سبيل المبالغة وهو

تنقل الجبار فيها ولم تصب ذراها على نجم الجبال الكتائب

تنقل تنصب والجبار السحاب سميت بذلك لانها من الكواكب كالغارب وقد اسند
الاساكيب اليها وتلك لا غيث لها انما الغيث للسحاب وسماها سحاب لا ينفعه
وصب المطر والصوب نزول الغيث والصيب السحاب ذو الصوب والرذاذ

صيب الطرد كم الجبال المرتفعة منها جمع اسم واضاف الصفة الى الموصوف اهتماما
بها والتقدير بالجبال الشم والاهاكيب جمع اسكوب وهو الكثير المنصب يقول
ان هذه الحصون اعلى من الجبال فتروى المطر فيصل اليها قبل ان يصل صبيبه الى
روس الجبال والصعيق انما يكون قبل القوي في الاغلب وقد جعل الحصون
في البيت الاول ارفع من الغيث وفي هذا جعلها ارفع منها وليس ذلك
غلط لان من عادة الشعرا انهم يجمعون في الصفات بين الارتفاع
والانخفاض وليس قصدهم الترتيب في التقديم والتاخير بل الجمع بين الصفات

فكم كسرت جيشا لكسرى وقيصر … بدا قيصرا تلك القنان الشناخب

كسرى بفتح الكاف وكسرها ملك الفرس وقيصر ملك الروم والقنان جمع قنة
وهي اعلا الجبل والشناخيب جمع شنخوب وشنخوبة وهي روس الجبال
شبه الحصون بالجبال والمعنى ظاهر شعر

وكم من عميد بات وهو عميدها … ومن حرب اضحى بها وهو حرب

عميد القوم وعميدهم سيدهم والعميد الثاني الذي في هذه هو المريض وهو العميد
الضم والحرب بكسر الراء الذي اشتد غيظه والمحروب المسلوب يقال
حرب الرجل ماله فهو محروب وحريب يقول كم من كريم سيد رام فتح هذه
الحصون فقهرته وامرضته وكم من شجاع قد اشتد غيظه حنقا وحمية فاضحى
مسلوب المال محكوما عليه بها وذلك لما فيها من المنعة والقوة شعر

وارعن هوار الزحوف رمى بها … فلم يغن عنها جره وتكتب

الارعن الجيش مشتق من الرعن وهو انف الجبل المتقدم ويجمع على رعون ورعان
وقيل الجيش الارعن وهو المضطرب لكثرة الهوار المضطرب يقال مار
الشي يمور مورا اذا تحرك وذهب وجاء والمور تقبل والاول والنزول
والمور الطريق هذا او بضم الميم الغبار يعني يضيع والمجر الجيش الكثير وجره ثقل
سيره يقال جيش جرار اي ثقيل السير والتكتيب تعبية الجيش كتيبة
يقال كم جيش صفته نزل لهذه الحصون فلم ينفع بها كثرة ولا ثبات بها طوله شعر

الكوب

ولا حام حوما للعدى ذلك الحمى … ولا لاب شوقا للمردى ذلك

حام الطاير وغيره حول الماء يحوم حوما وحومانا اي دار ولاب عطش واللوب
واللاب جمع لوبة ولابة وهي الحرة اي الارض التي بها حجارة سود والمعنى
الحما لم تضطرب حائما خوف العدى ولا عطشت ارضها لاغنائها الخالية
بل هي امنة ساكنة واصل الشوق حرقة النفس واتخاذها الخلي الشجي شعر

فللخطب منها والصروف صوارف … كما كان عنها للكواكب تنكيب

يقول للخطب عنها وصروف الزمان صوارف وهي حوادثه ونوائبه
صوارف عن الاستقامة كما كان عنها تنكيب اي عدول للكواكب وهي جمع ناكبة

اي عادلة

تقاصر عنها الحادثات فللردى … طرائق لا نحوها واساليب

تقاصر اصله تتقاصر فحذف احد التائين تخفيفا والاساليب جمع اسلوب
وهو الفن يقال اخذ في اساليب من القول اي فنون شعر

فلما اراد الله فض ختامها … وكل عزيز غالب الله مغلوب

لما اذا وليتها الماضي كانت ظرفا كهذا الموضع بمعنى حين وعاملها جوابه
الذي يقتضيه واذا وليتها المستقبل كانت حرف جزم وهي نفي قد فعل
وتكون بمعنى الا بمعنى قوله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ في قراءة
من شدد وكذا في قولهم نشدتك الله لما فعلت اي الا فعلت قال الخليل
هذا الكلام محمول على النفي وذكر ابو علي ان تقدير قولهم الا فعلت
اي الا فعلك معناه الا ان تفعل فحذفت ان والنقض الكسر ونقض
ختامها كناية عن هدم بنائها وفتح من العها شعر

رماها بجيش يملأ الارض فوقه ... رواق من النقع الاكهب

الرواق في الاصل شقة بين يدي البيت واستعاره للنقع لاحاطته
بهذا الجيش وتظليله كما يظلل من تحته ورماها جواب لما قوله

يسدده هدي من الله واضح ... ويرشده نور من الله محجوب

الهدي الطريق الذي يهتدى به او فيه قال تعالى فلا نهدي
اي سمت يهتدى به وسيرة متبعة وقوله نور محجوب يريد
معارف اهل الايمان المصونة في قلوبهم من عناية الله تعالى محجوبة عن الابصار

مغاني الردافيه فاصيد اشوس ... واجرد ذيال وجرداء سرحوب

المغاني المنازل والاصيد الملك قيل اصله البعير يكون برأسه داء
يرفعه وقيل سمي بذلك لكونه لا يلتفت يمينا ولا شمالا واصله
كل من به داء لا يتمكن من الالتفات لاجله والاشوس الذي ينظر بمؤخر

عينه

تكبرا وتخلطا والاجرد من الخيل الذي قل شعره وقصر وهو محمود والذيال
الطويل الذنب والمقاء تأنيث الامق وهو الفرس الطويل والمقق الطول
وفرس سرحوب اي طويلة يوصف به الاناث دون الذكور وقد وصف
حال الجيش فذكر الفرسان والسلاح والخيل ركوبها واكملها شعر

وفضاء زغف كالحباب قتيرها ... واسمر عسال وابيض مشخوب

الفضاء الدرع الحسنة والزغف جمع زغفة بسكون الغين وتحريكها في الواحد
والجمع وهي الدرع اللينة وقال الشيباني الزغفة الواسعة فعلى هذا
القول لا تناقض لكنه وصف الواحد بالجمع وعنده اراد الجيش والحباب
نفاخات الماء التي تعلوه والقتير رؤوس مسامير الدرع شبه رؤوس المسامير
بالفقاقيع التي على وجه الماء وهو تشبيه مصيب والاسمر العسال الرمح وسمي
عسالا لاهتزازه واضطرابه والعسلان سرعة المشي والابيض المخشوب السيف المصقول

نهار سيوف في دجى ليل عثير ... وابيض وضاح واسود غربيب

العثير غبار الحرب والغربيب الشديد السواد ولقد احسن في هذا البيت
واجاد وجمع بين حسن التشبيه وفصاحة اللفظ وقال ايضا شعر على

احيا الفوز منه زعيمه ... وقايده نسر المفازة والذيب

والزعيم سيد القوم ورئيسهم والمفازة واحدة المفاوز سميت بذلك لانها
مهلكة من فوز اذا هلك وقال الاصمعي سميت بذلك تفاؤلا بالسلامة
والفوز واراد بالنسر والذيب الجنسين منهما وجعله قايده لتحققه النصر

والصقور لهذه الجيوش فهو يتبعه ليأكل من لحوم القتلى

فصب عليها منه سوط بلية ... على كل مصبوب الاساءة مكلوب

السوط اسم العذاب وان لم يكن ثم ضرب سوط اي يجري على هذه الحصون من امثال الموت مبني عن عذاب مصبوب على الكل

فغادرها بعد الانيس وللصدى ... بها ترجيع بارحايها النحس وتطريب

الصدى ذكر البوم والمعنى فغادرها اي تركها خرابا لا يسمع بها الا صوت البوم الذي كانه

ينوح عليها نوح هرون يوشع ... ويذري عليها دمع يوسف يعقوب

الضمير في ينوح يعود الى الصدى ونوح مصدر مضاف الى المفعول وفاعله يوشع وكذا دمع مصدر ايضا مضاف الى المفعول وفاعله يعقوب والعامل فيه ما في يذري من معناه والمعنى ينوح الصدى على هذا الحصون نوحا مثل نوح يوشع على هرون ويدمع عليها دمعا مثل دمع يعقوب على يوسف وهي في الاصل صفتا مصدرين ويوشع بن نون بن افرايم بن يوسف بن يعقوب عم وهرون اخوه مات قبله

ويذري اي يلقي

كها من زماجير الرجال صواعق ... ومن صوب اذى الدماء شآبيب

الزماجير جمع زمجار وهي الصوت يقال لفلان زمجرة اذا كثر التصخيب والصياح شبه اصوات الرجال في الحروب بالصواعق التي تهلك كل ما يحي والصوب في الاصل نزول الغيث واستعار لفظ الاذى للموج ولفظه مستعار للمبالغة

وان شآبيب جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر

فالحوم

وتجده يعود الى مرحب وفي البيت مبالغة

احصنها ام حصن اخرج خامنت ... وذا انها ام ناعم الخد مخضوب

الحصن العدو والاخرج ذكر النعام الذي فيه بياض وسواد والخاصب الذي اكل الربيع فخضبت ساقاه او اصفرتا وناعم الخد مخضوب كناية عن المراة يقول اعدو هذين الرجلين حين طر ويجل مرحب ام عدوا ظليم فوكت ... وربلوب هما ام المراة تان في ضعفهما ورقة قلوبهما وهذه تهكم واستهزار

عذرتكما ان الحمام لمبغض ... وان بقاء النفس للنفس محبوب

عذرتكما عذر تلبس واستضعاف لان بغض الموت شيمة الا ذكار العجزة الضعفاء فاما اهل النجدة والنجا فيبادرون الى ذهاب الوثيق

ويكره طعم الموت والموت طالب ... فكيف يلذ الموت والموت مطلوب

هذا البيت ليس على عمومه بل مخصوص بهما وهو من قول بعض العرب وقد قيل لم لا تعتزوا فقال لانه والله اني لا اكره الموت وهو يأتيني اي سعي الربعدي

دعا فقصب العليا يملكها امرؤ ... بغير انامل الدنانة مغضوب

يريد وقصب سبق العليا فحذف المضاف لدلالة عليه وفي القصب وجهان احدهما ان يراد به مسافة السابق له فهما يقصب بالقصب فاطلق عليها لفظ القصب مجازا وان حرابهم كانوا يجعلون في غاية الحلبة قصبة فالسابق ياخذ تلك القصبة يكون شاهدا له بالسبق والمغضوب المعيوب قصبه اذا عابه فمغضوب صفة لامر وبغير متعلقة بمغضوب فالتقدير يملكها امر معيب بغير ذلك وفي ذلكان الوجه ان يكون وضع الكلام يملكها امر غير معصوب بفعل وفي ذلكان تحصيل بذكر التقرير

لامير المؤمنين والتعريض لغيره ووجه البيت انه عم كامل ليس فيه عيب الا ما ادعاه
من الدعابة وتلك لو ثبتت لكان مكارم اخلاقه وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان يمزح
ويقول اني لامزح ولا اقول الا حقا واول من نسب عليا عم كرم الله وجهه
الى الدعابة عمر بن الخطاب ثم انتشر ذلك في اقوال اعدائه كعمرو بن هند وعمرو بن
النابغة حتى قال عم عجبا لابن النابغة يزعم لاهل الشام ان في دعابة
واني امرؤ تلعابة اعافس واما رس لقد قال باطلا ونطق اثما عم
سهد عم الغبوقة وغدره وخبث في كلام له وكان ابن ابي الحديد نظر في هذا البيت الى
قول بعضهم ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

يرى ان طول الحرب والبؤس راحة وان دوام السلم والخفض يجلب

البؤس شدة الحاجة والسلام الصلح يكسر ويفتح ويذكر ويؤنث والخفض الراحة
والمدح في هذا البيت يتوجه باعتبارين الاول بالنظر الى حظوظ النفس
والتجرد لها والطراح الراحة كما تمدحت العرب بذلك في نقلها وتنزهها
والثاني بالنظر الى العبادة فان الجهاد اعظم العبادات لانه ذروة الاسلام
وبه قوت الدين فنفسه عم متعلقة بهذه العبادة الجليلة الموصلة
الى حضرة القدس ليس لها تطلع الى اعراض الدنيا ولذا يقابل بتجرده التعب
بجده اعظم راحتها واكمل سترها

فلله عينا من رآه مبادرا وللحرب كاس بالمنية يقطب

قوله فلله عينا تعجب ويقطب ممزوج واستعار لفظ الكاس للحرب ورشح
بكونه ممزوجا بالموت نظرا الى كراهة طعمه ومرارة مذاقه

جواد

جواد على ظهر الجواد واخشب تزلزل منه في النزال الاخاشب

الجواد الاول الكريم يريد به عليا عم والجواد الثاني السريع من الخيل الاخشب
الجبل الغليظ والملق لفظة امير المؤمنين عم لشدته وقوته باسه ولا خاشب
الجبال وعلا بخطه فعل ماض

وابيض مشطوب الفرند مقلد به ابيض ماضي العزيمة مشطوب

الابيض السيف والفرند جوهره قال الجوهري وابن فارس شطب
السيف طرائقه التي في متنه الواحدة شطبة وسيف مشطب ولم يقولا مشطوب
ولعل ابن ابي الحديد وقف عليه فاستعمله وجعل عليا عم كالسيف الذي
تقلد مجازا وفي جعله مشطوبا كلفة

احبك هل تحيا بموتك انني ارى الموت خطبا وهو عندك محبوب

احبك بكسر الجيم وفتحها حكاه الجوهري يعني قال ... اصمعي معناه الجد
شكل هذا ونصب على طرح الباء وقال ... ابو عمرو اجدا منك
هذا ونصب على المصدر

دماء الاعادي كالمدام وغاية الرماح ظلال والنصال كالاكاويب

الغابة الشجر الملتف والاكاويب جمع كوب وهو كوز لا عروة له
يقول ان الموت خطب عظيم وانت تقصده كان في الموت حياة لك واستعار
لفظة المدام للدم وجعل الظل ظل الرماح واستعار لفظ الاكاويب
للنصال تشبيها له في اقباله على سفك الدماء وابتهاجه بها دمه

التقى ماكر بانا نحفة به المسرات ودارت عليه الكاسات فهو
خذل الفواد حريص على الارشاد وهذه المدح على طريقة العرب والافامير
المومنين عليه السلام يرى الموت في الجهاد حياة حقيقية

تجلى لك الجبار في ملكوته وللحتف تصعيد اليك وتصويب

الملكوت الملك والواو والتاء زائدتان للمبالغة والتصعيد والعلو والتصويب
الانحطاط اي ظهر الله لك بالنصر وانت على هذه الحال الشديد سوا

وللشمس عين من علاك كليلة وللدهر قلب خافق منك مرعوب

فعاين ما لولا العيان وعلمه ولما ارتاب شكا انه فيك مكذوب

الضمير في قوله فعاين تعود الى الموصوف في قوله اول فلله عينا
من رآه اي فلله انسان من رآه على هذه الحال فعاين شيا لو سمع عن
انسان لكذب به اذ لا يكاد يصل مثل ذلك الا عن ملك جبروت
لانه تحقق ذلك بالمشاهدة والنقل وسمعت من بعض الناس ان الضمير تعود
الى الجبار مع لفظ الملكوت لا يتوجه ذلك لغير الله عز وجل سوا

وشاهد مرأى جل عن ان يحده من القول نظم في القوافي مكتوب

واصلت فيها مرهب القوم مقضبا جزارا به حبل الاماني مقضوب

اصلت اي اسل والمقضب السيف القاطع وكذا الجزار والمقضوب المقطوع
واستعار لفظ الحبل للاماني لامتداد المشترك بينهما والضمير فيها يعود

وقد عضت الارض العصار بخيله وضرج منها بالدماء الظنابيب

عضت امتلأت والعصار الواسعة والظنابيب جمع ظنبوب وهو العظم اليابس
في مقدم الساق والضمير في خيله يعود الى مرهب سوا

يعاقيب ركض في المريد سوابح يماثلها لولا الوكون اليعاقيب

الركض هو العدو وليس باصل لان اصل الركض لانه ضرب الفرس بالرجل
للعدو ويقال ركضت الفرس على ما لم يسم فاعله ثم كثر واستعمل في العدو
والمريد جمع ريد وهو الثاني من الخيل والسوابح جمع سابح وهو الفرس الجيد
العدو وسبح الفرس عدوه والوكون جمع وكن وهو عش الطاير في جبل او جدار
واليعاقيب جمع يعقوب وهو ذكر الحجل جعل الخيل لقوتها تعدو اعلى الجبال
فكانها تطير وجعلها اصلا في الطيران وجعل اليعاقيب فرعا عليها في المماثلة
لولا كون ذوات الحواصل اعشاش واما قوله يعاقيب ركض فهذه اليعاقيب
الاولى لا ادري ما قصد بها الا ان قال والفرس ذو عقب اذا كان يتبع جريا بجري
فان اراد هذه المعنى واستعار النقل فهو حسن ويجوز ان يكون جعل الخيل
هي اليعاقيب الحقيقية وتلك لولا الوكون لما ثلتها فعل هذا سوا

فاشربه كاس المنية احوس من الدم طعيم وللدم شريب

اشربه اي سقاه والضمير لمرهب والاحوس الذي لا يهوله شي والمراد به امير
المومنين عم وطعيم وشريب من ابنية المبالغة واستعار لفظها لعلي عم
لكثرة حصاده وسفكه الدماء في سبيل الله حتى كان للدم طعامه وشرابه

اذا رامه المقدار او رام عكسه فللقرب تبعيد وللبعد تقريب

الذين هم اقوام الحماة

الهاء في رامه تعود الى الاخرس وفي عكسه تعود الى المقدار اذ الطلب سؤال والطلب
هو عكس المقدار ولا يحكم فالمقرب منه المقدار بعيداً عنه والبعيد عكس المقدار القريب
منه والمعنى انه يحكم على المقدار ولا يحكم المقدار عليه والمقدار هو ما يقتضيه الله تعالى
وتقديره على العبد ولا اشكال في ذلك لانه انما يدفع قضاء الله تع بالاستغاثة
والتوكل عليه بافعال الخير التي هي سبب لدفع محذور القضاء كما جاء في دعاء
مولانا العسكري عم يا من يرد بالطف الصدقة والدعاء عن اعنان السماء ما حتم وابرم من سوء القضاء

فلم ار دهراً يقتل الدهر قبلها ولا عضب حتف وهو بالحتف مخضوب

والمخضوب المكسور واستعار لعلي عم وكذا لمرحب لفظي الدهر والعضب لكونهما
قاتلين قاطعين واخرج الكلام مخرج التعجب لان الدهر من شأنه ان يكون
قاتلاً له مقتول والسيف يكون قاطعاً لا مقطوعاً فعلي عم هو الدهر القاتل والسيف
القاطع الكاسر ومرحب هو المقتول والمكسور

حنانيك فاز العرب منك بسودد تقاصر عنه الفرس والروم والنوب

حنانيك اي رحمة بعد رحمة والحنان الرحمة ونصبه بنصب المصدر ولفظه لفظ التثنية
الحقيقية وفوز العرب بسودد امير المؤمنين عم لكونه من صميمهم فشرفوا به والعرب
اولاد سام وحام ويافث اباء الناس اجمعين فعلي عم افضل الناس كلهم

فما ماس موسى في رداء من العلى ولا آب ذكراً بعد ذكرك ايوب

ماس اذا تبختر في مشيته في هذه البيت تصريح بتفضيله عم على الانبياء وعلى
اولي العزم ومنهم قد ورد ذلك في اخبار كثيرة منها حديث الطاير المشوي

الذي كان اهدي للنبي عم وقيل كان محاله فقال اللهم ائتني باحب خلقك
اليك ياكل معي من هذا الطاير فاتاه علي عم فقوله احب خلقك عام في النبيين وغيرهم
واحب افعل التفضيل وزيادة المحبة من الله تعالى انما تكون بزيادة العمل الموجب
للافضلية وذلك حاصل لعلي عم عن جابر ابن عبد الله قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه واله يقول اول من يدخل الجنة من النبيين
والصديقين علي ابن ابي طالب عم رواه الخوارزمي ولا ريب ان التقدم
في دخول الجنة يستلزم الاولوية من الله تعالى لرجحان العمل المستلزم
الافضلية وعن الاعمش عن ابن وايل عن حذيفة قال قال رسول
الله صم واله يقول علي خير البشر من ابى فقد كفر وفي مسند احمد بن حنبل
عن مسروق عن عايشة انها سمعت رسول الله صم واله يقول في
الخوارج انهم شر الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة واقربهم عند الله
وسيلة ويكفي في ذلك كونه عم نفس رسول الله صم واله التي هي اشرف النفوس
بقوله عز وجل وانفسنا وانفسكم والاخبار في ذلك كثيرة ومعنى البيت ان موسى
عم لم يشتمل على مجد كاملة بل على كل المجد ولم يرجع ايوب بذكر نابه بل بذكرك
ابنه واتباعه اذ هجر وحصل موسى لسنا عنهما وايوب عليه السلام لصبره

اذى لك مجداً ليس يجلب حمده بمدح وكل الحمد بالمدح مجلوب

اراد ان مجده عم يستجلب له الحمد والمدح والثناء كما جرت العادة وذلك لكماله
في ذاته وعقائده مكمل غير الله ورسوله وايضا لعدم حبه للاطراء والمدح والتصور

ذلك عن جليل قدره وتشريف منزلته هذا مع ان الحمد مما يستحيل لغيره بالثنا
والمدح وذلك لا تطالم عن هذه الاوصاف العاليه وقد ذكر ابن ابي
الحديد في شرحه ان الحمد والمدح مترادفان لا فرق بينهما فعلى قوله
كيف يكون التي مستجلبا للعقبه ويمكن انه عليه السلام اراد بالحمد الشكر اي ليس
اي لا يودي حق مجده ونعمته بالثنا والمدح حسب العوايد

شعرا

وفضلا جليلا ان وفي فضل فاضل — تعاقب ادلاج عليه وتاويب

الادلاج سير الليل والتاويب سير النهار يريد ان فضله عم تعاقب عليه
الليل والنهار بالزيادة فلا ينقطع ولا ينقص اذا دني فضل غيره ونقص شعرا

لذاتك تقل ليس لرمسك ظهره — لوجهك تعظيم لحبك ترحيب

الذات عبارة عن الحقيقة في اصطلاح المتكلمين والتقديس التطهير
والرمس تراب القبر وهو في الاصل مصدره تقول رمست الميت
اذا دفنته والترحيب التعظيم وبه سمي شهر رجب

شعرا

تعليت افعال الربوبيه التي — عذرت بها من شك انك مربوب

تعليت اشبهت تقول تعيل فلان اذا اشبهه وذلك لانه عم
كان يخبر بالمغيبات وتظهر منه المعجزات وتظهر منه الافعال التي
ليست في مقدور غيره من البشر وقوله عذرت يريد المبالغه
والمجاز اذ العذر الحقيقي في هذه كفر والمعنى لو جاز ان يعذر لعذرته

وقد قيل في عيسى نظيرك مثله — فخسر لمن عادا علاك وتتبيب

التقبيب الخسران والهلاك تبه اهلكه وقوله في عيسى نظيرك جعله في هذا
البيت نظير عيسى وفي الذي قبله ان يكون فضل على موسى عليهما السلام وكلاهما
من اولي العزم فلا يترجح احد منهما على الاخر في كون ان امير المؤمنين عم
احضل منه ويمكن انه اراد انه نظيره في خاصة اقتضت ادعا الربوبيه فيه شعرا

عليك سلام الله يا خير من مشا — به بازل عبر المهامه حرعوب

ويا خير من يغشي لكشف ملمة — فيا من حرعوب وترفي صهوب

البازل الجمل المسن بزل البعير يبزل بزولا شق نابه فهو بازل ذكر
كان او انثى وذلك في السنة التاسعة والجمع بزل والبازل ايضا السن
التي طلعت وتعالى جمل عير اسعار رجيم العلي وركبها اذا كان قويا
على السير معنادا اعليه والحرعوب الطويل الخشن الخلق ويغشي يوتي
ويترف ينعم والعرضوب العفر

شعرا

ويا ثاويا حصبا مثواه جوهر — وعيل انه عود وتربته طيب

تكوس له عنر الملوك برفعة — وتكبر قدرا ان تكوس ابه الغيب

يحل ثراه ان يضرجه الدم — المراق ونعشاه السوار الغرابيب

الثاوي المقيم والمثوى موضع الاقامه والحصبا الحصى وكاس النعرادا

اي امّا وهو مرتب واستعارة ذلك للملائكة فيها كلفة والصغير والغُرّ
جمع اغرّ وهو الحسن والنيب جمع ناب وهو المسنة من النوق والدم المراق
السقب والشوى جمع شواة وهي جلدة الراس وكانت العرب تحمي الابل
علي قبور الاشراف منهم اكراماً لهم وكانوا اذا ارادوا نحر الناقة عرقبوها
قال الجوهري عرقوب الدابة في رجلها بمنزلة الركبة في يدها فتكوس
اي تمشي علي قوائم ثم تنحر وبهذا قال ان قبر امير المومنين عم يجل ان
ينحر الابل في ثراه فيلطخ بالدم ويلقي عليه النيب سواها بل اللّٰه بكيه علي التي تكوس به

وياعلة الدنيا ومن بدء خلقها … له وسيتلوا البدو في الحشر تعقب

علة الدنيا سبب وجودها فابتداؤها اصله والعود يوم القيمة من اجله انتهى وقد جاء
عن الائمة عليهم السلام سبحان من خلق الدنيا والاخرة وما سكن في الليل والنهار
لمحمد وال محمد وذكر في الاخبار كثيراً اورد الخوارزمي مرفوعاً الي النبي عم قال
لما نفخ اللّٰه الروح في ادم عم اوحي اليه وعزتي وجلالي لولا عبدان اريدان اخلقهما
في دار الدنيا ما خلقتك قال الهي فيكونان مني قال نعم يا ادم ارفع راسك وانظر
فرفع راسه فاذا مكتوب علي العرش لا اله الا اللّٰه محمد نبي الرحمة وعلي مقيم الحجة من
عرف حق علياً زكي وطاب ومن انكر حقه لعن وخاب وقد تكلم السيد المرتضى علم
الهدي في هذا المعني فقال اذا كان اللّٰه عالماً بان اللطف في تكليف الامم بنبوة
نبينا وامامة ائمتنا عليهم السلام علي وجه لا يقوم غيره مقامه فقد تعين مع التكليف
الامر فيمن ذكرناه عليهم السلام فصح القول علي ذكر بانه لولاهم عليهم السلام
ما خلق الشرع خلق ولا كلف واثاب ولا عاقب لانكونهم الطافاً في التكليف لا

ينوب غيرهم منابهم تقتضي ذلك شعر

ويا ذوا المعالي الغر والبعض محسب … دليلاً علي كل فما الكل محسب

المعالي جمع معلاة كما سبق والغر جمع غراء وهي الواضحة المشهورة ومحسب كاف يعني انا لما رأينا
بعض فضايله لا نحصي كثيرة اكتفينا بذلك البعض واستدللنا به علي ان الكل ابلغ واعظم ان يحصي
او يدخل في الحساب

ظننت مديحي في سواك هجاه … وخلت لحبي انه فيك تشبيب

يعني انه اذا امدح غيره علي عم مدحه تكلفاً بما ليس فيه فكانه هجاه لانه نسبة الي شيء لم يفعله وانا مدحي
لامير المومنين عم فهو موضوع عن محبته صادقة فكانه يصف معشوقة له كلما وصفها التذ خاطره
وسر قلبه والتشبيب وصف المراة المحبوبة

وقال له الرحمان ما قال يوسف … عداك بما قدمت لوم وتثريب

التثريب التغيير والمبالغة في اللوم وهو من
الثرب كالسقف من الشفقات يعني ان لسان الرحمة الالهية خاطبه بما خاطب به يوسف عم اخوته
حيث قال لهم لا تثريب عليكم اليوم يغفر اللّٰه لكم وذلك بسبب ما قدمه من ولاية اهل البيت عليهم السلام

وقال ايضا

جللت فلما دق في عينك الوري … نهضت الي ام القري ايد القري

جللت اي عظمت فلما صغر الوري عندك نهضت الي هذه الفتح الجليل وهو فتح مكة ويريد بالوري الشجعان
الذين نالهم في الوقايع وتكلم في اللام وامثالهم من الكفار وليس علي عمومه في المومنين ويحتمل العموم
ويريد بالصغر النقص عن كماله والضعف عن شجاعته وام كل شيء اصله ومكة ام القري لان الارض

رجت من تحتها حيث كانت بمجوعة مكان الكعبة ثم بسطها الترتع وايذ القرى اي قوي الظهر شعرًا

جلبت لها قب البطون وانما :: تقود لها بالقود ام جواري

اي خيلا قب البطون والقب جمع اقب وقبا وهي الضوامر والقود جمع اقود وقوداء وهو الطويل الظهر والعنق

والجوكر الداهية وام جوكر اعظم الدواهي شعرًا

وسقت اليها كل اسوق

ولو بدت :: له مغفر ظنته بالرمل جوذري

الاسوق الطويل عظم الساق والمغفر اليعفور وهو الخشف للظبية والجوذر ولد الذات وضمها ولد البقرة الوحشية واليعفور ولد البقرة ايضًا الذي سمعته من الشيخ في معنى

هذا البيت ان هذا الفرس لو بدت له البقرة الوحشية بالرمل لادركها بالعدو حتى تظنه والدها

لا صقًا بها ملاجئًا اليها وخص الرمل بالعدو لان العدو فيه اشق واصعب في جوران يكون

لشدة عدوه يصغر في عين المغفر حتى يظنه جوذرًا بالرمل لانه محله والباقي يعني في ذلك قريب

من قول ابن دريد في صفة الفرس سوًا تخاله وهو يرا محتجبا عن العيون ان اذا وانى

ردي الا ان هذا ابلغ لانه جعله يسبق الطرف فلا يدركه وذلك جعله صغيرًا

القرع

يبيت علي اعلا المصاد كانما :: يوم وكون النيح ملتمس

المصاد جبل وجمعه مصدان ويوم يقصد والنيح جمع نيحًا وهي السحاب سميت بذلك لليين

جناحها والنيح اللين وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله تزوجوا الابكار فانهن افتح لبني ارحامًا اي الين

والقري الضيافة يصف الفرس بالشرع وانه ترتقي اعلا الجبل كانه يطلب الضيافة عند العقبان

لان محلها رؤس الجبال وهذا مجاز شعرًا :: يفوت الرياح العاصفات اذا

:: مشي ::

:: وليسبق رجع الطرف شدًا اذا اجري

الشد العدو وهذا البيت بليغ شعرًا المي ليدي

:: جياد عليها للوجيه ولاحق :: ولابن الصدق واصحاب

الوجيه ولاحق فحلاً ينسب اليهما كرام الخيل قال الجوهري لاحق اسم فرس كان لمعوية ابن ابي سفيان

ولابن الصدقا على هذا الخيل من الفحلين المذكورين اي الجارية والسبق والكرم شعرًا

:: ففيها سلف للعجب وشاهد :: علي حكمة الله المدبر للوري

سلو العجب لاستغفار قلبه بحسن هذا الخيل وايتاجرها والشاهد علي حكمه الله تعالى يتزحزح في كونها خلقت

باهرًا عجيبة وصنعة محكمة بعجيبة وفيها من المنافع والمعونة والجمال ما هو ظاهر واشتقاقها من

الخيلاء وهو الكبر لان راكبها في الاغلب لانه من كبر بالخفر او عجب نبل اخلق شعرًا

:: هي الروض حسنًا غير انك ان تبن :: لها مخبرًا يسمع لعينيك منظرًا

:: عليها الكماة من لوي بن غالب :: يجرون اذيال الحديد تجتري

تبختر وتسحب تبختي سمح بضم الميم يسمح سماحة فهو سمح بسكون الميم وكسرها وسمح ايضم شبه الخيل

في حسنها واختلاف الوانها بالروض المزهر ثم قال وان اختبرت فارسها في الجلبات وجربتها في بلوغ الغايات

تبع ذلك المنظر الحسن بالنسبة الي هذا المخبر لانه اعلا واتم وهذا نقيض قول بعضهم شعرًا ترى رجالاً فيهم

نجين خبرتهم حسنت مناظرهم لقبح المخبرون والكماة جمع كمي وهي المسكي في السلاح لانه يكمي

اي يستر نفسه بالدرع والبيضة ونسبهم الي لوي ابن غالب لانه شعرًا من رهط ابا سفيان منها

:: بجحفل اذا قيس عده ابا الثري :: كان اكثري ::

التابا غيره المحفل وجعل سيف امير المومنين عم اكثر هدايه الي الرروس من الكري
وهو النوم وهاذا مبالغه وجعل مدارها الجيش علي تدبير النبي وشجاعة امير المومنين
صم واله وقد احسن واجاد شعرًا
فطار الي اعلا السما فصاعدًا :: فلما راي ان لانجاة تخلدري
وجاذ رعزني مسرعًا في مذكرا :: هزرت فالقي المشرفي المذكري
واعطايدا لم يعطها عن محبة :: ويقول هذا ما قاله متخيري
فكنت بذاك العفو والحلو بالعلي :: احق وبالاحسان احري واجدري
الضمير طار يعود الي ابي سفيان اي بالغ الزعم فلما عرف انا لا ينجيه ارجع ونطق بكلمة
الاسلام حقنا لدمه وبايع بيده مكرهًا لا مختارًا وكان ابو سفيان من المنافقين وكذا ابن معوية
فرعونا امير المومنين عم وقوله عزني اي جدي والغريب الجدي والمشرفي سيف منسوب الي
المشارف وهي قري من ارض الغرب يدنوا من الريف وسيف مشرفي ولا يقال مشرفًا ولذا لان الجمع
لا ينسب اليه وسيف مذكرًا اي ذو دفاء قال ابو عبيده هي سيوف شفراتها حديد ذكر ومتونها
انيث والانيث خلاف الاذكر يقول لما نطق ابو سفيان بكلمة الاسلام ترك امير المومنين وعفي
عنه والاولي والاحق والاحري والاجدر كل بمعني واحد والمعني ظاهرًا شعرًا
لافصحت يا مخفي العداوة ناطقًا :: وتبطن ضدًا للذي ظلت مظهري ::

:: تبعظيم من عادية متستري :: وحسبك ان تدعي في ليلا منافقا ::
ونبطن ضدًا للذي ظلت مظهري ::
قوله لافصحت اللام جواب قسم محذوف تقديره واله لقد افصحت وهو النعات م الجي
خطاب ابي سفيان عليه بكونه نطق تبعظيم عليًا عم ظاهرًا وهو يستر عداوته وكناه
هذا دلا وتعاقًا اما النفاق فظاهر واما الذل فلكونه ماسورًا لكرمًا عليه ضللت اظلم
ضللت تحذف السلام الاولي تخفيفًا ويقال ظل يتحول كذا اذا فعل نهارًا شعرًا
وحسن خلال المروتين فلم تدع :: حطيما ولم تنزل بمكة مشعري
قال الجوهري يقال جاسوا خلال الديار اي تخللوها وطلبوا ما فيها وبكة ومكة الخان وقيل
بكة اسم المكان البيت ومكة اسم الباقية والروتين الصفا والمروه شعرًا
طلعت علي البيت الحرام بعارض :: نجيعا من ضبي الهند احمري
فالقي اليك السلم من بعد ما عصا :: جلندًا واعيا تبعًا ثم قيصري
العارض السحاب المعترض واستعاره للجيش لتراكمه وكثرته سمع تعوليه اي تعوض
والنجيع من الدم ما كان الي السواد قال الاصمعي هو دم الجوف خاصه والسلم الصلح
والانقيا دفعتح ويكسر وفي كر ويونث وجلندي بضم الجيم مقصورًا اسم ملك عمان
وتبع احد التبابعه وهم ملوك اليمن وقيصر وهو واحد القياصره وهم ملوك الروم

يقول اطاعك البيت من بعد ما عصاه هذه الملوك وامتنع منها والضيف في عصي وني

اعيا يعود الى البيت شعراً ::
واظهرت نور الله بين قبايل ::
من الناس لم يبرح بها الشر يرى ::
وكسرت اصناماً طغت جهالها ::
بسمر الوشيج اللدن حتى تكسرا ::

قوله نور الله يريد به دين الله واستعاره النور الدين الاسلام من احسن الاستعارات ولا يستعار مثل ذلك للشرك ولكنه عني بالبيت الظاهر والوشيج شجر الرماح واللدن الناعم شعراً

رقيت باسما غارب احدقت بهم ::
مليك يتلون الكتاب المطهرا ::
بغارب خير العالمين واشرف الانام فاز كانا على وطى الثرى ::

رقي في السلم بكسر القاف في رقيا اذا صعد فيه والغارب اعلى الظهر واحدقت احاطت وظهره يعود الى الغارب يريد ان الملائكة احاطت بظهر النبي عم حين صعدا امير المومنين عم فيا له شرفاً لم يبلغه احد ولم يحز ذو همة شياً مرتقى مثالي امير المومنين عم قال انطلق الى رسول الله صلعم حتى اتا الكعبة فصعد رسول الله عم ثم قال رسول الله انهض فنهضت فلما راى ضعفي تحته قال اجلس فجلست ونزل فقال لي يا علي اصعد الى منكبي فصعدت على منكبيه ثم نهض بي رسول الله صلعم فخيل لي ان لو شئت بلغت افق السما فصعدت فوق الكعبة وتنحى رسول الله صلعم وقال الق الصنم الاكبر صنم قريش وكان من نحاس موتداً الى الارض

بجديل

بجديل فعالجته فقلعته والنبي صلعم يقول ايه ايه جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فلما قلعته قال لي اقذفه فقذفته فتكسر ونزلت من فوق الكعبة فانطلقت انا والنبي صلعم نسعى شعراً

فسبح جبريل وقدس هيبة ::
وهلل اسرافيل عجباً وكبرا ::

قال ابن الانباري في جبريل بكسر الجيم وفتحها وجبرئيل بكسر الهمزة وتشديد اللام وجبرائيل بياء بعد الالف وجبرائيل بفتح الجيم وكسرها شعراً

فيا رتبة لو شئت ان تلمس السها ::
بها لم يكن بار منه مستعذرا ::
ويا قدميتا اي قدس وطيتما ::
واي مقام قمت فيه وانورا ::

قوله السها كوكب صغير في غاية الصغر يمتحن به الغرب ابصارها وهو ملاصق الاوسط من بنات نعش قوله اي قدس واي مقام استفهام تعظيم واجلال لظهر النبي عم ويريد بالقدس والمقام الانور ظهر النبي صلعم واله شعراً

بحيث افات سدرة العرش ظلها ::
بضوجيه فاغتدت بذلك تفخرا ::

افاءة ظلها ردته وسدرة العرش هي سدرة المنتهى التي ذكرها الله تع في كتابه في سورة النجم في قوله عند سدرة المنتهى وضوجيه جانبيه والضوج الجانب يقول فشهدت مكارم الفتى هذه السدرة ظلها بجانبيه فافتخرت بذلك والمكان هو ظهر النبي صلعم وذلك لا سوي بها الى السما الت السدرة اغصانها على النبي فتفخر به ومصلاه شعراً

وحيث الوميض الشعشعاني فايض ::
من المصدر الاعلى تبارك مصدرا ::

الوميض البرق واستعاره لنور القدس والشعشعاني المنبسط والمصدر موضع الصدور وهو الرجوع والاعلى يريد به علو الجسم بل علو الشان وتبارك بمعنى بارك والبركة النمو

والزيادة يقول ان هذا المكان الشريف الذي انفجرت به سدرة المنتهى وفاض النور عليه من
الحضرة الالهية وقد طهر النبي عم وطهر امير المؤمنين عم تطهيرا حتى غيبت اليل ولا شرقا اعلا
من هذه الشرف وقال شعرا ؞ فليس سواع بعدها بمعظم ؞ ولا اللات
؞ مسجودا لها ومعزى ؞ ولا ابن نفيل يوم ذاك ومقيس
باول من وسله ينزعو الثرى ؞ سواع اسم صنم كان لقوم نوح ثم صار
لهذيل واللات اسم صنم من حجارة كان لبني ثقيف وابن نفيل الحرب بن نفيل بن كعب
وتحيس ابن ظبابة قال الزمخشري قتل وهو متعلق باستار الكعبة وكان موذيا
للنبي صلى الله عليه وآله والنظاير في الاصل سحابة تغشي الارض كالدخان والجمع الضباب والذي
سمعته من الشيخ مقيس بكسر الميم وبالياء المنقطة من تحتها نقطتين ووجدت بخط
بعض المشايخ الموثوق بهم مقيس بفتح الميم والياء المنقطة تحتها نقطة واحده
واحده والمعزي والتراكل التراب واخاف احداهما الى الاخر لاختلاف اللفظين
؞ صلحت قريش والرماح شواجر ؞ فقطعت من ارحامها ما شجري
شواجر طواعن والشجر الطعن وقوله ما تشجر ما اختلف ومن قوله تعالى حتى يحكموك
فيما شجر بينهم ايديا تنازعهم فيه واختلفوا يعني انه انما قطع ارحام مخالفي دين الاسلام
بتحري
وله في قريش شعرا ؞
؞ فلولا اناتي في ابن عمك جعجعت ؞ بعضبك احيرا من دم القوام
؞ ولكن سر الله شطران فيكما ؞ فكنت لنسطور كان ليعفري
الاناة المهلة وقوله جعجعت اي امسكه حبسته وكتب عبيد الله ابن زياد ابن سعيد الى عمر
ابن سعد

هذا كتاب تنزيه الانبياء
تصنيف السيد العالم الكامل السيد
مرتضى علم الهدى قدس سره الشريف
الراوي نجاب ثراه
٥

من متملكات العبد الجاني عرب
محمد الدين والجاني محمد رضا
في ٢٣ شهر الله الحرام الاقنع

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله كما هو اهله ومستحقه وصلى الله على خيرته من خلقه وحجته
في عباده محمد واله الابرار الطاهرين الذين اذهب الله عنهم الرجس
وطهرهم تطهيرا اما بعد سالت احسن الله توفيقك املاء الكلام في
تنزيه الانبياء والائمة عليهم السلام عن الذنوب كلها والقبائح ما سمي
منها كبيرا او صغيرا والرد على من خالف في ذلك على اختلافهم وضروب
مذاهبهم وانا اجيب الى ما سالت على ضيق الوقت وتشعب الفكر وا
بتدي بذكر الخلاف في هذا الباب ثم بالدلالة على المذهب الصحيح
من جملة ما اذكره من المذاهب ثم اتكلم بتاول ما تعلق به
المخالف من الايات والاخبار التي اشتبه عليه وجهها وظن انها
تقتضي وقوع كبيرة او صغيرة من الانبياء والائمة عليهم السلام
ومن الله استمد المعونة والتوفيق واياه اسال التاييد والتسديد

اختلف الناس في الانبياء عليهم السلام فقالت الشيعة
الامامية لا يجوز عليهم شيء من المعاصي والذنوب كبيرا كان او صغيرا
لا قبل النبوة ولا بعدها ويقولون في الائمة عليهم السلام مثل ذلك
وجوز اصحاب الحديث والحشوية على الانبياء الكبائر قبل النبوة
ومنهم من جوزها في حال النبوة سوى الكذب فيما يتعلق باداء الشريعة
ومنهم من جوزها في حال النبوة بشرط الاستسرار دون الاعلان
ومنهم من جوز على الاحوال كلها ومنعت المعتزلة من وقوع الكبائر

والصغائر

والصغائر المستخفة من الانبياء عليهم السلام قبل النبوة وفي حالها وجوزت
في الحالين وقوع ما لا يستخف من الصغائر ثم اختلفوا فمنهم من جوز على النبي
الاقدام على المعصية الصغيرة على سبيل العمد ومنهم من منع من ذلك وقال
انهم لا يقدمون على الذنوب التي يعلمونها ذنوبا بل على سبيل التاويل وحكي
عن النظام وجعفر بن مبشر وجماعة ممن تبعهما ان ذنوبهم لا تكون الا
على سبيل السهو والغفلة وانهم مواخذون بذلك وان كان موضوعا عن
امتهم لقوة معرفتهم وعلو رتبتهم وجوزوا كلهم ومن قدمنا ذكره من الحشوية
واصحاب الحديث على الائمة الكبائر والصغائر الا انهم يقولون ان بوقوع
الكبيرة من الامام تفسد امامته ويجب عزله والاستبدال به

واعلم ان الخلاف بيننا وبين المعتزلة في تجويزهم الصغائر على الانبياء
صلوات الله عليهم يكاد يسقط عند التحقيق لانهم انما يجوزون من الذنوب
ما لا يستقر له استحقاق العقاب وانما يكون حظه تنقيص الثواب على
اختلافهم ايضا في ذلك لان ابا علي الجبائي يقول ان الصغيرة يسقط
عقابها بغير موازنة وكانهم يعترفون بانه لا يقع منهم ما يستحقون به الذم
والعقاب وهذه موافقة للشيعة في المعنى لان الشيعة انما تنفي عن
الانبياء عليهم السلام جميع المعاصي من حيث كان كل شيء منها يستحق
به فاعله الذم والعقاب لان الاحباط باطل عندهم واذا بطل الاحباط
فلا معصية الا ويستحق فاعلها الذم والعقاب فاذا كان استحقاق الذم
والعقاب منفيا عن الانبياء عليهم السلام وجب ان ينتفي عنهم سائر

الذنوب ويصير الخلاف بين الشيعة والمعتزلة متعلقاً بالاحباط فاذا بطل
الاحباط فلا بد من الاتفاق على ان ساير المعاصي لا يقع من الانبياء من
حيث يلزمه استحقاق الذم والعقاب لكنه يجوز ان يتكلم في هذه
المسئلة على سبيل التقدير ونفرض ان الامر في الصغاير والكباير على
ما تقوله المعتزلة ومتى فرضنا ذلك لم يجز ايضاً عليهم الصغاير
لما سنذكره ونبينه **واعلم** ان الخلاف بيننا وبين المعتزلة في تجويزهم
الصغاير على الانبياء صلوات الله عليهم يكاد يسقط عن التحقيق لانهم
انما يجوزون من الذنوب ما لا يستقر له استحقاق عقاب وانما يكون
حظه تنقيص الثواب على اختلافهم ايضاً في ذلك لان ابا علي الجبائي
يقول ان الصغير يسقط عقابه بغير موازنة وكانهم معترفون
بانه لا يقع منهم ما يستحقون به الذم والعقاب وهذه موافقة للشيعة
جميع ما سنذكره تنزه الانبياء عليهم السلام عنه ويمنع من وقوعه
منهم يستند الى دلالة العلم المعجز اما بنفسه او بواسطة وتفسير
هذه الجملة ان العلم المعجز اذا كان واقعاً موقع التصديق لمدعي النبوة
والرسالة وجارياً مجرى قوله تعالى له صدقت في انك رسولي ومودي عني
فلا بد من ان يكون هذا المعجز مانعاً من كذبه على الله تعالى في ما يوديه
لانه تعالى لا يجوز ان تصديق الكذاب قبيح كما ان الكذب قبيح فاما
الكذب في غير ما يوديه وساير الكباير فانما دل المعجز على نفيها
من حيث كان دالاً على وجوب اتباع الرسول وتصديقه فيما يوديه

وقبوله منه لان الغرض في بعثة الانبياء عليهم السلام وتصديقهم بالاعلام
المعجزة هو ان يمتثل ما ياتون به فما قدح في الامتثال والقبول واثر فيهما
يجب ان يمنع المعجز منه فلهذا قلنا انه يدل على نفي الكذب والكباير
عنهم في غير ما يودونه بواسطة وفي الاول يدل بنفسه **فان قيل**
لم يبق الا ان تدلوا على ان تجويز الكباير يقدح فيما هو الغرض بالبعثة
من القبول والامتثال **قلنا** لا شبهة في ان من يجوز عليه الكباير
والمعاصي ولا نامنه الاقدام على الذنوب لا تكون انفسنا ساكنة الى قبول
قوله واستماع وعظه سكونها الى من لا يجوز عليه شيئاً من ذلك وهذا
هو معنى قولنا ان وقوع الكباير ينفر عن القبول والمرجع فيما ينفر
ولا ينفر الى العادات واعتبار ما تقتضيه وليس ذلك مما يستخرج
بالادلة والمقاييس ومن رجع الى العادة علم ما ذكرناه وانه من قوي
ما ينفر عن قبول القول فان حظ الكباير في هذا الباب ان لم يزد
على حظ السخف والمجون والخلاعة لم ينقص **فان قيل** اوليس
قد جوز كثير من الناس على الانبياء الكباير مع انهم لم ينفروا عن قبول
اقوالهم والعمل بما شرعوه من الشرايع وهذا ينقض قولكم ان الكباير
منفرة **قلنا** هذا سوال من لم يفهم ما اوردناه لانا لم نرد بالتنفير
ارتفاع التصديق وان لا يقع امتثال الامر جملة وانما اردنا ما فسرناه
من ان سكون النفس الى قبول قول من يجوز عليه ذلك لا يكون
على حد سكونها الى من لا يجوز ذلك عليه وانا مع تجويز الكباير نكون

ابعد من قبول القول كما ان مع الامان من الكباير تكون اقرب الي القبول
وقد يقرب من الشي ما له يحصل الشي عنده كما يبعد عنه ما له يرتفع عنده
الا تري ان عبوس الداعي للناس علي طعامه وتضجره وتبرمه منفر في
العاده عن حضور دعوته وتناول طعامه وقد يقع مع ما ذكرناه الحضور
والتناول ولا يخرجه من ان يكون منفرا وكذلك طلاقة وجهه
واستبشاره وتبسمه يقرب من حضور دعوته وتناول طعامه وقد
يرتفع الحضور مع ما ذكرناه ولا يخرجه من ان يكون مقربا فدل علي ان
المنفر والمقرب ما ذكرناه دون وقوع الفعل المنفر عنه وارتفاعه
فان قيل فهذا يقتضي ان الكباير لا تقع منهم في حال النبوه ومن
اين انها لا تقع منهم قبل النبوه وقد زال حكمها بالنبوة المسقطة
للعقاب والذم ولم يبق وجه يقتضي التنفير قلنا الطريقه في الامرين
واحد لانا نعلم ان من يجوز عليه الكفر والكباير في حال من الاحوال
وان تاب منه وخرج من استحقاق العقاب انه لا نسكن الي قبول
قوله سكوننا الي من لا يجوز ذلك عليه في حال من الاحوال
ولا علي وجه من الوجوه ولهذا لا يكون حال الواعظ لنا الداعي
الي الله تعالي ونحن نعرفه مقارفا للكباير مرتكبا لعظيم الذنوب وان
كان قد فارق جميع ذلك وتاب منه عندنا وفي نفوسنا كحال من
لم نعهد منه الا النزاهه والطهاره ومعلوم ضروره الفرق بين هذين
الرجلين فيما يقتضي السكون والنفور ولهذا ما يعير الناس كثيرا من

يعهدون

يعهدون منه القبايح المتقدمة بها اذا وقعت التوبه منها ويجعلون
ذلك عيبا ونقصا وقادحا ومؤثرا وليس اذا كان تجويز الكباير قبل
النبوه منخفضا عن تجويزها في حال النبوه وناقصا عن رتبته في باب
التنفير وجب ان لا يكون فيه شي من التنفير لان الشيئين قد يشتركان
في التنفير وان كان احدهما اقوي من صاحبه الا ترا ان كثير السخف والمجون
والاستمرار عليه والانهماك فيه منفر لا محالة وان القليل من السخف
الذي لا يقع الا في الاحيان والاوقات المتباعدة منفر ايضا وان
فارق الاول في قوة التنفير ولم يخرجه نقصانه في هذا الباب
عن الاول من ان يكون منفرا في نفسه فان قيل فمن اين ان
الصغاير لا تجوز علي الانبياء في حال النبوه وقبلها قلنا الطريقه
في نفي الصغاير في الحالين هي الطريقه في نفي الكباير في الحالين عند التامل
لانا كما نعلم ان من يجوز كونه فاعلا للكبيره متقدمه قد تاب منها
واقلع عنها ولم يبق معه شي من استحقاق عقابها وذمها لا يكون
سكوننا اليه كسكوننا الي من لا يجوز عليه ذلك وكذلك نعلم ان من
يجوز عليه من الانبياء عليهم السلام ان يكون مقدما علي القبايح مرتكبا
للمعاصي في حال نبوته او قبلها وان وقعت مكفرة لا يكون سكوننا اليه
كسكوننا الي من نامن منه كل القبايح ولا نجوز عليه فعل شي منها فاما
الاعتذار في تجويز الصغاير بان العقاب والذم عنها ساقطان
فليس بشي لانه لا معتبر في باب التنفير بالذم والعقاب حتى يكون

التنفير واقعاً عليهم الا ترى ان كثيراً من المباحات منفر ولا ذم عليه ولا
عقاب وكثير من الخلق والهيئات منفر وهو خارج عن باب الذم على
ان هذا القول يوجب على قائله تجويز الكبائر عليهم قبل النبوة لان
التوبة والاقلاع قد ازال الذم والعقاب اللذين نخرج التنفير على
هذا القول عليهما فان قال لكني نجوز الصغائر وانما حظها تقليل
تقليل الثواب وتنقيصه لانها تكون صغائر قد خرجت من اقتضاء
الذم والعقاب ومعلوم ان قلة الثواب غير منفر الا ترون ان
الانبياء عليهم السلام قد يتركون كثيراً من النوافل ما لو فعلوه
لاستحقوا كثيراً من الثواب ولا يكون ذلك منفراً عنهم **قلنا**
الصغاير لم تكن منفرة من حيث تقل الثواب معها بل انها كانت
كذلك من حيث كانت قبائح ومعاصي لله تعالى وقد بينا ان المجاري
في باب التنفير الى العادة والاستشهاد ودللنا على انهما يقتضيان
تنفير جميع الذنوب والقبائح على الوجه الذي بيناه **وبعد فان**
الصغاير في هذا الباب بخلاف الامتناع من النوافل لانها تنقص
ثواباً مستحقاً ثابتاً وترك النوافل ليس كذلك وفرق واضح
في العادة بين الانحطاط عن رتبة ثبتت واستحقت وبين فوتها
وان لا تكون حاصلة جملة الا ترى ان من ولي ولاية جليلة
وارتقى الى رتبة عالية يؤثر في حاله العزل عن تلك الولاية
والهبوط عن تلك الرتبة ولا تكون حاله هذه كحاله لو لم ينل تلك

الولاية

الولاية ولا ارتقى الى تلك الرتبة وهذا الكلام الذي ذكرناه يبطل قول
من جوز على الانبياء عليهم السلام الصغائر على اختلاف مذاهبهم في تجويز
ذلك على سبيل العمد او التاويل الا ان ابا علي ممن وافقه في قوله ان
ذنوب الانبياء لا تكون عمداً وانما يقدمون عليها تاولاً ومثل ذلك بقصة — وقصة ادم عم
ادم عم وانه نهي عن جنس الشجرة دون عينها فتناول وظن ان المنهي
تناول العين ثم يقدم على المعصية مع العلم بانها معصية فذا ناقض لانه
انما ذهب الى هذا المذهب تنزيهاً للانبياء عليهم السلام واعتقاداً
ان تعمد المعصية يوجب كبرها فنزههم عن معصية واضاف اليهم معصيتان
لانه يخطي على مذهبه في الاعراض عن تامل مقتضى النهي وهل تناول
الجنس او العين لان ذلك واجب عليه ويخطي في التناول من الشجرة
وهاتان معصيتان **وبعد فان تعمد المعصية** ليس يجب ان يكون
مقتضياً لكبرها لا محالة لانه يمتنع ان يكون مع التعمد لصاحبها
من الخوف والوجل ما يوجب صغرها ويمنع من كبرها وليس له
ان يقول ان النظر فيما كلفه من الامتناع من الجنس او العين
لم يكن واجباً عليه لان ذلك ان لم يكن واجباً فكيف يكون مكلفاً
وكيف يكون تناوله معصية ولا بد على هذا من ان يخطر الله بباله
ما يقتضي وجوب النظر في ذلك عليه اذا وجب عليه النظر ولم
يفعله فقد تعمد الاخلال بالواجب ولا فرق في باب
التنفير بين الاقدام على المعصية والاخلال بالواجب فاذا جاز

عنده ان يتعمد الاخلال بالواجب ولا يكون منه كبيرًا فاما ما حكاه عن
النظام وجعفر ابن مبشر ومن وافقهما من ان ذنوب الانبياء عليهم السلام
على سبيل السهو والغفلة وانهم مع ذلك مواخذون بها فليس بشي لان
السهو يزيل التكليف ويخرج الفعل من ان يكون ذنبًا مواخذًا به ولهذا
لا يصح مواخذة المجنون والنايم وحصول السهو في انه موثر في ارتفاع
التكليف بمنزلة فقد القدرة والالات والادلة فلو جاز ان يخالف
حال الانبياء عليهم السلام في صحة تكليفهم مع السهو جاز ان يخالف حالهم
لحال امتهم في جواز التكليف مع فقد ساير ما ذكرناه وهذا واضح فاما
الطريق الذي يعلم به ان الايمة عليهم السلام لا يجوز عليهم الكباير في
حال الامامة فهو ان الامام انما احتيج اليه لجهة معلومة وهي ان
يكون المكلفون عند وجوده ابعد من فعل القبيح واقرب من فعل
الواجب على ما دللنا عليه في غير موضع فلو جازت عليه الكباير
لكانت علة الحاجة اليه ثابتة فيه وموجبة وجود امام يكون اماما
له والكلام في امامته كالكلام فيه وهذا يودي الى وجود ما لا نهاية
له من الايمة او الانتهاء الى امام معصوم ومما يدل ايضا على
ان الكباير لا تجوز عليهم ان قولهم قد ثبت انه حجة في الشرع كقول
الانبياء عليهم السلام بل قد يجوز ان ينتهي الحال الى ان الحق لا يعرف
الا من جهتهم ولا يكون الطريق اليه الا اقوالهم على ما بيناه في مواضع
كثيرة واذا ثبتت هذه الجملة جروا مجرى الانبياء فيما يجوز عليهم

اولا

او لا يجوز واذا كنا قد بينا ان الكباير والصغاير لا يجوز ان على الانبياء
قبل النبوة ولا بعدها لما في ذلك من التنفير عن قبول اقوالهم ولما في
تنزيههم عن ذلك من السكون اليهم فكذلك يجب ان يكون الايمة عليهم السلام
منزهين عن الكباير والصغاير قبل الامامة وبعدها لان الحال واحدة وانا
قد قدمنا ما اردنا تقديمه في هذا الباب فنحن نبتدي بذكر الكلام
على ما تعلق به من جوز الكباير على الانبياء عليهم السلام من الايات
فمما تعلقوا به قوله تعالى في قصة ادم ع وعصى ادم ربه فغوى قالوا
قالوا وهذا تصريح بوقوع المعصية التي لا تكون الا قبيحة واكده بقوله
فغوى والغي ضد الرشد يقال لهم اما المعصية فهي مخالفة الامر والامر
من الحكيم تعالى قد يكون بالواجب وبالندب معًا فلا يمتنع على هذا
ان يكون ادم عليه السلام مندوبًا الى ترك التناول من الشجرة ويكون
بمواقعتها تاركًا نفلًا وفضلًا وغير فاعل قبيحًا وليس يمتنع ان
يسمى تارك النفل عاصيًا كما يسمى بذلك تارك الواجب فان تسمية
من خالف ما امر به سوا كان واجبًا او نفلًا بانه عاص ظاهره ولهذا
يقولون امرت فلانا بكذا وكذا من الخير فعصاني وخالفني وان لم
يكن ما امر به واجبًا فاما قوله فغوى فمعناه انه خاب لانا نعلم
انه لو فعل ما ندب اليه من ترك التناول من الشجرة لاستحق الثواب
العظيم فاذا خالف الامر ولم يصر الى ما ندب اليه فقد خاب لا محالة
من حيث لم يصر الى الثواب ما ندب اليه فقد خاب الذي كان يستحق

بالامتناع ولا شبهة في ان لفظة غوى تحتمل الخيبة قال الشاعر
فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ٭ ومن يغو لم يعدم على الغي لائما
فان قيل كيف يجوز ترك الندب معصية او ليس هذا يوجب ان
توصف الانبياء بانهم عصاة في كل حال وانهم لا ينفكون من المعصية
لانهم لا يكادون ينفكون من ترك الندب قلنا وصف تارك الندب بانه
عاص توسع وتجوز والمجاز لا يقاس عليه ولا يعدى به موضعه ولو قيل
انه حقيقة في فاعل القبيح وتارك الاولى والافضل لم يجز اطلاقه ايضا
في الانبياء عليهم السلام الا مع التقييد لان استعماله قد كثر في القبائح
فاطلاقه بغير تقييد موهم لكنا نقول ان اردت بوصفهم بانهم عصاة
انهم فعلوا القبائح فلا يجوز ذلك وان اردت انهم تركوا ما لو فعلوه
استحقوا الثواب وكان اولى بهم كذلك فان قيل فاي معنى
لقوله ثم اجتبيه ربه فتاب عليه وهدى واي
معنى لقوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو
التواب الرحيم وكيف تقبل توبة من لم يذنب ام كيف يتوب من
لم يفعل القبيح قلنا اما التوبة عندنا وعلى اصولنا فغير موجبة
لاسقاط العقاب وانما يسقط الله تعالى العقاب عندها تفضلا
والذي يوجبه التوبة ويؤثره هو استحقاق الثواب فقبولها
على هذا الوجه انما هو ضمان الثواب عليها فمعنى قوله
تعالى فتاب عليه اي قبل توبته وضمن له ثوابها ولا بد لمن ذهب

الى ان

الى ان معصية ادم عليه السلام صغيرة من هذا الجواب لانه اذا قيل
له كيف يقبل توبته ويغفر له ومعصيته في الاصل وقعت مكفرة لا يستحق
عليها شي من العقاب لم يكن له بد من الرجوع الى ما ذكرناه والتوبة
قد تحسن ان يقع ممن لا يعهد من نفسه قبيحا على سبيل الانقطاع الى الله
والرجوع اليه ويكون وجه حسنها في هذا الموضع استحقاق الثواب
بها او كونها لطفا كما يحسن ان يقع ممن يقطع على انه غير مستحق للعقاب
وان التوبة لا تؤثر في اسقاط شي يستحقه من العقاب ولهذا جوزوا
التوبة من الصغاير وان لم تكن مؤثرة في اسقاط ذم ولا عقاب
فان قيل الظاهر من القران بخلاف ما ذكرتموه لانه اخبر ان ادم
عليه السلام نهي عن اكل الشجرة بقوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين
وبقوله الم انهكما عن تلكما الشجرة وهذا يوجب بانه عصى منهيا عنه
ولم يعص بان ترك ما امر به قلنا اما النهي والامر فليسا يختصان
عندنا بصيغة ليس فيها احتمال ولا اشتراك وقد يؤمر عندنا بلفظ النهي وينهى
بلفظ الامر وانما يكون النهي نهيا بكراهة المنهي عنه فاما قاله تعالى
ولا تقربا هذه الشجرة ولم يكره قربهما لم تكن في الحقيقة ناهيا كما انه
تعالى لما قال اعملوا ما شئتم واذا حللتم فاصطادوا ولم يرد ذلك
لم يكن امرا واذا كان قد اراد بقوله ولا تقربا هذه الشجرة ارادة
لترك التناول فيجب ان يكون هذا القول امرا وانما سماه منهيا
وسمى امره له بانه نهي من حيث كان فيه معنى النهي لان في النهي ترغيبا

في الامتناع من الفعل ومن هديًا في الفعل نفسه ولما كان الامر من عنيًّا
في الفعل المامور ومن هديًا في تركه جاز ان يسمى نهيًا وقد يتداخل
هذا الوصفان في الشاهد فنقول احدنا قد امرت فلانا بان يلقى
الامير وانما يريد نهيا عن لقاء زيد ونقول نهيتك عن هجر زيد وانما معناه
امرتك بمواصلته **فان قيل** الا جعلتم النهي منقسمًا الى نهي قبيح ونهي غير
قبيح بل يكون تركه افضل من فعله كما جعلتم الامر ينقسم الى واجب
وغير واجب **قلنا** الفرق بين الامرين ظاهر لان انقسام المامور
به في الشاهد الى واجب وغير واجب غير مدفوع ولا خافي
وليس يمكن احدا ان يدفع ان في الافعال الحسنة التي يستحق بها
المدح والثواب ما له صفة الوجوب وفيها ما لا يكون كذلك
فاذا كان الواجب مشاركا للندب في تناول الارادة له واستحقاق
الثواب والمدح به فليس يفارقه الا بكراهية الترك لان الواجب
تكره فكره والنفل ليس كذلك فلو جعلنا الكراهة تتعلق
بالقبيح وغير القبيح من الحكيم تعالى وكذلك النهي كما جعلنا الامر
فيه يتعلق بالواجب وغير الواجب لارتفع الفصل بين الواجب
والقبيح مع ثبوت الفصل بينهما في العقول **فان قيل** فما معنى
قوله تعالى عنهما ربنا ظلمنا انفسنا وقوله فتكونا من الظالمين
قلنا معناه انا نقصنا انفسنا وبخسناها ما كنا نستحقه من
الثواب بفعل ما اريد منا وحرمناها الفائدة الجليلة من التعظيم

وذلك

وذلك الثواب وان لم يكن مستحقًا قبل ان يفعل الطاعة التي يستحق
بها فهو في حكم المستحق فيجوز ان يوصف من فوّته نفسه بانه ظالم
لها كما يوصف بذلك من فوّت نفسه المنافع المستحقة وهذا هو
معنى قوله تعالى فتكونا من الظالمين **فان قيل** فاذا لم يقع من آدم
عليه السلام على قولكم معصية فلم اخرج من الجنة على سبيل العقوبة
وسلب لباسه على هذا الوجه ولولا ان الاخراج من الجنة وسلب
اللباس على سبيل الجزاء على الذنب لما قال فوسوس لهما الشيطان
ليبدي لهما ما وري عنهما من سوآتهما وقال سبحانه وتعالى في موضع
آخر فاخرجهما مما كانا فيه **قلنا** اما نفس الاخراج من الجنة لا يكون
عقابا لان سلب اللذات والنعم ليس بعقوبة وانما العقوبة
هي الضرر وان لم الواقعان على سبيل الاستخفاف والاهانة
وكذلك نزع اللباس وابداء السوءة ولو كانت هذه الامور مما
يجوز ان يكون عقابا ويجوز ان يكون لعرفناها عن باب العقاب
الى غيره بدلالة ان العقاب لا يجوز ان يستحقه الانبياء واذا اخلنا
ذلك فيما يجوز ان يكون واقعا على سبيل العقوبة فهو اولى فيما
لا يجوز كذلك **فان قيل** فما وجه ذلك ان لم يكن عقوبة
قلنا لا يمتنع ان يكون الله تعالى علم ان المصلحة تقتضي تبقية
آدم في الجنة وتكليفه فيها متى لم يتناول من الشجرة فمتى تناول
منها تغيرت الحال في المصلحة وصار اخراجه عنها وتكليفه في دار

غيرها هو المصلحة وكذلك القول في سلب اللباس حتى يكون
نزعه بعد التناول من الشجرة هو المصلحة كما كانت المصلحة في
تبقيته قبل ذلك وانما وصف ابليس بانه مخرج لهما من الجنة من
حيث وسوس اليهما وزين عندهما الفعل الذي يكون عنده
الاخراج وان لم يكن على سبيل الجزاء عليه لكنه يتعلق به تعلق
الشرط في المصلحة وكذلك وصف بانه مبدي لسوآتهما من حيث
اغواهما حتى اقدما على ما سبق علم الله تعالى بان اللباس معه
ينزع عنهما ولا بد لمن ذهب الى ان معصية آدم عليه السلام صغيرة
لا يستحق بها العقاب من مثل هذا التاويل فكيف يجوز [illegible]
ان يعاقب الله تعالى نبيه بالاخراج من الجنة او غيره والعقاب
لا بد من ان يكون مقرونا بالاستخفاف والاهانة وكيف يكون
من تعبدنا الله فيه بنهاية التعظيم والتبجيل مستحقا منه
تعالى الاستخفاف والاهانة واي نفس تسكن الى مستحق [illegible] مهان
موبخ مبكت وما يجوز مثل ذلك على الانبياء عليهم السلام الا من
لا يعرف حقوقهم ولا يعلم ما تقتضيه منازلهم **مسئلة**
فان قال قائل ما قولكم في قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس
واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت
حملا خفيفا فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا
صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء

فيما آتاهما

فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون اوليس ظاهر هذه الاية يقتضي وقوع المعصية
من آدم عليه السلام لانه لم يتقدم من يجوز صرف الكناية في جميع الكلام اليه الا آدم
عليه السلام لانه لم يتقدم من يجوز صرف الكناية في جميع الكلام الا آدم عليه السلام وز وجته
لان النفس الواحدة هي آدم وزوجها المخلوق منها هي حواء فالظاهر
على ما ترون يقتضي ما ذكرناه على انه قد روي في الحديث ان ابليس لما
ان حملت حواء عرض لها وكانت ممن لا يعيش لها ولد فقال لها ان احببت
ان يعيش ولدك فسميه عبد الحارث وكان ابليس قد تسمى الحارث فلما ولدت
سمت ولدها بهذه التسمية فلهذا قال تعالى جعلا له شركاء فيما آتاهما
الجواب قيل له قد علمنا ان الدلالة العقلية التي قدمناها في
ان الانبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم الكفر والشرك والمعاصي غير محتملة
ولا يصح دخول المجاز فيها والكلام في الجملة يصح فيه الاحتمال وضروب
المجاز فلا بد من بناء المحتمل على ما لا يحتمل فلو لم نعلم تاويل هذه الاية
على سبيل التفصيل لكنا نعلم ان تاويلها مطابق لدلالة العقل [illegible]
له اللفظة وجوه **منها** ان الكناية في قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما
غير راجعة الى آدم وحواء بل الى الذكور والاناث من اولادهما او الى جنسين
ممن اشرك من نسلهما وان كانت الكناية الاولى تتعلق بهما ويكون تقدير
الكلام فلما آتى الله آدم وحواء الولد الصالح الذي تمنياه وطلباه جعل
كفار اولادهما ذلك مضافا الى غير الله تعالى ويقوي هذا التاويل
قوله تعالى فتعالى الله عما يشركون وهذا ينبئ عن ان المراد بالتثنية ما

[illegible] ودليل العقل مع

ما اردناه من الجنس او النوع وليس يجب من حيث انه كانت الكناية
المتقدمة راجعة الي ادم وحوا ان يكون جميع ما في الكلام راجعًا اليهما لان
الفصيح قد ينتقل من خطاب مخاطب الي خطاب غيره ومن كناية الي خلافها
قال تعالي انا ارسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا لتومنوا بالله
ورسوله فانصرف من مخاطبة الرسول صلى الله عليه الي مخاطبة المرسل
اليهم ثم قال وتعزروه وتوقروه يعني الرسول عليه السلام
ثم قال وتسبحوه وهو يعني مرسل الرسول فالكلام واحد متصل
بعضه ببعض والكناية مختلفة كما ترى وقال الهذلي
يا لهف نفسي كان جدة خالد وبياض وجهك للتراب الاعفر
وقال كثير اسيئي بنا او احسني لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت
فخاطب ثم ترك وقال الا حبذا ذلك ناقتي وجميع اهلها
وما لي انه منه اتاني ولم يقل منك اتاني فان قيل فكيف يكني
عمن لم يتقدم له ذكر قلنا لا يمتنع ذلك قال الله تعالي
حتي توارت بالحجاب ولم يتقدم للشمس ذكر وقال الشاعر
لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى   اذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر
ولم يتقدم للنفس ذكر والشواهد علي هذا المعني كثيرة جدًا علي انه
قد تقدم ذكر ولد ادم في قوله هو الذي خلقكم ومعلوم ان المراد
بذلك جميع ولد ادم وقد تقدم ايضًا ذكرهم في قوله لئن اتيتنا
صالحًا لان المعني انه لما اتاهما ولدًا صالحًا والمراد بذلك الجنس وان

كان اللفظ

كان اللفظ لفظ وحدة واذا تقدم مذكوران وعقبا بامر لا يليق باحدهما
وجب ان يضاف الي من يليق به والشرك لا يليق بادم عليه السلام فيجب ان
تنفيه عنه وان تقدم ذكره وهو يليق بكفار ولده ونسله فيجب ان نعلقه
بهم ومنها ما ذكره ابو مسلم محمد ابن بحر الاصفهاني فانه حمل الاية
علي ان الكناية في جميعها غير متعلقة بادم وحوا عليهما السلام ويجعل الهاء
في تغشاها والكناية في دعوا الله ربهما واتاهما صالحًا راجعتين الي من
اشرك ولم يتعلق الخطاب بادم من الا قوله خلقكم من نفس واحدة قال والاشارة
في قوله خلقكم من نفس واحدة الي الخلق عامة وكذلك قوله وجعل
منها زوجها ثم خص منها بعضهم كما قال الله تعالي هو الذي يسيركم
في البر والبحر حتي اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة فخاطب الجماعة
بالتسيير ثم خص راكب البحر فكذلك هذه الاية اخبرت عن جملة امر البشر
بانهم مخلوقين من نفس واحدة وزوجها وهما ادم وحوا عليهما السلام
ثم عاد الذكر الي الذي سال الله تعالي ما سال فلما اعطاه اياه ادعا
له الشركاء في عطيته قال وجائز ان يكون عني بقوله هو الذي
خلقكم من نفس واحدة المشركين خصوصًا اذا كان كل بني ادم مخلوقًا
من نفس واحدة وزوجها ويكون المعني في قوله خلقكم من نفس واحدة
خلق كل واحد منكم من نفس واحدة وهذا يجيء كثيرًا في القران وفي كلام
العرب قال الله تعالي والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة

شهدا آن فاجلدوهم ثمانين جلدة والمعنى فاجلدوا واحد منهم ثمانين جلدة وهذا
الوجه يقارب الوجه الاول في المعنى وان خالفه في الترتيب **ومنها**
ان تكون الهاء في قوله جعلا له شركا راجعة الى الولد لا الى الله تعالى
ويكون المعنى انهما طلبا من الله تعالى امثالا للولد الصالح فاشركا بين
الطلبتين ويجري هذا القول مجرى قول القايل طلبت مني درهما فلما
اعطيتك شركته باخر اي طلبت اخر مضافا اليه وعلى هذا الوجه لا يمتنع
ان تكون الكناية في اول الكلام الى اخره راجعة الى ادم وحوا **فان قيل**
فاي معنى على هذا الوجه ~~لا يمتنع ان تكون الكناية~~ لقوله تعالى فتعالى
الله عما يشركون وكيف يتعالى الله عن ان يطلب منه ولد بعد اخر
قلنا لم ينزه الله تعالى نفسه عن هذا الاشراك وانما نزهها عن
الاشراك به وليس يمتنع ان ينقطع هذا الكلام عن حكم الاول ويكون
غير متعلق به لانه قال ايشركون ما لا يخلق شيا وهم يخلقون
فنزه نفسه عن هذا الشرك دون ما تقدم وليس يمتنع انقطاع اللفظ
في الحكم عما يتصل به في الصورة وهذا كثير في القران وكلام العرب
فاما ما يدعى في هذا الباب من الحديث فلا يلتفت اليه لان الاخبار
يجب ان تبنى على ادلة العقول ولا يقبل في خلاف ما تقتضيه العقول
ولهذا لا يقبل اخبار الجبر والتشبيه ونردها او نتاولها ان كان
لها مخرج سهل وكل هذا لو لم يكن الخبر الوارد مطعونا على سنده مقدوحا
في طريقه فان هذا الخبر يرويه قتادة عن الحسن عن سمرة وهو منقطع

لان الحسن

لان الحسن لم يسمع من سمرة شيا في قول البغداديين وقد يحل الوهن
على هذا الحديث من وجه اخر لان الحسن يقول بخلاف هذه الرواية فيما
رواه خلف ابن سالم عن اسحق ابن يوسف عن عوف عن الحسن في قوله
تعالى فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا فيما اتاهما قال هم المشركون وبازا
هذا الحديث ما روي عن سعيد ابن جبير وعكرمة والحسن وغيرهم من
ان الشرك غير منسوب الى ادم وزوجته وان المراد به غيرهما وهذه
جملة واضحة **مسيلة فان سال عن** قوله تعالى ونادى نوح
ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين
قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسالني ما ليس
لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين فقال ظاهر قوله تعالى
انه ليس من اهلك فيه تكذيب قوله عليه السلام لا يجوز عليه الكذب
فما الوجه في ذلك **قيل** له في هذه الاية وجوه كل واحد منها صحيح
مطابق لادلة العقل اولها ان نفيه لان يكون من اهله لم يتناول نفي
النسب وانما نفى ان يكون من اهله الذين وعده بنجاتهم لانه عز وجل
كان وعد نوحا عليه السلام بالنجا بان ينجي اهله في قوله تعالى قلنا احمل فيها
من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول فاستثنى من
اهله من اراد اهلاكه بالغرق ويدل على صحة هذا التاويل قول نوح
عليه السلام ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وعلى هذا الوجه يتطابق
الخبران ولا يتنافيان وقد روى هذا التاويل بعينه عن ابن عباس

بلغ

اي من اهلي [illegible] النجاة [illegible]

رضي الله عنه وجماعة من المفسرين **والجواب الثاني** ان يكون المراد
بقوله تعالى ليس من اهلك اي انه ليس على دينك واراد انه كان كافرا
مخالفا لابيه وكان كفره اخرجه ان يكون له احكام اهله ويشهد لهذا
التاويل قوله تعالى على طريق التعليل انه عمل غير صالح فبين انه انما خرج
من احكام اهله بكفره وقبيح عمله **وقد حكي هذا الوجه ايضا** عن جماعة من
اهل التاويل **والوجه الثالث** انه لم يكن ابنه على الحقيقة وانما ولد
على فراشه فقال عليه السلام انه ابني على ظاهر الامر فاعلمه الله تعالى
ان الامر بخلاف الظاهر ونبهه على خيانة امراته وليس في ذلك تكذيب
خبره لانه انما اخبر عن ظنه وعما يقتضيه الحكم الشرعي واخبره الله تعالى
بالغيب الذي لا يعلمه غيره وقد روي هذا الوجه عن الحسن
ومجاهد وابن جريج وفي هذا الوجه بعد اذ فيه منافاة للقران لانه
تعالى قال ونادى نوح ابنه فاطلق عليه اسم البنوة ولانه ايضا
استثناه من جملة اهله بقوله تعالى واهلك الا من سبق عليه
القول ولان الانبياء عليهم السلام يجب ان ينزهوا عن هذه الحال
لانها تعير وتشين وتغض من القدر وقد جنبهم الله تعالى ما دون
ذلك تعظيما لهم وتوقيرا ونفيا لكل ما ينفر عن القبول منهم وقد حمل
ابن عباس قوة ما ذكرناه من الدلالة على ان تاويل قوله تعالى
في امراة نوح وامراة لوط فخانتاهما ان الخيانة لم تكن منهما بالزنا
بل كانت احداهما تخبر الناس بانه مجنون والاخرى تدله على الاضياف

والوجهان

والوجهان الاولان هما المعتمدان في الاية **فان قيل** اليس قد قال جماعة
من المفسرين ان الهاء في قوله انه عمل غير صالح راجعة على السوال والمعنى
ان سوالك اياي ما ليس لك به علم عمل غير صالح لانه قد وقع من نوح عليه
السلام السوال والرغبة في قوله رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق
ومعنى ذلك نجه كما نجيتهم **قلنا** ليس يجب ان يكون الهاء في قوله انه
عمل غير صالح راجعة الى السوال بل الى الابن ويكون تقدير الكلام انه
ذو عمل غير صالح فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ويشهد بصحة
هذا التاويل قول الخنساء ما ام سقب على بو تطيف به قد ساعدتها
على التحنان اظآر ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار
وانما ارادت انها ذات اقبال وادبار وقد قال قوم في هذا
الوجه ان المعنى في قوله انه عمل غير صالح ان اصله عمل غير صالح من حيث
ولد على فراشه وليس بابنه وهذا جواب من يرى انه لم يكن ابنه على
الحقيقة والذي اخترناه خلاف ذلك وقد قرئت هذه الاية بنصب
اللام وكسر الميم ونصب غير ومع هذه القراءة لا شبهة في رجوع معنى
الكلام الى الابن دون سوال نوح عليه السلام وقد ضعف قوم هذه
القراءة فقالوا كان يجب ان يقول انه عمل عملا غير صالح لان العرب لا تكاد
تقول هو يعمل غير حسن حتى يقولوا عملا غير حسن وليس هذا
الوجه بضعيف لان من مذهبهم الظاهر اقامة الصفة مقام الموصوف عند

انكشاف المعنى وزوال اللبس فيقول القايل قد فعلت صوابا وقلت
حسنا بمعنى فعلت فعلا صوابا وقلت قولا حسنا وقال عمر ابن ابي ربيعة
المخزومي ايها القايل غير الصواب اخر النصح واقلل عتابي
وقال ايضا وكم من قتيل ما يباء به دم ومن غلق رهن اذا الفه منا
ومن مالئ عينيه من شيء غيره اذا راح نحو الجمرة البيض بالدما اراد وكم
من انسان قتيل وقال رجل من بجيلة كم من ضعيف العقل
منتكب القوى ما ان له نقض ولا ابرام اراد وكم من انسان ضعيف
العقل والقوى **فان قيل** ان كان الامر على ما ذكرتم فلم قال
تعالى فلا تسالني ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين
وكيف قال نوح عليه السلام من بعد رب اني اعوذ بك ان اسالك
ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين **قلنا**
ليس يمتنع ان يكون عليه السلام نهي عن سوال ما ليس له به علم وان لم
يقع منه وان يكون هو عليه السلام تعوذ من ذلك وان لم يكن بواقعة
الا ترى ان نبينا عليه السلام قد نهي عن الشرك والكفر وان لم يقعا
منه في قوله لئن اشركت ليحبطن عملك وانما سال نوح عليه السلام
نجاة ابنه باشتراط المصلحة لا على سبيل القطع فلما بين تعالى
ان المصلحة في غير نجاته لم يكن ذلك خارجا عما تضمنه السوال
فاما قوله تعالى اني اعظك ان تكون من الجاهلين فمعناه
لان لا تكون منهم ولا شك في ان وعظه تعالى هو الذي يعرف عن

الجهل

الجهل وتنزه عن فعاله وكل هذا واضح **مسئلة قال فما معنى قوله تم**
حاكيا عن ابراهيم عليه السلام فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا
ربي فلما افل قال لا احب الافلين فلما راى القمر بازغا قال هذا
ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين
فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال
يا قوم اني بريء مما تشركون اوليس ظاهر هذا الكلام يقتضي انه عليه
السلام كان يعتقد في وقت من الاوقات الالهية الكواكب وهذا مما
قلتم انه لا يجوز على الانبياء عليهم السلام **والجواب** قيل له في هذه
الاية جوابان احدهما ان ابراهيم عليه السلام انما قال ذلك في زمان
مهلة النظر وعند كمال عقله وحضور ما يوجب عليه النظر بقلبه
وتحريك الدواعي على الفكر والتامل له لان ابراهيم عليه السلام لم
يخلق عارفا بالله تعالى وانما اكتسب المعرفة لما اكمل الله عقله
وخوفه من ترك النظر بالخواطر والدواعي فلما راى الكواكب وقد
روي في التفسير انه الزهرة واعظمه ما راها عليه من النور وعجيب
الخلق وقد كان قومه يعبدون الكواكب ويزعمون انها الالهة قال
هذا ربي على سبيل الفكر والتامل كذلك فلما غابت وافلت
وعلم ان الافول لا يجوز على الاله علم انها محدثة متغيرة
منتقلة وكذلك كانت حاله في روية القمر والشمس وانه لما راى

افول لهما قطع على حدوثهما واستحالة الالهية فيهما وقال في اخر الكلام يا قوم
اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
حنيفا وما انا من المشركين وكان هذا القول منه عقيب معرفته بالله
تعالى وعلمه بان صفات المحدثين لا تجوز عليه **فان قيل** كيف يجوز ان يقول
عليه السلام هذا ربي مخبرا وهو غير عالم بما يخبر به والاخبار بما لا يأمن
المخبر ان يكون كاذبا فيه قبيح في حال كمال عقله ولزوم النظر له لابد
من ان يلزمه التحرز من الكذب وما جرى مجراه في القبح **قلنا**
عن هذا جوابان احدهما انه لم يقل ذلك مخبرا وانما قاله فارضا ومقدرا
على سبيل الفكر والتأمل الا ترى انه قد يحسن من احدنا اذا كان ناظرا
في شيء ومميلا بين كونه على احدى صفتيه ان يفرضه احدهما لينظر
فيما يؤدي ذلك الفرض اليه من صحة او فساد ولا يكون بذلك مخبرا
في الحقيقة ولهذا يصح من احدنا اذا نظر في حدوث الاجسام وقدمها
ان يفرض كونها قديمة ليتبين ما يؤدي اليه ذلك الفرض من الفساد
والجواب الاخر انه اخبر عن ظنه وقد يجوز ان يظن المفكر المتامل
في حال نظره وفكره ما لا اصل له ثم يرجع عنه بالادلة والعلم ولا يكون
ذلك منه قبيحا **فان قيل** الاية تدل على ان ابراهيم عليه السلام ما
كان رأى هذه الكواكب قبل ذلك لان تعجبه منها تعجب من لم يكن رآها
فكيف يجوز ان يكون الى مدة كمال عقله لم ير هذه السماء وما
فيها من النجوم **قلنا** لا يمتنع ان يكون ما رأى السماء الا في ذلك

الوقت

الوقت لانه على ما روي كان ولدته امه في مغارة خوفا من ان يقتله
النمرود ومن يكون في المغارة لا يرى السماء فلما قارب
البلوغ وبلغ حد التكليف خرج من المغارة ورأى السماء وفكر
فيها **وقد يجوز** ايضا ان يكون قد رأى السماء قبل ذلك الا انه
لم يفكر في اعلامها لان الفكر لم يكن واجبا عليه وحين كمل عقله وحركته
الخواطر فكر في الشيء الذي كان يراه قبل ذلك ولم يكن مفكرا فيه
والجواب الاخر في اصل المسألة هو ان ابراهيم عليه السلام لم يقل
ما تضمنته الايات على طريق الشك ولا في زمان النظر والفكر
بل كان في تلك الحال موقنا عالما ان ربه تعالى لا يجوز ان يكون
بصفة الكواكب وانما قال ذلك على سبيل الانكار على قومه
والتنبيه لهم على ان ما يغيب ويأفل لا يجوز ان يكون الها معبودا
ويكون قوله هذا ربي محمولا على احد وجهين اي هو كذلك
عندكم وعلى مذاهبكم كما يقول احدنا للمشبهة على سبيل الانكار
لقوله هذا ربه جسم يتحرك ويسكن والوجه الاخر ان يكون قال
ذلك مستفهما واسقط حرف الاستفهام للاستغناء عنه وقد
جاء في الشعر ذلك كثيرا قال الاخطل

كذبتك عينك ام رأيت بواسط ... غلس الظلام من الرباب خيالا

وقال الاخر

لعمرك ما ادري وان كنت داريا ... بسبع رمين الجمر ام بثمان

وقال ابن ابي ربيعة

ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد القطر والحصا والتراب

فان قيل حذف حرف الاستفهام انما يحسن اذا كان في الكلام دلالة عليه وعوض منه وليس في بيت عمر مع فقد العوض وما انشدتموه فيه عوض عن حرف الاستفهام المتقدم والاية وليس ذلك فيها قلنا قد يحذف حرف الاستفهام مع ثبات العوض عنه ومع فقده اذا زال اللبس في معنى الاستفهام وبيت ابن ابي ربيعة خال من حرف الاستفهام ومن العوض عنه قد روي عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى فلا اقتحم العقبة قال هو فلا اقتحم العقبة فالقيت الف الاستفهام وبعد فاذا جاز ان يلقوا الف الاستفهام لدلالة الخطاب عليها فالا جاز ان يلقوها لدلالة العقول عليها لان دلالة العقل اقوى من دلالة غيره مسئلة فان قال فما معنى قوله تعالى مخبرا عن ابراهيم عليه السلام لما قال له قومه انت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون وانما عنى بالكبير الصنم الكبير وهذا كذب لا شك فيه لان ابراهيم عليه السلام هو الذي كسر الاصنام فاضافته تكسيرها الى غيره ممن لا يجوز ان يفعل شيئا لا يكون الا كذبا الجواب قيل له الخبر مشروط غير مطلق لانه قال ان كانوا ينطقون ومعلوم ان الاصنام لا تنطق وان النطق مستحيل وان اراد ابراهيم

عليه السلام

عليه السلام بهذا القول تنبيه القوم وتوبيخهم وتعنيفهم بعبادة من لا يسمع ولا يبصر ولا ينطق ولا يقدر ان يخبر عن نفسه بشيء فقال ان كانت هذه الاصنام تنطق فهي الفاعلة للتكسير لان من يجوز ان ينطق يجوز ان يفعل واذا علم استحالة النطق عليها علم استحالة الفعل وعلم باستحالة الامرين انها لا يجوز ان تكون الهة معبودة وان من عبدها ضال مضل ولا فرق بين قوله انهم فعلوا ذلك ان كانوا ينطقون وبين قوله انهم ما فعلوا ذلك ولا غيره لانهم لا ينطقون ولا يقدرون واما قوله فاسئلوهم فانما امر بسؤالهم ايضا على شرط والنطق فمنع شرط في الامرين فكانه قال ان كانوا ينطقون فاسئلوهم فانه لا يمتنع ان يكونوا فعلوه وهذا يجري مجرى قول احدنا لغيره من فعل هذا الفعل فيقول زيد ان كان فعل كذا وكذا ويشير الى فعل يضيفه السائل الى زيد وليس في الحقيقة من فعله ويكون غرض المسؤول نفي الامرين عن زيد وتنبيه السائل عن خطئه في اضافة ما اضافه الى زيد وقد قرا بعض القراء وهو محمد ابن السميقع اليماني فعله كبيرهم بتشديد اللام والمعنى فلعله اي فلعل فاعل ذلك كبيرهم وقد جرت عادة العرب بحذف اللام الاولى من لعل فيقولون عل قال الشاعر

عل صروف الدهر او دولاتها يدلننا اللمة من لماتها

فتستريح النفس من زفراتها

وقال يا بني اخرج علك يا بني علك او عساك
فان قيل فاي فائدة في ان يستفهمهم عن امر يعلم استحالته
واي فرق في المعنى بين القراءتين قلنا لم يستفهم ولا شك
على الحقيقة وانما نبههم بهذا القول على خطائهم في عبادة الاصنام
فكانه قال لهم ان كانت هذه الاصنام تضر وتنفع وتعطي وتمنع
فلعلها هي الفاعلة لذلك التكسير لان من جاز منه ضرب من الافعال
جاز منه ضرب اخر واذا كان ذلك الفعل الذي هو التكسير لا يجوز
على الاصنام عند القوم فما هو اعظم منه اولى بان لا يجوز عليها
وان لا يضاف اليها والفرق بين القراءتين ظاهر لان القراة
الاولى لها ظاهر الخبر فاحتجنا الى ان نعلقه بالشرط ليخرج
من ان يكون كذبا والقراءة الثانية تتضمن حرف الشك والاستفهام
فهما مختلفتان على ما ترى فان قيل اليس قد روى بشر
بن المفضل عن عوف عن الحسن قال بلغني ان رسول الله صلى الله
عليه واله قال ان ابراهيم عليه السلام ما كذب متعمدا قط
الا ثلث مرات كلهن يجادل بهن عن دينه قوله اني سقيم وانما
تمارض عليهم لان القوم خرجوا من قريتهم لعيدهم وتخلف هو ليفعل
بالهتهم ما فعل وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة انها اختي
لجبار من الجبابرة اراد اخذها قلنا قد بينا بالادلة العقلية التي
لا يجوز فيها الاحتمال ولا خلاف الظاهر ان الانبياء عليهم السلام

لا يجوز عليهم

لا يجوز عليهم الكذب فما ورد بخلاف ذلك من الاخبار لا يلتفت اليه ويقطع
على كذبه ان كان لا يحتمل تاويلا صحيحا يليق بادلة العقل فان احتمل تاويلا
يطابقها تاولناه ووفقنا بينه وبينها وهكذا نفعل بالاخبار التي تتضمن ظواهرها
الجبر والتشبيه فاما قوله عليه السلام اني سقيم فسنبين بعد هذه المسئلة
بلا فصل وجه ذلك وانه ليس بكذب وقوله بل فعله كبيرهم قد
بينا معناه ونفينا عنه فاما قوله لسارة انها اختي فان صح فمعناه انها
اختي في الدين ولم يرد اخوة النسب فاما ادعاؤهم على النبي عليه السلام انه قال
ما كذب ابراهيم الا ثلث كذبات فالاولى ان يكون كذبا عليه لانه
عليه السلام كان اعرف بما يجوز على الانبياء عليهم السلام وما لا يجوز عليهم فما
ويحتمل ان كان صحيحا ان يريد ما اخبر بما ظاهره الكذب الا ثلث دفعات
فاطلق عليه اسم الكذب لاجل الظاهر وان لم يكن على الحقيقة كذلك
مسئلة فان قال فما معنى قوله تعالى مخبرا عن ابراهيم عليه السلام
فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم والسؤال عليكم في هذه
الاية من وجوه احدها ان ابراهيم عليه السلام كانت به علة تاتيه
في اوقات مخصوصة فلما دعوه الى الخروج معهم نظر الى النجوم ليعرف
منها قرب نوبة علته فقال اني سقيم واراد انه قد حضر
وقت العلة وزمان نوبتها وشارفت الدخول فيها وقد تسمي
العرب المشارف للشي باسم الداخل فيه ولهذا يقولون

فمن اذ نقيد المرض وخيف عليه الموت هو ميت وقال الله تعالي
انك ميت وانهم ميتون فان قيل لو اراد ما ذكرتموه لقال فنظر
الي النجوم ولم يقل في النجوم لان لفظة في لا تستعمل الا فيمن ينظر
لما ينظر النجم قلنا ليس يمتنع ان يريد بقوله في النجوم
انه نظر اليها لان حروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض
قال الله تعالي ولاصلبنكم في جذوع النخل وانما اراد
علي جذوعها وقال الشاعر اسهري ما سهرت ام حليم
واقعدي مرة لذاك وقومي وافتحي الباب فانظري في النجوم كم
علينا من قطع ليل بهيم وانما اراد انظر اليها لتعرف الوقت ومنها
انه يجوز ان يكون الله تعالي اعلمه بالوحي انه سيمتحنه بالمرض في
وقت مستقبل وان لم يكن قد جرت بذلك المرض عادته وجعل الله تعالي
العلامة علي ذلك ظاهرة له من قبل النجوم اما طلوع نجم علي وجه
مخصوص او اقتران له باخر علي وجه مخصوص فلما نظر ابراهيم عليه السلام
في الامارة التي نصبت له من النجوم قال اني سقيم تصديقا
باخبار الله تعالي ومنها ما قاله قوم في ذلك من ان من
كان اخر امره الموت فهو سقيم وهذا احسن لان تشبيه
الحياة المقتضية الي الموت بالسقم من احسن التشبيه ومنها
ان يكون قوله اني سقيم معناه اي سقيم القلب والراي

حزنا

بلوغها

من الحزن لما من اصرار قومه علي عبادة الاصنام وهي لا تسمع ولا تبصر ويكون
قوله فنظر نظرة في النجوم علي هذا معناه انه نظر وفكر في انها
محدثة مدبرة مصرفة وعجب كيف يذهب علي العقلاء ذلك من حالها حتي
يعبدوها ويجوز ايضا ان يكون قوله تعالي فنظر نظرة في النجوم
ومعناه انه اي شخص ببصره الي السماء كما يفعل المفكر والمتامل فانه ربما
اطرق الي الارض وربما نظر الي السماء استعانة علي فكره وقد قيل
ان النجوم هاهنا هي نجوم النبت لانه يقال لكل ما خرج من الارض وغيرها
وطلع انه ناجم وقد نجم ويقال للجميع نجوم ويقولون نجم قرن الظبي
ونجم ثدي المراة وعلي هذا الوجه يكون انما نظر في حال الفكرة
والاطراق الي الارض فراي ما نجم منها وقيل ايضا انه اراد بالنجوم
ما نجم له من رايه وظهر له بعد ان لم يكن ظاهرا وهذا وان كان يحتمله
الكلام فالظاهر بخلافه لان الاطلاق من قول القايل نجوم
لا يفهم من ظاهره الا نجوم السماء دون نجوم الارض ونجوم الراي وليس
كل ما قيل فيه انه نجم وهو ناجم علي الحقيقة يصلح ان يقال فيه نجوم بالاطلاق
والمرجع في هذا الي تعارف اهل اللسان وقال ابو مسلم
محمد بن بحر الاصفهاني ان معني قوله تعالي فنظر نظرة في النجوم
اراد في القمر والشمس التي ظن انها آلهة في حال مهلة النظر علي ما قصه

تعالى من قصته في سورة الانعام ولما استدل بافولها وعزوبها
على انها محدثة غير قديمة ولا الهة واراد بقوله اني سقيم اي لست
على يقين من الامر ولا شفاء من العلم وقد يسمى الشك بانه سقم كما يسمى
العلم بانه شفاء قال وانما زال عنه هذا السقم عند زوال الشك وكمال
المعرفة وهذا الوجه يضعف من جهة ان القصة التي حكي عن ابراهيم
عليه السلام فيها هذا الكلام يشهد ظاهرها بانها غير القصة المذكورة
في سورة الانعام وان القصة مختلفة لانه تعالى قال وان من
شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم اذ قال لابيه وقومه ماذا
تعبدون افكا الهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين فنظر
نظرة في النجوم فقال اني سقيم فبين تعالى كما ترى انه جاء
ربه بقلب سليم وانما اراد انه كان سليما من الشك وخالصا للمعرفة
واليقين ثم ذكر انه عاتب قومه على عبادة الاصنام فقال
ماذا تعبدون وسما عبادتهم بانها افك وباطل ثم قال فما ظنكم
برب العالمين وهذا قول عارف بالله تعالى
مثبت له على صفاته غير ناظر ولا ممثل ولا شاك فكيف يجوز ان
يكون قوله من بعد ذلك فنظر نظرة في النجوم انه ظنها اربابا
الهة وكيف يكون قوله اني سقيم اي لست على يقين ولا شفاء والجحد

والجحد

والمعتمد في تاويل ذلك ما قدمناه
فما قولكم في قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ان اتاه الله
الملك اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت
قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب
وهذا يدل على انقطاع ابراهيم وعجزه عن نصرة دليله الاول
ولهذا انتقل الى حجة اخرى وليس ينتقل المحتج من شيء الى غيره الا على
وجه القصور عن نصرته قلنا ليس هذا بانقطاع ابراهيم
عليه السلام ولا عجز عن نصرة حجته الاولى وقد كان ابراهيم عليه السلام
قادرا لما قال له الجبار الكافر وانا احيي واميت في جواب قوله
ربي الذي يحيي ويميت وقال انه دعا رجلين فقتل احدهما
واستحيا الاخر فقال عند ذلك انا احيي واميت وموه بذلك
على من بحضرته على ان يقول له ما اردت بقولي ان ربي يحيي ويميت
ما ظننته من استبقاء حي وانما اردت انه يحيي الميت الذي لا حياة فيه
الا ان ابراهيم عليه السلام علم انه ان اورد ذلك عليه التبس الامر على
الحاضرين وقويت الشبهة لاجل اشتراك الاسم فعدل الى ما هو اوضح
وابين واكشف وابعد من الشبهة فقال فان الله ياتي بالشمس من
المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر ولم يبق عنده شبهة

ومن كان قصده البيان والايضاح له ان يعدل من طريق الى اخر لوضوحه
وبعده عن الشبهة وان كان على الطريقين يفضي الى الحق على انه بالكلام
الثاني ناصر للحجة الاولى وغير خارج عن سنن نصرتها لانه لما قال
ربي الذي يحيي ويميت فقال له في الجواب انا احيي واميت قال
له من شان هذا الذي يحيي ويميت ان يقدر على ان ياتي بالشمس من
المشرق ويغربها كيف شاء فان ادعيت انت القدرة على ما يقدر
الرب عليه فأت بالشمس من المغرب كما ياتي هو بها من المشرق
واذا عجزت عن ذلك علمنا انك عاجز عن الحياة والموت ومدع
فيهما ما لا اصل له فلو قال له في الجواب هذا الكلام
فربك لا يقدر على ان ياتي بالشمس من المغرب فكيف يلزمني ان اتي
انا بها من المغرب لو قال له ذلك لكان ابراهيم عليه السلام
يدعوا الله تعالى ان ياتي بالشمس من المغرب فيجيبه الى ذلك وان كان
معجزا خارقا للعادة ولعل الخصم انما عدل عن ان يقول له ذلك علما
بانه اذا سال الله تعالى فيه اجابه اليه فان
قال فما معنى قوله تعالى حاكيا عن ابراهيم عليه السلام رب ارني كيف
تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اوليس هذا
الكلام والطلب من ابراهيم عليه السلام يدل على انه لم يكن موقنا بان
الله تعالى يحيي الاموات وكيف يكون نبيا من يشك في ذلك اوليس
قد روى المفسرون ان ابراهيم عليه السلام مر بحوت نصفه في البر ونصفه
في البحر ودواب البر والبحر تاكل منه فاحضر الشيطان بما له استعداد

رجوع ذلك حيا مؤلفا مع تفرق اجزائه وانقسام اعضائه في بطون
حيوان البر والبحر فشك فسال الله تعالى ما تضمنته الاية وروى
ابو هريرة عن رسول الله صلوات الله عليه واله انه قال
نحن احق بالشك من ابراهيم **الجواب** قيل له ليس في الاية
دلالة على شك ابراهيم عليه السلام في احياء الموتى وقد يجوز ان
يكون انما سال ذلك ليعلمه على وجه يبعد من الشبهة ولا
يعترض فيه شك ولا ارتياب وان كان من قد علمه على وجه
للشبهة فيه مجال ونحن نعلم ان لمشاهدة ما شاهده ابراهيم
عليه السلام من كون الطير حيا كما كان في الحال الاولى من الوضوح
وقوة العلم ونفي الشبهة ليس لغيره من وجوه الاستدلالات والنبي
عليه السلام اذ سال ربه تخفيف المحنة وتسهيل تكليفه والذي
يبين صحة ما ذكرناه قوله تعالى اولم تؤمن قال بلى
ولكن ليطمئن قلبي فقد اجاب ابراهيم عليه السلام بمعنى جوابنا بعينه
لانه بين انه لم يسال ذلك لشك فيه وفقد ايمان به وانما اراد
الطمانينة وهي ما اشرنا اليه من سكون النفس وانتفاء الخواطر
والوساوس والبعد عن اعتراض الشبهة **ووجه** اخر وهو
انه قد قيل ان الله تعالى لما بشر ابراهيم عليه السلام بخلته
واصطفائه واجتبائه سال الله تعالى ان يريه احياء الموتى
ليطمئن قلبه بالخلة لان الانبياء عليهم السلام لا يعلمون صحة

ما تضمنه الوحي الا باستدلال فسال احياء الموتي لهذا الوجه
لا للشك في قدرة الله تعالي عن ذلك **ووجه اخر**
وهو ان نمرود ابن كنعان لما قال لابراهيم عليه السلام انت
تزعم ان ربك يحيي الموتي وانه قد ارسلك الي تدعو في الي عبادته
مسئله الله يحيي لنا ميتا ان كان علي ذلك قادرا فان لم يفعل
قتلتك قال ابراهيم عليه السلام رب ارني كيف تحيي الموتي
ويكون معني قوله ولكن ليطمئن قلبي علي هذا الوجه اي لا من
من القتل ويطمئن قلبي بزوال الروع والخوف وهذا الذي
ذكرناه وان لم يكن مرويا علي هذا الوجه فهو مجوز واذا جاز
صلح ان يكون وجها في تاويل الاية مستانفا **ووجه**
اخر وهو انه يجوز ان يكون ابراهيم عليه السلام انما سال احياء
الموتي لقومه وليزول شكهم في ذلك وشبهتهم ويجري
مجري سوال موسي عليه السلام الروية لقومه ليصدر منه تعالي
الجواب علي وجه يزيل شبهتهم في جوازها عليه ويكون
قوله ليطمئن قلبي علي هذا الوجه معناه ان نفسي تسكن الي
زوال شكهم وشبهتهم او ليطمئن قلبي الي اجابتك اياي فيما اسئل
فيه وكل هذا جائز وليس في الظاهر ما يمنع منه لان قوله
ولكن ليطمئن قلبي ما يتعلق في ظاهر الاية بامر لا يسوغ العدول
عنه مع التمسك بالظاهر وما تعلقت هذه الطمانينة به غير
مصرح بذكره **قلنا** ان نتعلقه بكل امر يجوز ان يتعلق

به **فان قيل** فما معني قوله اولم تومن وهذا اللفظ استقبال وعندكم
انه كان مومنا فيما مضي **قلنا** معني ذلك اولم يكن قد امنت والعرب تاتي
بهذا اللفظ وان كان في ظاهره الاستقبال وتريد الماضي فيقول احدهم
لصاحبه اولم تعاهدني علي كذا وكذا وانما يريد الماضي دون المستقبل
فان قيل فما معني قوله تعالي فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل
علي كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن ياتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم
قلنا قد اختلف اهل العلم في معني قوله فصرهن اليك فقال
قوم معني صرهن ادنهن واملهن قال الشاعر في وصف الابل
يظل معقلات السوق خوصا ٭ تصور انوفها ريح الجنوب (الطرماح)
اراد ان ريح الجنوب تميل انوفها وتعطفها وقال
عفاتني الاذكار او ان يصورها ٭ هوي والهوي للعاشقين صدود
ويقول القايل لغيره صر وجهك الي اي اقبل به علي ومن حمل الاية
علي هذا الوجه لا بد من ان يقدر محذوفا في الكلام يدل عليه سياق اللفظ
ويكون تقدير الكلام فخذ اربعة من الطير فاملهن اليك ثم قطعهن ثم اجعل
علي كل جبل منهن جزءا **وقال** قوم ان معني صرهن اي قطعهن
وفرقهن واستشهدوا بقول توبة ابن الحمير لقول
فلما جذبت الحبل اطت نسوعه ٭ باطراف عيدان شديد اسورها
فادنت لي الاسباب حتي بلغتها ٭ بنهضي وقد كاد ارتقاي يصورها
وقال الاخر
يقولون ان الشام يقتل اهله ٭ فمن لي ان لم اته بخلود

يعرب اباتي بعلوهراهم من الموت اني لم يذهبوا وجدودي
اباد تقطعهم والاصل صرا يصري صريًا من قولهم بات يصري في خوصته
اذا استقاه تقطع والاصل صري تقدمت اللام واخرت العين هذا
قول الكوفيين واما البصريين فانهم يقولون انصار يصير ويصور بمعنى
واحد اي تقطع ويستشهدون بالابيات التي تقدمت وبقول
الخنسا لظلت الشم منها وهي تنصار وعلى هذا الوجه لا بد في
الكلام من تقديم وتاخير ويكون التقدير فخذ اربعة من الطير اليك
فصرهن اي قطعهن فاليك من صلة خذ لان التقطيع لا يعدى بالى
فان قيل ما معنى قوله تعالى ثم ادعهن ياتينك سعيًا وهل امر
الدعاء لهن وهن احيا او اموات وعلى كل حال فدعاؤهن قبيح
لان امر البهايم التي لا تعقل ولا تفهم قبيح وكذلك امرهن وهن
اعضاء متفرقة ظاهر في القبح قلنا لم يرد بذلك الا حال الحيوة دون
حال التفرق والتمزق واراد بالدعاء الاشارة الى تلك الطيور فان
الانسان قد يشير الى البهيمة بالمجي او الذهاب فتفهم عنه ويجوز
ان يسمى ذلك دعاء اما على الحقيقة او على المجاز وقد قال ابو
جعفر الطبري ان ذلك ليس بامر ولا دعاء ولكنه عبارة عن
تكوين الشي ووجوده كما قال تعالى في الذين مسخهم كونوا
قردة خاسئين وانما هو عن تكوينهم كذلك من غير امر ولا دعاء
فيكون المعنى على هذا التاويل ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا فان
الله تعالى يولف تلك الاجزاء ويعيد الحيوة فيها فياتينك

سعيا

سعيا وهذه اوجه قريب فان قيل على الوجه الاول كيف يصح
ان يدعوها وهي احيا وظاهر الاية يشهد بخلاف ذلك لانه تعالى قال
ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم قال عقيب هذا الكلام من غير فصل
ثم ادعهن ياتينك سعيا فدل ذلك على ان الدعا توجه اليهن وهن اجزا
متفرقة قلنا ليس الامر على ما ذكر في السوال لان قوله ثم اجعل
على كل جبل منهن جزءا لا بد من تقدير محذوف بعده وهو فان الله
يولفهن ويحييهن ثم ادعهن ياتينك سعيا ولا بد من حمل الدعاء لهن في
حال التفرق وانتفاء الحياة منه تقدير محذوف في الكلام لانا نعلم
ان تلك الاجزاء والاعضاء لا ياتي عقيب الدعاء بلا فصل ولا بد
من ان تقدير في الكلام عقيب قوله ثم ادعهن بلا فصل فان الله
يولفهن ويحييهن فياتينك سعيا فاما ابو مسلم الاصفهاني فانه
فرارا مما من هذا السوال حمل الكلام على وجه ظاهر الفساد لانه قال
ان الله تعالى امر ابراهيم عليه السلام ان ياخذ اربعة من الطيور فيجعل
على كل جبل طيرا ويعبر بالجزء عن واحد من الاربعة ثم امره بان يدعوهن
وهن احياء من غير اماتة تقدمت ولا تفرق من الاعضاء ويمرنهن
على الاستجابة لدعائه والمجي اليه في كل وقت يدعوها فيه وينبهه
بذلك على انه تعالى اذا اراد احياء الموتى وحشرهم اتوه من الجهات
كلها مستجيبين غير ممتنعين كما ياتي هذه الطيور بالتمرين والتعويد
وهذا ليس بشي لان ابراهيم عليه السلام انما سال الله ان يريه

كيف يحيي الموتى وليس في يحيي الطيور وهي احيار بالعادة والتجربة دلالة
على ما سال عنه ولا حجة فيه وانما يكون في ذلك بيان لمسئلته اذا كان على
الوجه الذي ذكرناه فان قيل اذا كان انما امر بدعائها بعد حال التاليف
والحيوة فاي فايدة في الدعاء وهو قد علم لما راها تتالف اعضاوها
من بعد التفرق انها قد عادت الى حال الحيوة فلا معنى في الدعاء الا ان
يكون عبثا او لانها هي متفرقة قلنا للدعاء فايدة تنبيهية لانه يتحقق
من بعيد رجوع الحيوة الى الطيور وان شاهدها متالفة وانما يتحقق ذلك
بان يسعى اليه ويقترب منه مسئلة فان قيل فما معنى قوله
تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه
وكيف يجوز ان يستغفر او ان يعده الاستغفار الجواب
قلنا معنى هذه الاية ان اباه كان وعده بان يومن واظهر له الايمان
على سبيل النفاق حتى ظن به الخير فاستغفر له الله تعالى على
هذا الظن فلما تبين له انه مقيم على كفره رجع الاستغفار له وتبرأ
منه على ما نطق به القران فكيف يجوز ان يجعل ذلك ذنبا لابرهيم
عليه السلام وقد عذره الله تعالى في قوله ان استغفاره انما
كان لاجل الموعده وانه تبرأ منه لما تبين له المقام على عداوة
الله تعالى فان قيل ان لم تكن هذه الاية دالة على اضافة
الذنب اليه فالاية التي في سورة الممتحنة تدل على ذلك لانه
تعالى قال قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين
معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله
كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تومنوا

بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فامرنا بالتاسي به
الا في هذا الفعل وهذا يقتضي انه قبيح قلنا ليس الجواب يجب ما ذكر
في السوال بل وجه استثنآ ابراهيم عليه السلام لابيه من جملة ما امر الله
تعالى بالتاسي به فيه انه لو اطلق الكلام لاوهم بالتاسي به في ظاهر
الاستغفار من غير علم بوجهه والموعده السابقة من ابيه له بالايمان
وادى ذلك الى حسن الاستغفار للكفار فاستثنى الاستغفار من
جملة الكلام لهذا الوجه ولانه لم يكن ما اظهره لابيه عليه السلام من
الايمان ووعده به معلوما لكل احد فيزول الاشكال في انه استغفر
لكافر مصر على كفره ويمكن ايضا ان يكون قوله الا قول ابراهيم
لابيه استثنآ من غير التاسي بل من الجملة الثانية التي يعقبها هذا
القول بلا فصل وهي قوله اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم الى
قوله وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا الاية لما
كان استغفار ابراهيم لابيه مخالفا لما تضمنته هذه الجملة وجب استثناؤه
والا توهم بظاهر الكلام انه عامل اباه من العداوة والبرآءة بما عامل به
غيره فاما قوله الا عن موعدة وعدها اياه فقد قيل ان الوعد
انما كانت من الاب بالايمان للابن وهو الذي قدمنا وقيل
انها كانت من الابن بالاستغفار للاب في قوله لاستغفرن لك
والاولى ان تكون الموعده هي من الاب بالايمان للابن لان

حملناه على الوجه الثاني كانت المسألة قائمة وللقائل ان يقول
ولم اراد ان يعده بالاستغفار وهو كافر وعند ذلك لا بد من ان يقال
انه اظهر له الايمان حتى ظنه به فنعود الى معنى الجواب الاول
فان قيل فما تنكرون من ذلك ولعل الوعد كان من الابن للاب
بالاستغفار وانما وعده به لانه اظهر له الايمان قلنا
ظاهر القرآن يمنع من ذلك لانه تعالى قال وما كان استغفار
ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فجعل حسن الاستغفار
بالموعدة ولا تكون الموعدة مؤثرة في حسن الاستغفار الا بان تكون
من الاب للابن بالايمان لانها اذا كانت من الابن لم يحسن لها
الاستغفار لانه ان قيل انما وعده الاستغفار لاظهاره له
الايمان فالمؤثر في حسن الاستغفار هو اظهار الايمان لا الوعد
فان قيل افليس اسقاط عقاب الكفر والغفران لمرتكبه
كان جائزا من طريق العقول وانما منع منه السمع فالا جاز ان
يكون ابراهيم عليه السلام انما استغفر لابيه لان السمع لم يقطع له على
عقاب الكفار وكان باقيا على حكم العقل وليس يمكن ان يدعى ان
ما في شرعنا من القطع على عقاب الكفار كان في شرعه لان هذا
لا سبيل اليه قلنا هذا الوجه كان جائزا لولا ما نطق القرآن
به من خلافه لانه تعالى لما قال ما كان للنبي والذين امنوا ان
يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم

اصحاب الجحيم ثم قال عاطفا على ذلك وما كان استغفار ابراهيم
لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه فخرج
بعلة حسن استغفاره انما الموعدة ولو كان الوجه في حسن الاستغفار
ما تضمنته الاية السؤال لوجب ان يعلل استغفاره لابيه بانه
لم يعلم انه من اهل النار لا بالموعدة ولم يقطع في شرعه على عقاب الكفار
والكلام يقتضي خلاف هذا ويوجب انه ليس لابراهيم عليه السلام من
ذلك ما ليس لنا وان عذره فيه هو الموعدة دون غيرها وقد
قال ابو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي في تاويل الاية
في سورة التوبة ما نحن ذاكروه ومنبهون على خلل فيه قال بعد
ان ذكر ان الاستغفار انما كان لاجل الموعدة من الاب بالايمان
ان الله تعالى انما ذكر قصة ابراهيم عليه السلام بعد قوله ما كان للنبي
والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين لئلا يتوهم احد ان الله
عز وجل كان جعل لابراهيم عليه السلام من ذلك ما لم يجعله للنبي صلى
الله عليه لانه هذا الذي لم يجعله للنبي صلى الله عليه واله لان هذا
الذي لم يجعله للنبي عليه السلام لا يجوز ان يجعله لاحد لانه ترك
الرضى بافعال الله واحكامه وهذا الذي ذكره غير صحيح على ظاهره
لانه يجوز ان يجعل لغير نبينا عليه السلام ممن لم يقطع له على ان الكفار معاقبون
لا محالة ان يستغفر للكفار لان العقل لا يمنع من ذلك وانما يمنع

السمع الذي مرضا ارتفاعه فان قال اردت انه ليس لاحد ذلك مع
القطع علي العقاب قلنا ليس هكذا يقتضي ظاهر كلامك وقد كان يجب
اذا اردت هذا المعني ان يبينه ويزيل الابهام عنه وانا لم يجز ان يستغفر
للكفار مع ورود الوعيد القاطع علي عقابهم نائيا علي ما ذكره ابو علي من
انه ترك للرضا باحكام الله تعالي اذ فيه سوال له تعالي ان يكذب
في اخباره وان يفعل القبيح من حيث خبرنا بانه لا يغفر للكفار مع الاصرار
مسالة فان قال اذا كان من مذهبكم ان دعاء الانبياء لا يكون
الا مستجابا وقد دعا ابراهيم عليه السلام ربه فقال واجنبني وبني ان
نعبد الاصنام وقد عبد كثير من بنيه الاصنام وكذلك السوال عليكم في
قوله رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي الجواب قيل له اما
المفسرون فانهم حملوا هذا الدعاء علي الخصوص وجعلوه متناولا لمن
اعلمه الله تعالي انه يومن ولا يعبد الاصنام حتي يكون الدعاء مستجابا
وبينوا ان العدول عن ظاهره المقتضي للعموم الي الخصوص بالدلالة
واجب وهذا الجواب صحيح ويمكن في الاية وجه اخر
وهو ان يريد بقوله اجنبني وبني ان نعبد الاصنام اي افعل بي
وبهم من الالطاف ما يباعدنا من عبادة الاصنام وتصرف دواعينا
عنها وقد يقال فيمن حذر من الشي ورغب في تركه وقويت
صوارفه عن فعله انه قد جنبه الا تري ان الوالد قد يقول لولده
اذا كان قد حذره من بعض الافعال وبين له قبحه وما فيه من
الضرر وزين له تركه وكشف عما فيه له من النفع انني قد جنبتك

كذا وكذا

كذا وكذا ومنعتك منه وانما يريد ما ذكرناه وليس لاحد ان يقول كيف
يدعو ابراهيم عليه السلام بذلك وهو يعلم ان الله لا بد ان يفعل هذا
اللطف المقوي للداعي الي الايمان لان هذا السوال اذا اتجه علي الجواب الذي
ذكرناه اتجه علي كل جواب لانه تعالي لا بد ان يفعل الذي تقع الطاعة عنده لا محالة كما لا
بد ان يفعل الذي تقع الطاعة عنده لا محالة كما لا بد ان يفعل ما يقوي
الداعي الي الطاعات والجواب عن هذه الشبهة ان النبي لا يمتنع
ان يدعو بما يعلم ان الله تعالي سيفعله علي كل حال علي سبيل الانقطاع
الي الله تعالي والتذلل والتعبد فاما قوله رب اجعلني مقيم
الصلوة ومن ذريتي فالشبهة تقل فيه لان ظاهر الكلام يقتضي الخصوص
وفي ذريته الخصوص من اقام الصلوة مسالة فان قيل فما معني قوله
تعالي ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشري قالوا سلاما قال
سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ وكيف يخفي علي ابراهيم الملائكة عليهم السلام
الطعام وهو يعلم انهم لا تطعم ومن اي شي كانت مخافته منهم لما امتنعوا
من تناول الطعام وكيف يجوز ان يجادل ربه فيما قضاه وامر به
والجواب قلنا اما وجه تقديم الطعام فلانه لم يعلم في الحال انهم
ملائكة لانهم كانوا في صورة البشر وظنهم اضيافا وكان من عادته
قري الضيف فدعاهم الي الطعام ليستانسوا وينبسطوا فلما امتنعوا انكر
ذلك منهم وظن ان الامتناع لسوء يريدونه حتي خبروه بانهم رسل الله
تعالي انفذهم لاهلاك قوم لوط فاما الحنيذ فهو المشوي بالحجار

وقيل ان الحنيذ الذي يقطر ماؤه ودسمه وقد شوي وقيل ان
الحنيذ النضيج وانشد ابو العباس شعرا اذا ما اعتبطت اللحم للطالب القرى
حنذناه حتى يمكن اللحم اكله فان قيل فكيف صدقهم في دعواهم انهم
ملائكة قلنا لا بد ان تقترن بهذه الدعوى علم يقتضي التصديق وقيل
انهم دعوا الله فاحيا العجل الذي كان ذبحه واشتواه لهم فعاد حيا
يرعى فاما قوله يجادلنا فقيل معناه يجادل رسلنا وعلق
المجادلة به تعالى من حيث كانت لرسله وانما جادلهم مستفهما
منهم هل العذاب نازل على سبيل الاستيصال او على سبيل التخويف
وهل هو عام للقوم ام خاص وعن طريق نجاة لوط واهله المومنين
مما لحق القوم وسمي ذلك جدالا لما كانت فيه من المراجعة
والاستكشاف على سبيل المجاز وقيل ان معنى جادلنا اي سالنا
في قوم لوط وان يوخر عذابهم رجاء ان يومنوا وان يستانفوا
الصلاح فخبره الله تعالى بان المصلحة في اهلاكهم وان كلمة العذاب
قد حقت عليهم وسمي المسئلة جدالا على سبيل المجاز فان قيل
ما معنى قوله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى
يجادلنا في قوم لوط فاتى بفعل مستقبل بعد لما ومن شان جوابها
بعدها ان يكون ماضيا قلنا عن ذلك جوابان احدهما ان
في الكلام محذوفا والمعنى اقبل يجادلنا وجعل يجادلنا وانما حذفه
لدلالة الكلام عليه واقتضائه له والجواب الاخر ان لفظه

لما يطلب

لما تطلب في جوابها الماضي تطلب لفظه ان في جوابها المستقبل فلما استحسنوا
ان ياتوا في جواب ان بالماضي ومعناه الاستقبال لدلالة ان عليه استحسنوا
ان ياتوا بعد لما بالمستقبل تعويلا على ان اللفظة تدل على مضيه فلما
قالوا ان زرتني زرتك وهم يريدون ان تزرني ازرك قالوا لما تزرني
ازرك وهم يريدون لما زرتني زرتك وانشد في دخول الماضي في جواب ان قول
الشاعر ان يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا مني وما سمعوا من صالح دفنوا
وقول الاخر في دخول المستقبل جوابا للماضي شعرا
وعيادقوم ان ارادوا لقاءنا بجمع متى كان للناس مجمع
يروا لهم حيا لم ير الناس مثله تشير لهم عين الاله واصبع
ويمكن في هذا جواب اخر وهو ان يجعل يجادلنا حالا لا جوابا
للفظة لما ويكون المعنى ان البشرى جاءته في حال الجدال للرسل فان
قيل فاين جواب لما على هذا الوجه قلنا يمكن ان تقدره في احد
موضعين اما في قوله تعالى ان ابراهيم لحليم اواه منيب ويكون التقدير
قلنا ان ابراهيم كذلك والموضع الاخر ان يكون اراد تعالى فلما
ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط نادينا
يا ابراهيم فجواب لما هو ناديناه وان كان محذوفا ودل عليه
لفظ النداء وكل هذا جايز مسئلة فان قيل اليس قد حكى الله تعالى
عن ابراهيم عليه السلام قوله لقومه اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم
وما تعملون وظاهر هذا القول يقتضي انه تعالى خلق اعمال العباد

فيما الوجه فيه وما عذر ابراهيم عليه السلم في لطاوته **الجواب**
قلنا من تامل هذه الايه حق التامل علم ان معناها بخلاف ما ظنته
المجبرة لانه تعالى خبر عن ابراهيم ع بانه عير قومه بعبادة الاصنام واتخاذهم
الهة من دون الله تعالى بقوله اتعبدون ما تنحتون فانما اراد المنحوت
وما دخله النحت دون عملهم الذي هو النحت لان القوم لم يكونوا
يعبدون النحت الذي هو فعلهم في الاجسام وانما كانوا يعبدون الاجسام
انفسها ثم قال والله خلقكم وما تعملون وهذا الكلام لا بد من ان
يكون متعلقاً بالاول ومتضمناً لما يقتضي المنع من عبادة الاصنام ولا
يكون بهذه الصفة الا والمراد بقوله وما تعملون الاصنام
التي كانوا ينحتونها فكانه تعالى قال كيف تعبدون ما خلقه الله
تعالى كما خلقكم وليس لهم ان يقولوا ان الكلام الثاني قد يتعلق
بالاول على خلاف ما قدرتموه لانه اذا اراد ان الله خلقكم
وخلق اعمالكم فقد تعلق الثاني بالاول لان من خلقه الله لا يجوز
ان يعبد غيره وذلك انه لو اراد ما ظنوه لكفى ان يقول والله خلقكم
ويصير ما ضمه الى ذلك من قوله وما تعملون لغواً لا فائدة فيه ولا
تعلق له بالاول ولا تاثير في المنع من عبادة الاصنام فصح انه اراد
تعالى ما ذكرناه من المعمول فيه ليطابق قوله اتعبدون
ما تنحتون فان قالوا هذا عدول عن الظاهر في قوله
وما تعملون لان هذه اللفظة لا تستعمل على سبيل الحقيقة الا في

العمل

الا في العمل دون المعمول فيه ولهذا يقولون اعجبني ما تعمل وما تفعل كما
قولهم اعجبني عملك وفعلك **قيل** لهم ليس مسلم لكم ان الظاهر ما
ادعيتموه لان هذه اللفظة قد تستعمل في المعمول فيه والعمل على حد
واحد بل استعمالها في المعمول فيه اظهر واكثر الا ترى انه تعالى
قال في العصي تلقف ما يافكون وفي اية اخرى تلقف ما في
يمينك تلقف ما صنعوا ومعلوم انه لم يرد انها تلقف اعمالهم التي هي الحركات
والاعتمادات وانما اراد انها تلقف الحبال وغيرها مما حله الافك وقد قال
الله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور
راسيات فسمي المعمول فيه عملاً ويقول القايل في الباب انه عمل
النجار وما يعمله النجار وكذلك في الناسخ والصايغ وههنا مواضع
لا يستعمل فيها مع العمل الا والمراد بها الاجسام دون الاعراض
الرجمي دون فعلنا لان القايل اذا قال اعجبني ما اكل وما يشرب وما
يلبس لم يحمله الا على الماكول والمشروب والملبوس دون الاكل
والشرب واللبس فصح ان اللفظة فيما ذكرناه اشبه بان يكون حقيقة
وفيما ذكروه اشبه بان يكون مجازاً ولو لم يثبت فيها الا انها مشتركة
بين الامرين وحقيقة فيهما لكان كافياً في اخراج الظاهر من ايديهم
وادعاء ان ما تعلقوا به وليس لهم ان يقولوا كل موضع استعملت
فيه لفظة ما مع العمل واريد بها المعمول فيه انا علم بدليل والظاهر
والظاهر بخلافه وذلك لانه لا فرق بينهم في هذه الدعوى وبين من عكسها

فادعى ان لفظة ما اذا استعملت مع الفعل واريد بها المصدر دون المفعول به
كانت محمولة على ذلك بالدليل وعلى سبيل المجاز والظاهر بخلافه على ان
للتحليل وتعلق الكلام الثاني بالاول على ما بيناه ايضا ظاهرا يجب ان
يكون مراعى وقد بينا انه متى حمل الكلام على ما ظنوه لم يكن الثاني متعلقا
بالاول ولا تعليله فيه والظاهر يقتضي ذلك فقد صار ما ادعوه عدولا
عن الظاهر في معنى اللفظة مع تعارضها فكيف وقد بينا انه غير سليم
ولا صحيح وبعد فان قوله وما تعملون لا يستقل بالفائدة بنفسه
ولابد ان نقدر محذوفا يرجع الى ما التي هي بمعنى الذي وليس لهم ان
يقدروا لها ليسلم ما ادعوه باولى منا اذا قدرنا للفظة فيه لان كلي
الامرين محذوف وليس تقدير احدهما باولى من الاخر الا بدليل
هذا على انا قد بينا ان مع تقدير الهاء يكون الكلام محتملا لما ذكرناه كاحتماله
لما ذكروه ومع تقديرنا الذي بيناه يكون الكلام مختصا غير مشترك فصرنا
بالظاهر اولى منهم وصار المعنى الذي ذهبنا اليه الرجحان على معناهم على ان
معنى الاية والمقصود بها يدلان على ما ذكرناه حتى انا لو قدرنا ما ظنوه
التي لو لكان ناقضا للغرض في الاية ومبطلا لما يدلها لانه تعالى
خبر عن ابراهيم عليه السلام بانه قرعهم ووبخهم بعبادة الاصنام واحتج
عليهم بما يقتضي العدول عن عبادتها ولو كان مراده بالاية ما ظنوه
من انه خلقهم وخلق اعمالهم وقد علمنا ان عبادتهم للاصنام من جملة
اعمالهم فكانه قال والله خلقكم وخلق عبادتكم للاصنام لو صار

يكون عاذرا

يكون عاذرا لهم ومزيلا للوم عنهم لان الانسان لا يذم على خلق فيه ولا يعاتب
ولا يوبخ وبعد فلو حملنا الاية على ما ظنوه لكان الكلام
متناقضا من وجه اخر لانه قد اضاف العمل اليهم بقوله
وما تعملون وذلك يمنع من كونه خلقا لله تعالى لان العامل للشيء
هو من احدثه واخرجه من العدم الى الوجود والخلق في هذا الوجه
لا يفيد الا هذا المعنى فكيف يكون خالقا لفعل غيره اذا كان مقدرا
له ومدبرا ولهذا يقولون خلق الاديم لمن قدره ودبره وان كان
ما احدث الاديم نفسه فلو حملنا قوله وما تعملون على اعمالهم دون
ما عملوا فيه من الاجسام لكان الكلام على هذا الوجه صحيحا ويكون
المعنى والله دبركم ودبر اعمالكم وان لم يكن محدثا لها وفاعلا وكل هذه
الوجوه واضحة لا اشكال فيها بحمد الله تعالى

مسئلة يعقوب ابن اسحق ابن ابرهيم عليهم السلام

يعقوب عليه السلام

مسئلة فان قال
ما معنى تفضيل يعقوب ليوسف عليهما السلام على اخوته في البر والتقريب
والمحبة حتى اوقع ذلك التحاسد بينهم وبينه وافضى الحال الى المكروه
التي نطق بها القران حتى قالوا ما حكاه الله تعالى عنهم ليوسف واخوه
احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين فنسبوه الى
الضلال والخطا وليس لكم ان تقولوا ان يعقوب عليه السلام لم يعلم
بذلك من حالهم قبل ان يكون منه التفضيل ليوسف عليه السلام لان ذلك
لا بد من ان يكون معلوما من حيث كان في طباع البشر التنافس والتحاسد

الجواب قيل له ليس فيما نطق به القرآن ما يدل علي ان
يعقوب عليه السلام فضله بشيء من فعله وواقع من جهته لان المحبة
التي هي ميل الطباع ليست مما يكتسبه الانسان ويختاره وان ذلك موقوف
علي فعل الله تعالي فيه ولهذا ما يكون للرجل عدة اولاد فيحب احدهم دون
غيره وربما كان المحبوب ادونهم في الجمال والكمال وقد قال الله
تعالي ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم وانما اراد ما
بيناه من ميل النفس الذي لا يمكن الانسان ان يعدل بين نسائه فيه
لان ما عدا ذلك من البر والعطا والتقريب وما اشبهه يستطيع
الانسان ان يعدل فيه بين النساء فان قيل فكانكم نفيتم عن
يعقوب عليه السلام القبيح والاستفساد واضفتموها الي الله تعالي
فما الجواب عن المسالة علي هذا الوجه قلنا عنها جوابان
احدهما انه لا يمتنع ان يكون الله تعالي علم ان اخوة يوسف عليه السلام
سيكون بينهم ذلك الحسد والفعل القبيح علي كل حال وان لم
يفضل يوسف عليه السلام عليهم في محبة ابيه له وانما يكون ذلك استفسادا
اذا وقع عنده الفساد وارتفع عند ارتفاعه ولم يكن تمكينا والجواب
الاخر ان يكون ذلك جاريا مجري التمكين والتكليف الشاق
لان هولاء الاخوة متي امتنعوا من حسد اخيهم والبغي عليه والاضرار
به وهو عندهم مفضل عليهم وله مقدم لا يستحقون من الثواب ما يستحقونه
اذا امتنعوا من ذلك مع التقديم والتفضيل فاراد الله تعالي
منهم ان يمتنعوا علي ذلك هذا الوجه الشاق واذا كان مكلفا
علي هذا الوجه فلا استفساد في تمييله طباع ابيهم الي محبة

يوسف

يوسف عليه السلام لان بذلك ينتظم هذا التكليف ويجري في هذا الباب
مجري خلق ابليس مع علمه تعالي بضلال من ضل عند خلقه ممن لو لم
يخلقه لم يكن ضالا ويجري زيادة الشهوة فيمن يعلم تعالي انه عند
هذه الزيادة يفعل قبيحا لولاها لم يفعله وجه اخر في الجواب
عن اصل المسالة وهو انه يجوز ان يكون يعقوب عليه السلام كان يفضله
ليوسف عليه السلام في العطا والتقريب والترحيب والبر الذي يصل
اليه من جهته وليس ذلك بقبيح لانه لا يمتنع ان يكون يعقوب عليه السلام
لم يعلم ان ذلك يودي الي ما ادي اليه ويجوز ان يكون راي من سيرة
اخوته وسدادهم وجميل ظاهرهم ما غلب في ظنه انهم لا يحسدونه
وان فضله عليهم فان الحسد وان كان كثيرا ما يكون في الطباع فان كثيرا
من الناس يتنزهون عنه ويجتنبونه ويظهر من احوالهم امارات
يظن معها بهم ما ذكرناه وليس التفضيل لبعض الاولاد علي بعض
في العطا محاباة لان المحاباة هي مفاعلة من الحبا ومعناها ان تحبوا
غيرك ليحبوك وهذا خارج عن معني التفضيل بالبر الذي لا يقصد به
الي ما ذكرناه فاما قولهم ان ابانا لفي ضلال مبين فلم يريدوا
به الضلال عن الدين وانما ارادوا الذهاب عن التسوية بينهم في
العطية لانهم راوا ان ذلك اصوب في تدبيرهم واصل الضلال
هو العدول وكل من عدل عن شيء وذهب عنه فقد ضل ويجوز
ايضا ان يريدون بذكر الضلال عن الدين لانهم خبروا عن

اعتقادهم وقد يجوز ان يعتقدوا في الصواب الخطاء **فان قيل** كيف يجوز ان
يقع من اخوة يوسف عليهم السلام هذا الخطاء العظيم والفعل القبيح وقد كانوا
انبياء فان قلتم لم يكونوا انبياء في الحال قيل لكم واي
منفعة في ذلك لكم وانتم تذهبون الى ان الانبياء عليهم السلام لا يوقعون
القبايح قبل النبوة ولا بعدها **قلنا** لم تقم الحجة بان اخوة يوسف
عليه السلام الذين فعلوا به ما فعلوه كانوا انبياء في حال من الاحوال
واذا لم تقم بذلك حجة جاز على هولاي الاخوة من فعل القبيح ما
يجوز على كل مكلف لم تقم حجة بعصمته وليس لاحد ان يقول كيف
تدفعون نبوتهم والظاهر ان الاسباط من بني يعقوب عليه السلام كانوا
انبياء لانه لا يمتنع ان يكون الاسباط الذين كانوا انبياء غير هولاء
الاخوة الذين فعلوا بيوسف ما قصه الله تعالى عنهم وليس في
ظاهر الكتاب ان جميع اخوة يوسف وساير اسباط يعقوب
كادوا يوسف عليه السلام بما حكاه الله تعالى من الكيد **وقد قيل**
ان هولاي الاخوة في تلك الحال لم يكونوا بلغوا الحلم ولا توجه
اليهم التكليف وقد يقع ممن قارب البلوغ من الغلمان مثل هذا
الافعال وقد يلزمهم بعض العتاب واللوم فان ثبت هذا
الوجه سقطت المسئلة ايضا مع تسليم ان هولاي الاخوة كانوا
انبياء في المستقبل **مسئلة** فان قال فلم ارسل يعقوب
عليه السلام يوسف عليه السلام مع اخوته مع خوفه عليه منهم وقوله

واخاف ان

واخاف ان يعقبوه ياكله الذيب وانتم عنه غافلون وهل هذا الا
تغرير به ومخاطرة **والجواب قيل** له ليس يمتنع ان يكون يعقوب
عليه السلام لما راي من بنيه ما راي من الايمان والعهود والاجتهاد
في الحفظ والرعاية لاخيهم ظن مع ذلك السلامة وغلبة النجاة بعد
ان كان خائفا مغلبا لغير السلامة وقوي في نفسه ان يرسله
معهم اشفاقه من ايقاع الوحشة والعداوة بينهم لانه اذا لم
يرسله مع الطلب منهم والحرص علموا ان سبب ذلك هو التهمة
لهم والخوف من ناحيتهم فاستوحشوا منه ومن يوسف ع
عليه السلام وانضاف هذا الداعي الى ما ظنه من السلامة والنجاة
فارسله **مسئلة** فان قال فما معني قولهم ليعقوب عليه السلام
وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وكيف يجوز ان ينسبوه الى
انه لا يصدق الصادق ويكذبه **الجواب** انهم علموا على
مرور الايام شدة تهمة ابيهم لهم وخوفه على اخيهم منهم لما كان
يظهر منهم من امارات الحسد والنفاسة ايقنوا بانه يكذبهم
فيما اخبروا به من اكل الذيب اخاهم فقالوا له انك لا تصدقنا
في هذا الخبر لما سبق الى قلبك من تهمتنا وان كنا صادقين
وقد يفعل مثل ذلك المخادع اذا اراد ان يوقع في

في قلب من يخبره بالشي بصدقه فيقول انا اعلم انك لا تصدق قولي
في كذبي وكذبي وان كنت صادقًا وهذا بين. مسئلة فان
قال فلم اسرف يعقوب عم في الحزن والتهالك وترك
التماسك حتي ابيضت عيناه من البكاء ومن شان الانبياء عليهم السلام
التجلد والصبر وتحمل الاثقال ولهذه الحال عظمت منازلهم وارتفعت
درجاتهم. الجواب قيل له ان يعقوب عليه السلام بلي وامتحن في
ابنه بما لم يمتحن به احد قبله لان الله تعالي رزقه من يوسف احسن
الناس واجملهم واكملهم علمًا وفضلًا وادبًا وعفافًا ثم اصيب
به اعجب مصيبة لانه لم يمرض بين يديه مرضًا يؤول الي الموت
فيسليه عنه تمريضه له ثم يأسه منه بالموت بل فقده فقدًا لا يقطع
معه علي الهلاك فييأس ولا يجد امارة علي حياته وسلامته
فيرجوا ويطمع وكان متردد الفكر بين يأس وطمع وهذا اغلظ
ما يكون علي الانسان وانكا لقلبه وقد يرد علي الانسان
من الحزن ما لا يملك رده ولا يقوا علي دفعه ولهذا لم يكن احد
منهيًا عن مجرد الحزن والبكاء وانما نهي عن اللطم والنوح وان
يطلق لسانه بما يسخط ربه وقد بكا نبينا صلي الله عليه واله وسلم
علي ابنه ابراهيم عليه السلام عند وفاته وقال العين تدمع والقلب
يخشع ولا نقول ما يسخط الرب وهو عليه السلام القدوة في

جميع الاداب والفضائل علي ان يعقوب عم انما ابدا من حزنه يسيرًا
من كثير وكان ما يخفيه ويصبر عليه ويغالبه اكثر واوسع مما اظهر وبعد
فان التجلد علي المصايب وكظم الحزن من المندوب اليه وليس بواجب
لازم وقد يعدل الانبياء عليهم السلام عن كثير من المندوبات الشاقة
وان كانوا يفعلون من ذلك الكثير. مسئلة فان قيل كيف لم يتسل
يعقوب عم ويخفف عنه الحزن وما تحققه من رؤيا يوسف عم ورؤيا
الانبياء عليهم السلام لا تكون الا صادقة. الجواب قيل له عن ذلك
جوابان احدهما ان يوسف عم راي تلك الرؤيا وهو صبي غير نبي
ولا موحًا اليه فلا وجه في تلك الحال للقطع علي صدقها وصحتها
والاخر ان اكثر ما في هذا الباب ان يكون يعقوب عليه
السلام قاطعًا علي بقاء ابنه وان الامر سيؤول فيه
الي ما تضمنته الرؤيا وهذا لا يوجب نفي الحزن والجزع لانا نعلم
ان طول المفارقة واستمرار الغيبة يقتضيان الحزن مع القطع
علي ان المفارق باق يجوز ان يؤول حاله الي القدوم وقد
جزع الانبياء عليهم السلام ومن جرى مجراهم من المؤمنين المطهرين
من مفارقة اولادهم واحبابهم مع ثقتهم بالالتقاء بهم في
الاخرة والحصول معهم في الجنة والوجه في ذلك ما ذكرناه

[illegible]

يوسف ابن يعقوب عم فان قيل كيف صبر يوسف عليه السلام
على العبودية ولم لم ينكرها ويظهر انه حر من الرق وكيف يجوز على نبي
الصبر على ان يستعبد ويسترق الجواب قيل له ان يوسف عليه
السلام لم يكن في تلك الحال نبيا على ما قاله كثير من الناس ولما
خاف على نفسه القتل جاز ان يصبر على الاسترقاق ومن ذهب
الى هذا ذهب لا يجوزون على ان الوحي لم يكن نزل في تلك الحال بل كان
في غيرها ويصرف ذلك الى الحال المستقبلة الجمع على انه كان نبيا
ووجه اخر وهو ان الله تعالى لا يمتنع ان يكون امره بكتمان
امره والصبر على مشقة العبودية امتحانا وتشديدا في التكليف كما امتحن
ابويه ابراهيم واسحق احدهما بنمرود والاخر بالذبح ووجه
اخر وهو انه يجوز ان يكون عم قد خبرهم بانه غير عبيد وانكر عليهم
ما فعلوه من استرقاقه الا انهم لم يسمعوا منه ولا اصغوا الى قوله
وان لم ينقل ذلك فليس كل ما جرى في تلك الازمان قد اتصل بنا
ووجه اخر وهو ان قوما قالوا انه خاف القتل فكتم امر نبوته وصبر
على العبودية وهذا جواب فاسد لان النبي لا يجوز ان يكتم ما
ارسل به خوفا من القتل لانه يعلم ان الله تعالى لم يبعثه للاداء
وهو عاصم له من القتل حتى يقع الاداء ويسمع الدعوة والا كان
ذلك نقضا للغرض مسئلة فان قال قائل فما تاويل قوله تعالى

حاكيا

حاكيا عن يوسف عم وامرأة العزيز ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان
ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين الجواب
ان الهم في اللغة ينقسم الى وجوه منها العزم على الفعل كقوله تعالى اذ هم
قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم اي ارادوا ذلك وعزموا
عليه قال الشاعر هممت ولم افعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله

ومثله قول الخنساء

وفضل مرداسا على الناس حلمه وان كل هم همه فهو فاعله

ومثله قول حاتم الطائي

ولله صعلوك يساور همه ويمضي على الاحداث والدهر مقدما
ومن وجوه الهم خطور الشيء بالبال وان لم يقع العزم عليه قال الله تعالى
اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وانما اراد الله تعالى ان
الفشل خطر ببالهم ولو كان الهم في هذا المكان عزما لما كان الله وليهما لانه
تعالى يقول ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى
فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير وارادة المعصية
والعزم عليها معصية وقد ذهب قوم الى ذلك حتى قالوا ان العزم على
الكبير كبير وعلى الكفر كفر ولا يجوز ان يكون الله ولي من عزم على الفرار
عن نصرة نبيه عم واسلامه الى السوء ومما يشهد ايضا بذلك
قول كعب ابن زهير فكم فيهم من سيد متوسع ومن فاعل للخير ان هم او عزم
فعزم كما ترى بين الهم والعزم وظاهر التفرقة يقتضي اختلاف المعنى

ومن وجوه الهم ان يستعمل بمعنى المقاربة فيقولون هم بكذا وكذا
اي كاد يفعله قال ذو الرمة اقول لمسعود بجرعاء مالك
وقد هم دمعي ان يلج اوائله والدمع لا يجوز عليه العزم وانما اراد
انه كاد وقرب وقال ابو الاسود الدؤلي وكنت متى تهمم يمينك
مرة لتفعل خيرا تتبعها شمالكا فعلى هذا جوز قوله تعالى جدارا
يريد ان ينقض اي يكاد يريد الرمح صدر ابي براء ويرغب عن دماء بني عقيل
ومن وجوه الهم الشهوة وميل الطباع لان الانسان قد يقول
فيما يشتهيه ويميل طبعه اليه ليس هذا من همي وهذا اهم الاشياء
الي والتجوز باستعمال الهمة مكان الشهوة ظاهر في اللغة وقد روي
هذا التاويل عن الحسن البصري قال اما همها فكان اخبث الهم
واما همه فما طبع عليه الرجال من شهوة النساء فاذا كانت وجوه
هذه اللفظة مختلفة متسعة على ما ذكرناه نفينا عن نبي الله ما لا
يليق به وهو العزم على القبيح واجزنا باقي الوجوه لان كل واحد
منها يليق به فان قيل فهل يسوغ حمل الهم في الاية
على العزم والارادة ويكون مع ذلك لها وجه صحيح يليق بالنبي
عم قلنا نعم متى حملنا الهم ههنا على العزم جاز ان نعلقه بغير
القبيح ونجعله متناولا لضربها او دفعها عن نفسه كما يقول
القائل قد كنت هممت بفلان اي بان اوقع به ضربا او مكروها
فان قيل فاي فائدة على هذا التاويل في قوله تعالى

لولا ان

لولا ان راى برهان ربه والدفع لها عن نفسه طاعة لا يصرف البرهان
عنها قلنا يجوز ان يكون لما هم بدفعها وضربها اراه الله تعالى برهانا
على انه ان اقدم على ما هم به اهلكه اهلها وقتلوه او انها تدعي عليه
المراودة على القبيح وتقذفه بانه دعاها اليه وضربها لامتناعها
منه فاخبر الله تعالى انه صرف بالبرهان عنه السوء والفحشاء
اللذين هما القتل والمكروه او ظن القبيح به واعتقاده فيه فان
قيل هذا الجواب يقتضي ان جواب لفظة لولا يتقدمها في ترتيب
الكلام ويكون التقدير لولا ان راى برهان ربه لهم بضربها وتقدم
جواب لولا قبيح او يقتضي ان يكون لولا بغير جواب قلنا
اما تقدم جواب لولا فجائز وسنذكر فيما نستانفه من الكلام عند
الجواب المختص بذلك ونحن غير مفتقرين اليه في جوابنا هذا لان
العزم على الضرب والهم قد وقع الا انه انصرف عنه بالبرهان الذي
راه ويكون تقدير الكلام وتلخيصه ولقد همت به وهم بدفعها لولا
ان راى برهان ربه لفعل ذلك فالجواب المتعلق بلولا محذوف
في الكلام كما حذف الجواب في قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم
ورحمته وان الله رؤوف رحيم معناه لولا فضل الله عليكم لهلككم
ومثله كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم معناه لو تعلمون علم
اليقين لم تتنافسوا في الدنيا ولم تحرصوا على حطامها وقال امرؤ القيس

فلو انها تموت سوية قال ولكنها نفس تساقط انفسا

اراد فلو انها نفس تموت سوية لنقصت وفنيت فحذف الجواب

تعويلاً على ان الكلام يقتضيه ويتعلق به على ان من حمل هذه

الاية على الوجه الذي لا يليق بنبي الله تعالى عم واضاف العزم

على المعصية اليه لا بد له من تقدير جواب محذوف ويكون التقدير

على تاويله لقد همت بالزنا وهم بمثله ولولا ان راى برهان ربه

لفعله فان قيل فمتى علقتم العزم في الاية والهم بالضرب او الدفع

كان ذلك مخالفاً للظاهر قلنا ليس الامر على ما ظنه هذا السائل

لان الهم في ظاهر الاية متعلق بما لا يصح ان يتعلق به الارادة على

الحقيقة لانه تعالى قال ولقد همت به وهم بها فتعلق الهم في

ظاهر الكلام بذواتها او الذات الموجودة الباقية لا يصح ان يراد

ويعزم عليها فلا بد من تقدير امر محذوف يتعلق العزم

به فيما يرجع اليها ويختص بها ورجوع الضرب والدفع اليها

كرجوع ركوب الفاحشة فلا ظاهر للكلام يقتضي خلاف ما

ذكرناه الا ترى ان القائل اذا قال قد هممت بفلان فظاهر

الكلام يقتضي تعلق عزمه وهمه بامر يرجع الى فلان وليس بعض

الافعال بذلك اولى من بعض فقد يجوز ان يريد انه هم

بقصده او باكرامه او باهانته او غير ذلك من ضروب الافعال

على انه لو كان للكلام ظاهر يقتضي خلاف ما ذكرناه وان كنا

قد بينا

قد بينا ان الامر بخلافه لكان يجوز ان نعدل عنه ونحمله على خلاف الظاهر للدليل العقلي

الدال على تنزيه الانبياء عليهم السلام عن القبائح الكلام في قوله تعالى

ولقد همت به وهم بها خرج مخرجا واحدا فلم جعلتم همها به متعلقا بالقبيح وهمه بها

متعلقا بالضرب او الدفع على ما ذكرتم اما الظاهر فلا يدل على الامر

الذي يتعلق به الهم والعزم منهما جميعا وانما اثبتنا همها به متعلقا بالقبيح لشهادة

الكتاب والاثار بذلك وهي ممن يجوز عليها فعل القبيح ولم يؤمن ذلك من جوازه

عليها كما اومن ذلك فيه عم والموضع الذي يشهد بذلك من الكتاب قوله تعالى

وقال نسوة في المدينة امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها

حبا انا لنراها في ضلال مبين وقوله تعالى وراودته التي هو في بيتها

عن نفسه وقوله تعالى حاكيا عنها الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه

وانه لمن الصادقين وفي موضع اخر قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد

راودته عن نفسه فاستعصم والاثار واردة باطباق مفسري القران ومتاوليه

على انها همت بالمعصية الفاحشة واما هو عم فقد تقدم من الادلة العقلية ما

يدل على انه لا يجوز ان يفعل القبيح ولا يعزم عليه ولقد استقصينا ذكرها

في صدر هذا الكلام الكتاب فاما ما يدل من القران على انه عم ما هم بالفاحشة

ولا عزم عليها فمواضع كثيرة منها قوله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء

والفحشاء وقوله تعالى ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب فلو كان الامر

كما قاله الجهال من جلوسه منها مجلس الخائن وانتهائه الى حل السراويل

حوشي من ذلك لم يكن السوء والفحشاء مصروفين عنه ولكان خائنا بالغيب

ولقوله تعالى حاكيا عنها ولقد راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وقول العزيز
لما رأى القميص قد من دبر انه من كيدكن ان كيدكن عظيم فنسب الكيد الى المرأة دونه
وقوله تعالى حاكيا عن زوجها لما وقف على ان الذنب منها وان يوسف
عم منه يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين وعلى مذهبكم
الفاسد كل واحد منهما خاطئ يجب ان يستغفر فلم خصت بالاستغفار دونه
وقوله رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن
واكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن والحكاية تؤذن
ببراءته من كل سوء وتنبي انه لو فعل ما ذكروه لكان قد صبا ولم يصرف
عنه كيدهن وقوله تعالى قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء والعزم
على المعصية من اكبر السوء وقوله تعالى حاكيا عن الملك ائتوني به استخلصه
لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين ولا يجوز ذلك فيمن
ادعوه عليه فما   فاي معنى لقول يوسف عم وما ابرئ نفسي ان
النفس لامارة بالسوء   ان اراد الدعوة والمنازعة والشهوة
ولم يرد العزم على المعصية وهو لا يبرئ نفسه مما لا تعرى منه طباع البشر
وفي ذلك جواب اخر اعتمده ابو علي الجبائي واختاره وان كان غيره سبقه اليه جماعة
من اهل النظر وبين ذكروه وهو ان الكلام الذي هو وما ابرئ نفسي ان النفس
لامارة بالسوء انما هو من كلام المرأة لا من كلام يوسف عم واستشهد واعلى صحة هذا التأويل
بانه مسبوق على هذا الكلام المحكي عن المرأة بلا شك الا ترى انه معه قال قالت
امرأة العزيز الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب

وان الله

وان الله لا يهدي كيد الخائنين وما ابرئ نفسي فنسق الكلام على كلام المرأة
وعلى هذا التأويل يكون التبري من الخيانة الذي هو ذلك ليعلم اني لم
اخنه بالغيب هو من يوسف عليه السلام دون زوجها لان زوجها قد
خانته في الحقيقة بالغيب وانما ارادت اني لم اخن يوسف عليه السلام اخن
وهو غائب في السجن ولم اقل فيه لما سئلت عنه الا الحق
ومن جعل ذلك من كلام يوسف عم جعله محمولا على اني لم اخن العزيز في
زوجته بالغيب وهذا الجواب كانه اشهر بالظاهر لان
الكلام معه لا ينقطع عن اتساقه وانتظامه فان قيل فاي معنى
لتحبيسه اذا كان عند القوم مبرئا من المعصية متنزها عن الخيانة قلنا
قد قيل ان العلة في ذلك التستر على المرأة والتمويه لامرها حتى لا ينفضح
وينكشف امرها لكل احد والذي يشهد بذلك قوله تعالى ثم بدا لهم
من بعد ما رأوا الايات ليسجننه حتى حين وجواب اخر في الاية على
ان الهم فيها هو العزم وهو ان يحمل الكلام على التقديم والتاخير ويكون تلخيصه
ولقد همت به ولولا ان رأى برهان ربه لهم بها ويجري ذلك مجرى
قولهم قد كنت هلكت لولا ان تداركتك وقتلت لولا اني خلصتك
والمعنى لولا تداركي لهلكت ولولا تخليصي لقتلت وان لم يكن وقع هلاك
ولا قتل قال الشاعر فلا تدعني قومي صريخا لحرة لئن كنت مقتولا ويسلم عامر
وقال اخر
فلا تدعني قومي صريخا لحرة لئن لم اعجل طعنة او اعجل

فقدم جواب لولا في البيتين جميعا وقد استبعد قوم تقديم
جواب لولا عليها قالوا لو جاز ذلك لجاز قولهم قام زيد لولا عمرو
وقصدتك لولا بكر وقد بينا بما اوردناه من الامثلة والشواهد
جواز تقديم جواب لولا وان القايل قد يقول قد كنت
قمت لولا كذا وكذا وقد كنت قصدتك لولا ان صدني فلان
وان لم يقع قيام ولا قصد وهذا هو الذي يشبه الاية دون
ما ذكروه من المثال وبعد فان في الكلام شرطا وهو قوله
تعالى لولا ان راي برهان ربه فكيف يحمل على الاطلاق مع حصول
الشرط وليس لهم ان يجعلوا جواب لولا محذوفا الا ان جعل
جوابها موجودا اولى وليس تقديم جواب لولا بابعد من حذفه
جملة من الكلام واذا جاز عندهم الحذف لئلا يلزم تقديم الجواب جاز
لغيرهم تقديم الجواب حتى لا يلزم الحذف **فان قيل** فما البرهان
الذي راه يوسف عليه السلام حتى انصرف لاجله عن المعصية وهل
يصح ان يكون البرهان ما روي من ان الله تعالى اراه صورة ابيه
يعقوب عليه السلام عاضا على اصبعه متوعدا له على مقاربة
المعصية او ما روي من ان الملايكة نادته بالنهي والزجر في
الحال **قلنا** ليس يجوز ان يكون البرهان الذي زجره
ما انزجر به عن المعصية ما ظنته العامة من الامرين اللذين
ذكرناهما لان ذلك يقتضي الالجاء وينافي التكليف ويضاد المحنة

ولو كان الامر

ولو كان الامر على ما ظنوه لما كان يوسف عليه السلام يستحق بتنزهه عما دعته اليه
المراة من المعصية مدحا ولا ثوابا وهذا من اقبح القول فيه عليه السلام لان الله
تعالى قد مدحه بالامتناع من المعصية واثنا عليه بذلك فقال تعالى
كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين فاما
البرهان فيحتمل ان يكون لطفا لطف الله تعالى له به في تلك الحال او قبلها
اختار عنده الامتناع من المعاصي والتنزه عنها وهو الذي يقتضي كونه معصوما
لان العصمة هي ما اختار عنده من الالطاف التنزه عن القبيح والامتناع من
فعله ويجوز ان تكون الرؤية هاهنا بمعنى العلم كما يجوز ان تكون بمعنى الادراك
لان وجه كلا الوجهين يحتمله القول وذكر اخرون ان البرهان هاهنا
انما هو دلالة الله تعالى ليوسف عليه السلام على تحريم ذلك الفعل وعلى ان من فعله
استحق العقاب لان ذلك ايضا صارف عن الفعل ومقوي لدواعي الامتناع
منه وهذا ايضا جايز **مسئلة** فان قال كيف يجوز ان يقول
يوسف عليه السلام رب السجن احب الي مما يدعونني اليه ونحن نعلم ان
سجنهم له معصية كما ان ما دعوه اليه معصية ومحبة المعصية عندكم
لا تكون الا قبيحة **الجواب** قلنا في تاويل هذه الاية جوابان احدهما
انه اراد بقوله احب الي اخف علي واسهل ولم يرد المحبة التي هي الارادة على
الحقيقة وهذا يجري مجرى ان يخير احدنا بين فعلين ينزلان به مكروهما
ويشقان عليه فيقول في الجواب كذي احب الي وانما

يريد ما ذكرناه من السهولة والخفة والوجه **الاخر** انه
اراد ان توطيني نفسي وتصبيرها على السجن احب الي من مواقعة المعصية
فان قيل هذا خلاف الظاهر لانه مطلق وقد اضمرتم فيه **قلنا** لا بد
من مخالفة الظاهر لان السجن نفسه لا يجوز ان يكون مرادا ليوسف عليه السلام
ولكنه يريده وانما السجن البنيان المخصوص وانما يكون للكلام ظاهر في
ما قلناه اذا قرئ رب السجن بفتح السين واذا كانت هذه القراءة
ايضا محتملة للمعنى الذي ذكرناه فكانه اراد ان سجني نفسي عن المعصية
احب الي من مواقعتها فرجع معنى السجن الى فعله دون فعلهم واذا
كان الامر على ما ذكرناه فليس لاحد ان يظن في الكلام ان كوني في
السجن وجلوسي فيه احب الي باولى ممن اضمر ما ذكرناه لان كلا الامرين
يعود الى السجن ويتعلق به **فان قيل** كيف يقول السجن احب الي
مما يدعونني اليه وهو لا يحب ما دعوه اليه على وجه من الوجوه ومن شان
هذه اللفظة ان تستعمل بين شيئين مشتركين في معناها **قلنا** قد
تستعمل هذه اللفظة فيما لا اشتراك فيه الا ترى ان من خير بين
ما يكرهه وما يحبه سائغ ان يقول هذا احب الي وان لم يحسن
ان يقول ذلك مبتديا من غير ان يخير هذا احب الي من هذا اذا
كانا لا يشتركان في محبته وانما يسوغ ذلك على احد الوجهين دون الاخر
ان المخير بين الشيئين في الاصل لا يخير بينهما الا وهما مرادان له ومما يصح
ان يريدهما فموضوع التخيير يقتضي ذلك وان حصل فيما في الاصل

موضوعه

موضوعه فمن قال وقد خير بين شيئين لا يحب احدهما هذا
احب الي انما يكون مجيبا بما تقتضيه اصل الوضع في التخيير وتقارب ذلك
قوله تعالى اذلك خير ام جنة الخلد ونحن نعلم انه لا خير في العقاب
وانما حسن القول لوقوعه موقع التقريع والتوبيخ على اختيار المعاصي
على الطاعات وانهم ما اثروها الا لاعتقادهم ان فيها خيرا ونفعا فقيل
ذلك خير على ما تظنونه وتعتقدونه ام كذا وكذا وقد قال قوم في
قوله تعالى اذلك خير انه انما حسن لاشتراك الحالين في باب
المنزلة وان لم يشتركا في الخير والنفع كما قال خير مستقرا واحسن
مقيلا ومثل هذا المعنى يتاتى في قوله تعالى رب السجن لان الامرين
يعني المعصية ودخول السجن مشتركان في ان لكل منهما داعيا وعليه باعثا
وان لم يشتركا في تناول المحبة فجعل اشتراكهما في دواعي المحبة اشتراكا في
المحبة نفسها واجرى اللفظ على ذلك **فان قيل** كيف يقول والا
تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين وعندكم ان القبيح منه ليس
بمشروط بارتفاع الكيد عنه بل هو ممتنع منه وان وقع الكيد **قلنا**
انما اراد يوسف عليه السلام متى لم تلطف لي بما يدعوني الى مجانبة الفاحشة
ويثبتني على تركها صبوت وهذا منه انقطاع الى الله تعالى وتسليم لامره
وانه لولا معونته ولطفه ما نجا من الكيد والكلام وان تعلق في الظاهر
بالكيد نفسه فقال والا تصرف عني كيدهن فالمراد به الا تصرف عني
كيدهن لانهن انما اجدن بالكيد الى مساعدته لهن على المعصية

فاذا عصم منها ولطف له في الانصراف عنها وكان الكيد مصروفًا عنه
من حيث لم يقع ضرره وما اجري به اليه ولهذا قال لئن اجري
تكليفه الي غرض لم يقع ما قلت شيئًا ولئن فعل ما لا تاثير له ما فعلت
شيئًا وهذا بين بحمد الله تعالي مسألة فان قيل
كيف يجوز علي يوسف عليه السلام وهو نبي مرسل ان يعول في اخراجه
من السجن علي غير الله تعالي ويتخذ سواه في ذلك وكيلًا في قوله
للذي كان معه اذكرني عند ربك حتي وردت الرواية ان سبب
طول حبسه انما كان لانه عول علي غير الله تعالي الجواب قلنا
ان السجن اذا كان قبيحًا ومنكرًا فعليه ان يتوصل الي
ازالته بكل وجه وسبب ويتسبب اليه بكل ما يظن انه يزيله
عنه ويجمع فيه بين الاسباب المختلفة فلا يمتنع علي هذا
ان يضم الي دعائه الله تعالي ورغبته اليه في خلاصه
من السجن ان يقول لبعض من يظن انه سيؤدي قوله
اذكرني عند ربك لينبه علي خلاصي وانما القبيح ان يدع التوكل
ويقتصر علي غيره فاما ان يجمع بين التوكل والاخذ
بالحزم فهو الصواب الذي يقتضيه الدين والعقل ويمكن ايضًا
ان يكون الله تعالي اوحي اليه بذلك وامره بان يقول
للرجل ما قاله مسألة فان قيل ما الوجه في طلب
يوسف عليه السلام اخاه من اخوته ثم حبسه له عن الرجوع

الي ابيه

الي ابيه مع علمه بما يلحقه عليه من الحزن وهل هذا الا اضرار به وبابيه
الجواب قلنا الوجه في ذلك ظاهر لان يوسف عليه السلام لم يفعل
الا بوحي من الله تعالي اليه وذلك امتحان منه لنبيه يعقوب عليه السلام
وابتلاء لصبره وتعريض للعالي من منزلة الثواب ونظير ذلك
امتحانه له عليه السلام بان صرف عنه خبر يوسف طول تلك المدة حتي
ذهب بصره بالبكاء عليه وانما امرهم يوسف بان يتلطفوا بابيهم
في ارساله من غير ان يكذبوه او يخدعوه فان قيل اليس قد قالوا
له سنراود عنه اباه والمراودة هي الخداع والمكر قلنا ليس المراودة
ما ظننتم بل هي التلطف والتسبب والاحتيال وقد يكون ذلك من جهة
الصدق والكذب جميعًا وانما امرهم بفعله المحسن علي احسن الوجوه فان
خالفوه فلوم ذلك عليهم مسألة فان قيل فما معني جعل السقاية
في رحل اخيه وذلك تعريض منه لاخيه للتهمة ثم ان مؤذنه نادي
بانهم سارقون ولم يسرقوا علي الحقيقة الجواب قلنا اما جعل السقاية
في رحل اخيه فالغرض فيه التسبب الي احتباس اخيه عنده ويجوز
ان يكون ذلك بامر الله تعالي وقد روي انه اعلم اخاه بذلك ليجعل
طريقًا الي التمسك به فقد خرج علي هذا القول من ان يكون مدخلًا علي
اخيه غمًا وترويعًا وجعله من السقاية في رحله يحتمل وجوهًا غير السرقة
فليس يجب صرفه اليها الا بدليل وعلي من صرف ذلك الي السرقة من
غير طريق اللوم لتقصيره وتسرعه وله ظاهرًا ايضًا لوجود السقاية

في الرحل يقتضي السرقة لان الاشتراك في ذلك قايم وقرب هذا
الفعل من ساير الوجوه التي حكيناها على حد واحد فاما نداء المنادي
بانكم سارقون فلم يكن بامره عليه السلام وكيف يامر بالكذب وانما قال
ذلك احد القوم لما فقدوا الصواع وسبق الى قلوبهم انهم سرقوا
وقد قيل ان المراد بانكم سارقون انكم سرقتم يوسف عليه السلام من ابيه
واوهمتموه انكم تحفظونه فضيعتموه فالمنادي صادق على هذا الوجه
ولا يمتنع ان يكون النداء باذنه عم غير ان ظاهر القصة واتصال الكلام
بعضه ببعض يقتضي ان يكون المراد بالسرقة سرقة الصاع الذي
تقدم ذكره واحسبه فقده. وقد قيل ان الكلام خارج على معنى الا
ستفهام وان كان ظاهره ظاهر الخبر كانه قال ائنكم لسارقون
فاسقط الف الاستفهام كما سقطت في مواضع قد تقدم ذكرها في قصة
ابراهيم عم وهذا الوجه فيه بعض الضعف لان الف الاستفهام
لا يكاد يسقط الا في موضع يكون على سقوطها دلالة في الكلام مثل
قول الشاعر كذبتك عينك ام رايت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا
مسيلة فان قيل فما بال يوسف عم لم يعلم اباه عم بخبره لتسكن
نفسه ويزول وجده مع علمه بشدة تحزنه وعظم قلقه الجواب قلنا
قلنا في ذلك وجهان احدهما ان ذلك كان له ممكنا وكان عم قادرا
فاوحى الله اليه بالعدول عن اطلاعه على خبره تشديدا للمحنة عليه
وتعريضا للمنزلة الرفيعة في البلوى وله تعالى ان يصعب التكليف
وان يسهله الجواب الاخر انه جايز ان يكون عم لم يتمكن من ذلك

ولا قدر عليه فلذلك عدل عنه مسيلة فان قيل فما قوله تعالى ورفع
ابويه على العرش وخروا له سجدا وكيف يرضى بان يسجدوا له والسجود لا يكون
الا لله تعالى الجواب قلنا في ذلك وجوه ان يكون تعالى لم يرد بقوله
له انهم سجدوا الى جهته بل سجدوا لله عز من اجله ولانه تعالى جمع بينهم وبينه
كما يقول القايل انما صليت لوصولي الى اهلي وانما صمت لتعافي من مرضي
وانما يريد من اجل ذلك فان قيل هذا التاويل يفسد قوله تعالى يا ابت
هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا قلنا ليس هذا التاويل
بمانع من مطابقة الرؤيا المتقدمة في المعنى دون الصورة لانه عم راى سجود
الكواكب والقمرين له كان تاويل ذلك بلوغه ارفع المنازل واعلى الدرجات
ونيله امانيه واغراضه فلما اجتمع مع ابويه واخوته في الحالة الرفيعة العالية
ونال ما كان تمناه من اجتماع الشمل كان ذلك مصدقا للرؤيا المتقدمة فلذلك
قال هذا تاويل رؤياي من قبل ولا بد لمن ذهب الى انهم سجدوا اليه
على الحقيقة من ان يجعل ذلك مطابقا للرؤيا المتقدمة في المعنى دون
الصورة لانه ما كان راى في منامه ان اخوته وابويه سجدوا له ولا
راى في يقظته الكواكب تسجد له فقد صح ان التطابق في المعاني دون
الصورة ومنها ان يكون السجود لله تعالى غير انه كان الى جهة يوسف
عم ونحوها كما يقال صلى فلان الى القبلة وللقبلة وهذا لا يخرج
يوسف عم من التعظيم الا ترى ان القبلة معظمة وان كان السجود لله
تعالى نحوها ومنها ان السجود ليس يكون مجرده عبادة حتى يضامه
من الامر له ما يكون عبادة فلا يمتنع ان يكون سجدوا له على سبيل

التحية والاعظام والاكرام ولا يكون ذلك منكرا لانه لم يقع على
وجه العبادة التي تختص بها القديم تعالى وكل هذا واضح
مسئلة فان قيل فما معنى قوله تعالى حكاية عنه عم من
بعد ان نزغ الشيطان ونفذ فيه كيده ونزغه الجواب قلنا
هذه الاضافة لا تقتضي ما تضمنه السوال بل النزغ والقبيح كان منهم
اليه لا منه اليهم ويجري ذلك مجرى قول القايل جرى بيني وبين
فلان شر وان كان من احدهما ولم يشتركا مسئلة فان قيل فما معنى
قوله عم للعزيز اجعلني على خزاين الارض اني حفيظ عليم
وكيف يجوز ان يطلب الولاية من قبل الظالم الجواب قلنا انما التمس
تمكينه من خزاين الارض ليحكم فيها بالعدل وليصرفها الى مستحقها وكان
ذلك له من غير ولاية وان سال الولاية ليتمكن من الحق الذي له ان
يفعله ولم يكن من اقامة الحق والامر بالمعروف ان يتقرب اليه ويتوصل
الى فعله فلا لوم في ذلك على يوسف عم ولا حرج ايوب عم
مسئلة فان قيل فما قولكم في الامراض والمحن التي لحقت نبي الله ايوب
عم اوليس قد نطق القران بانها كانت جزاء على ذنب في قوله
اني مسني الشيطان بنصب وعذاب والعذاب لا يكون الا جزاء
بالعقاب والالام الواقعة على سبيل الامتحان لا تسمى عذابا
عقابا اوليس قد روى جميع المفسرين ان الله تعالى انما
عاقبه بذلك البلا لتركه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
وقصته مشهورة يطول شرحها الجواب قلنا اما ظاهر القران

فليس

فليس يدل على ان ايوب عم عوقب بما نزل به من المضار وليس في ظاهره
شي مما ظنه السايل لانه تعالى قال واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه
اني مسني الشيطان بنصب وعذاب والنصب هو التعب وفيه لغتان
فتح النون والصاد وضم النون وتسكين الصاد والتعب هو المضرة التي لا تختص
بالعقاب وقد تكون على سبيل الاختبار والامتحان فاما
العذاب فهو ايضا يجري مجرى المضار التي لا تختص الحلوق ذكرها بجهة
دون جهة ولهذا يقال للظالم المبتدي بالظلم انه معذب
ومضر ومولم وربما قيل معاقب على سبيل المجاز وليس لفظة العذاب
بجارية مجرى لفظة العقاب لان لفظة العقاب تقتضي بظاهرها الجزاء
لانها من التعقيب والمعاقبة ولفظة العذاب ليست كذلك فاما
اضافته ذلك الى الشيطان فانما ابتلاه الله تعالى به فله وجه
صحيح لانه لم يضف المرض والسقم الى الشيطان وانما اضاف اليه
ما كان يستضر به من وسوسته ويتعب به من تذكيره له ما كان فيه
من النعم والعافية والرخاء ودعايه له الى التضجر والتبرم بما هو عليه
ولانه كان ايضا يوسوس الى قومه بان يستقذروه ويتجنبوه لما كان عليه
من الامراض البشعة المنظر ويخرجوه من بينهم وكل هذا ضرر من جهة
اللعين ابليس وقيل ان زوجته عم كانت تخدم الناس في منازلهم
وتصير اليه بما ياكله ويشربه وكان الشيطان يلقي اليهم ان داءه يعديهم

تعدي وعين البهم يجب خدمته زوجته من حيث كانت تباشر فرجه
وتمس جسده وهذه فساد لا شبهة فيها واما قوله في
سورة الانبياء وايوب اذ نادي ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين
فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر واتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة
من عندنا وذكري للعابدين فلا ظاهر لها ايضا يقتضي ما ذكروه لان
الضر هو الضرر الذي قد يكون محنة كما يكون عقوبة واما ما روي
في هذا الباب عن جهلة المفسرين فمما لا يلتفت الي مثله لان
هولاء لا يزالون يضيفون الي ربهم تعالي والي رسله عليهم السلام
كل قبيح ويقذفونهم بكل عظيم وفي روايتهم هذه السخيفة ما اذا تامل
المتامل علم انه موضوع باطل مصنوع لانهم رووا ان الله تعالي سلط
ابليس علي مال ايوب عم وغنمه واهله فلما اهلكهم ودمر عليهم
وراي صبره وتماسكه قال ابليس لربه يا رب ان ايوب
قد علم انه ستخلف له ماله وولده فسلطني علي جسده فقال
قد سلطتك علي جسده الا قلبه وبصره قال فاتاه
فنفخه من لدن قرنه الي قدمه فصار قرحة واحدة فقذف
علي كناسة لبني اسرائيل سبع سنين وشهرا تختلف الدواب
في جسده الي شرح طويل نصون كتابنا عن ذكر تفصيله فمن
يقبل عقله هذا الجهل والكفر كيف يوثق بروايته ومن لا يعلم
ان الله تعالي لا يسلط ابليس علي خلقه وان ابليس لا يقدر

علي ان

علي ان يقرح الاجساد ولا ان يفعل الامراض كيف يعتقد روايته فاما
هذه الامراض النازلة بايوب عم فلم تكن الا اختبارا وامتحانا وتعريضا
للثواب بالصبر عليها والعوض العظيم النفيس في مقابلتها وهذه سنة
الله تعالي في اصفيائه واوليائه فقد روي عن رسول الله
صلي الله عليه واله وسلم انه قال وقد سئل اي الناس اشد بلاء
فقال الانبياء ثم الصالحون ثم الامثل فالامثل من الناس فظهر
من صبره علي محنته وتماسكه ما صار به الي الان مثلا حتي روي
انه كان في خلال ذلك كله شاكرا محتسبا ناطقا بما له فيه من المنفعة
والفايدة وانه ما سمعت له شكوي ولا تفوه بتضجر ولا تبرم فعوضه
الله تعالي من نعيم الاخرة العظيم الدايم ان رد عليه ماله واهله وضاعف
عددهم في قوله تعالي واتيناه الحكمة وفصل الخطاب اهله ومثلهم
معهم ثم مسح ما به وشفاه وعافاه وامره علي ما وردت به الروايات
انه ركض برجله الارض فظهرت عين فاغتسل منها فتساقط ما كان علي
جسده من الداء قال الله تعالي اركض برجلك هذا مغتسل بارد
وشراب والركض التحريك ومنه ركضت الدابة فاما قول من
انتقصوه ما روي من الجذام اصابه حتي تساقطت اعضاؤه فلنا
ان العلل المستقذرة التي تنفر من راها وتوحشه كالبرص والجذام فلا
يجوز شي منها علي الانبياء عليهم السلام لما تقدم ذكره في صدر هذا الكتاب

لان التعوّد ليس يوافق الامور القبيحة بل قد يكون من الحسن والقبيح معًا
فليس ننكر ان تكون امراض ايوب عم واوجاعه ومحنته في جسمه ثم في اهله
وماله يبلغ مبلغًا عظيمًا يؤدي في الغم والالم على ما ينال المجذوم والعليل
ننكر ان ابتدا الالم فيه عم وانما ننكر ما اقتضى التنفير فان قيل
افتقولون ان العوض بما ابتلي به ايوب عم كان الثواب او العوض او هما
على الاجتماع وهل يجوز ان يكون في هذه الالم من المصلحة واللطف حاصلًا
في غيرها ما ليس بالم او تقولون من ذلك قلنا اما الالم التي فعلها
الله تعالى لا على سبيل العقوبة فليس يجوز ان يكون غرضه عز وجل فيها العوض
من حيث كان قادرًا على ان يبتدي مثل العوض بل الغرض منها المصلحة وما
يؤدي الى استحقاق الثواب فالعوض تابع والمصلحة اصل وانما يخرج بالعوض
من ان يكون ظلمًا وبالغرض من ان يكون عبثًا فاما الالم اذا كانت
فيه مصلحة ولطف وهناك في المعلوم ما يقوم مقامه فيها الا انه ليس بالم
اما بان يكون لذة او ليس بالم ولا لذة ففي الناس من ذهب الى ان
الالم لا يحسن في هذا الموضع وانما يحسن بحيث لا يقوم مقامه ما ليس بالم
في المصلحة والصحيح انه حسن والله تعالى مخير في فعل ايهما شاء والدليل
على صحة ما ذكرناه انه لو قبح والحال هذه لم يخل من ان يكون انما قبح من حيث
كان ظلمًا او من حيث كان عبثًا ومعلوم انه ليس بظلم لان العوض الزائد العظيم الذي
يحصل عليه يخرجه عن كونه ظلمًا وليس ايضًا بعبث لان العبث ما لا غرض
فيه او ما ليس فيه غرض مثله وهذا الالم فيه غرض عظيم جليل وهو الذي تقدم بيانه

ولو كان

بلغ

ولو كان هذا الغرض غير كاف فيه ولا يخرجه من العبث لما اخرجه من ذلك
اذا لم يكن هناك ما يقوم مقامه وليس لهم ان يقولوا انه انما قبح وصار عبثًا
من حيث كان هناك ما يغني عنه لان ذلك يودي الى ان كل فعلين المنفعتين كانا
او لذتين او ليس الغير ... لذتين او افعال تساوت في وجه المصلحة بقبح
فعل كل واحد منها لان العلة التي ادعيت حاصلة وليس له ان يقول
ان الالم انما يقبح اذا كان فيه من المصلحة مثل ما في فعل هو لذة من حيث كان
يغني عنه ما ليس بالم وذلك بان الغرض الذي في مقابلته يخرجه من
كونه ضررًا ويدخله في ان يكون نفعًا ويجريه اقل الاحوال مجرى ما ليس
بضرر فقد عاد الامر الى ان الالم بالعوض قد ساوى ما ليس بالم وحصل
فيه من العوض المودي الى المصلحة مثل ما فيه فيجب ان يكون مخيرًا في
الاستصلاح بايهما شاء فان قيل ما انكرتم ان يكون الفرق بين
الامرين ان اللذة قد يحسن ان تفعل بمجرد كونها لذة ولا تفتقر في حسن
فعلها الى امر زائد والالم لم يكن كذلك وانه لا يحسن ان يفعل مجردًا ولا بد في
امر زائد يجعله حسنًا قلنا هذا فرق بين الامرين من غير الموضع الذي
جمعنا بينهما فيه لان الغرض غرضنا انما كان في التسوية بين الالم واللذة
اذا كان في كل واحد منهما مثل ما في صاحبه من المصلحة وان نحكم بصحة التخيير
في الاستصلاح بكل واحد منهما وان كنا لا ننكر ان بينهما فرقًا من حيث
كان احدهما نفعًا يجوز ان يبتدا به واستحقاق الشكر عليه والاخر ليس
كذلك الا ان هذا الوجه وان لم يكن في الالم فليس يقتضي قبحه ووجوب فعل

فعل اللذة الا ترى ان اللذة قد يبا ويعاني المصلحة فعل ليس بالم ولا لذة
فيكون المكلف تعالى مخيرا في الاستصلاح بايهما شاء وان كان يجوز وحسن
ان يفعل اللذة بمجردها من غير عوض زايد ولا يحسن ذلك الفعل الا
الذي جعلناه في مقابلتها متى تجرد فانما يحسن لغرض زايد ولم يخرجها
اختلافهما في هذا الوجه من ان يصح فيما ذكرناه من الحكم واذا كانت
اللذة قد تساوي في الحكم الذي ذكرناه من التخيير في الاستصلاح ما ليس
بلذة وبينا ان العوض قد اخرج الالم من كونه ضررا وجعله بمنزلة ما
ليس بالم فقد بان صحة ما ذكرناه لان التخيير بين اللذة وما ليس بلذة
ولا الم اذا حسن متى اجتمعا في المصلحة فكذلك يحسن التخيير بين اللذة
وما جرى مجرى ما ليس بالم ولا ضرر من الالم الذي تقابله المنافع وليس
بعد هذا الا قول من يوجب فعل اللذة لكونها نفعا وهذا مذهب
ظاهر البطلان لا حاجة بنا الى الكلام عليه في هذا الموضع فان قيل
ما انكرتم ان يكون الاستصلاح بالالم اذا كان هناك ما يستصلح به
وليس بالم يجري في القبح والعبث مجرى من بذل المال لمن يتحمل عنه
ضرب الصداع ولا غرض له الا ايصال المال في ان ذلك عبث
قبيح قلنا اما قبح ما ذكرته فالوجه فيه غير ما ظننته من انه ما
يقوم مقامه في الغرض لانا قد بينا ان ذلك لو كان هو وجه
القبح لكان كل فعل فيه غرض يقوم غيره فيه مقامه عبثا وقبيحا وقد

علمنا

وقد علمنا خلاف ذلك وانما قبح بذل المال لمن يتحمل الضرب والغرض
ايصال المال اليه من حيث يمكن ان يبتدي بدفع المال الذي هو
الغرض من غير تكلف الضرب فصار عبثا وقبيحا من هذا الوجه وليس يمكن مثل ذلك
في الالم اذا قابله ما ليس بالم لان ما فيه من الغرض لا يمكن الا تقدم به

شعيب عم فان قيل ما معنى قوله تعالى في الحكاية
عن شعيب عم واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه والشي لا يعطف على نفسه
لا سيما بالحرف الذي يقتضي التراخي والمهلة وهو ثم واذا كان الاستغفار
هي التوبة فما وجه هذا الكلام **الجواب قلنا** في هذه الاية وجوه اولها
ان يكون المعنى اجعلوا المغفرة غرضكم وقصدكم الذي اليه تجرون
ونحوه تتوجهون ثم توصلوا اليها بالتوبة فالمغفرة اول في الطلب واخر
في السبب **وثانيها** انه لا يمتنع ان يريد بقوله استغفروا ربكم اي سلوه
التوفيق للمغفرة والمعونة عليها ثم توبوا لان المسالة للتوفيق ينبغي
ان يكون قبل التوفيق **وثالثها** انه اراد بثم الواو والمعنى استغفروا
ربكم وتوبوا اليه وهذان الحرفان قد يتداخلان فيقام احدهما مقام الاخر
ورابعها ان يريد استغفروه قولا ونطقا ثم توبوا اليه لتكونوا بالتوبة
فاعلين لما يسقط العقاب ولا تقتصروا على القول الذي لا يقطع على سقوط
العقاب عنده **وخامسها** انه خاطب المشركين بالله تعالى فقال لهم
استغفروه من الشرك بمفارقته ثم توبوا اي ارجعوا الى الله بالطاعات

شعيب عم

واقعًا الخبر لان الاتساع بذلك لا يكون الا بتقديم الاستغفار من الشرك رتبة وقعا
والتائب والايب والتايب والمنيب بمعنى واحد **وسادسها** ما ذكره
ابو علي الجبائي في تفسير هذه الاية لانه اراد بقوله استغفروا
ربكم ثم توبوا اليه اي اقيموا على التوبة لان التائب الى الله تعالى من ذنوبه
يجب ان يكون تائبا الى الله في كل وقت يذكر فيه ذنوبه بعد توبته الاولى
لانه يجب ان يكون مقيما على الندم على ذلك وعلى العزم على ان لا يعود
ومثله لو لم يجوز وكذلك لو نقض الندم لكان راضيا بالمعصية مسرورا
بها وهذا لا يجوز وقد حكينا القاضي باعيانها وحكاية هذا الوجه
انه المراد التكرار والتاكيد والامر بالتوبة بعد التوبة كما يقول
احدنا لغيره اضرب زيدا ثم اضربه وافعل هذا ثم افعله وهذا الذي
حكيناه عن ابي علي اولى مما ذكره في صدر هذه السورة لانه قال
هناك وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان معناه استغفروا ربكم
من ذنوبكم السالفة ~~ثم توبوا اليه ان معناه استغفروا ربكم من~~
~~ذنوبكم السالفة ثم توبوا~~ بعد ذلك من كل ذنب يكون منكم او
معصية وهذا ليس بشيء لانه اذا حمل الاستغفار المذكور
في الاية على التوبة فلا معنى لتخصيصه بما سلف دون ما ياتي
لان التوبة من ذلك اجمع واجب ولا معنى ايضا لتخصيص قوله
ثم توبوا اليه من المعاصي المستقبلة دون الماضية لان الماضي

والمستقبل

والمستقبل مما يجب التوبة منه فالذي حكيناه اولا عنه اشبه واولى
مسالة فان قيل فما الوجه في عدول شعيب عم عن جواب
بنته في قولها يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين
الى قوله لموسى عم اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين وهي لم تسئل النكاح
ولا عرضت به وترك اجابتها عن كلامها وخرج الى شيء لم تجر بما يقتضيه
الجواب قلنا انها لما سالته ان يستاجره ومدحته بالقوة والامانة
كان كلامها دالا بالترغيب فيه والتقريب منه والمدح له بما يدعوا الى
انكاحه فبذل له النكاح الذي يقتضيه غاية الاختصاص فما فعله
شعيب عم في غاية المطابقة لجوابها ولما يقتضيه سوالها **مسالة**
فان قيل فما معنى قول الشاعر شعيب عم اني اريد ان انكحك احدى
ابنتي هاتين على ان تاجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما
اريد ان اشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين وكيف يجوز في
الصداق هذا التخيير والتفويض واي فائدة للبنت فيما شرطه هو
لنفسه وليس يعود عليها من ذلك نفع **الجواب قلنا** يجوز ان يكون
الغنم كانت لشعيب عليه السلام وكانت الفائدة باستيجار من يرعاها
عائدة عليه الا انه اراد ان يعوض بنته عن قيمة رعيها فيكون ذلك
مهرا لها **فاما** التخيير فلم يكن الا فيما زاد على الثماني حجج ولم يكن
فيما شرطه مقترحا تخيير وان كان فيما يجاوزه ويتعداه **ووجه اخر**
وهو انه يجوز ان يكون الغنم كانت للبنت وكان الاب المتولي لامرها

والقابض لصداقها لانه لا خلاف في ان قبض الاب الولي مهر
بنته البكر البالغ جائز وانه ليس لوجه من الاولياء ذلك غيره واجمعوا
ان بنت شعيب عليه السلام كانت بكرًا ووجه اخر وهو انه يكون
حذف ذكر الصداق وما ذكره شرطه لنفسه مضافًا الى الصداق
لانه جائز ان يشرط الولي لنفسه ما يخرج من الصداق وهذا الجواب
يخالف الظاهر لان قوله تعالى اني اريد ان انكحك ابنتي هاتين على
ان تاجرني يقتضي ظاهره ان احدهما جزاء على الاخر ووجه اخر
وهو انه يجوز ان يكون من شريعته ع العقود بالتراضي من غير صداق
معين ويكون قوله على ان تاجرني على غير وجه الصداق
وما تقدم من الوجوه اقوى مسئلة فان قيل فما الوجه في قتل
موسى ع القبطي وليس يخلو من ان يكون مستحقًا للقتل او غير مستحق
فان كان مستحقًا فلا معنى لندمه ع وقوله هذا من عمل الشيطان
وقوله رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي وان كان غير مستحق فهو
عاص في قتله وما بنا حاجة الى ان تقول ان القتل لا يكون صغيرًا
لانكم تنفون الصغير والكبير من المعاصي عنهم عليهم السلام الجواب
قلنا مما يجاب به عن هذا السؤال ان موسى ع لم يتعمد القتل
ولا اراده وانما اجتاز فاستغاثه رجل من شيعته على رجل من عدوه
بغا عليه وظلمه وقصد الى قتله فاراد موسى ع ان يخلصه من يده
ويدفع عنه مكروهه فادى ذلك الى القتل من غير قصد اليه
وكل الم يقع على سبيل المدافعة للظالم من غير ان يكون مقصودًا

غير قبيح ولا يستحق العوض به ولا فرق بين ان يكون المدافعة من الانسان عن
نفسه وبين ان يكون عن غيره في هذا الباب والشرط في الامرين ان يكون
الضرر غير مقصود وان يكون القصد كله الى دفع المكروه والمنع من وقوع
الضرر فان ادى ذلك الى الضرر فهو غير قبيح ومن العجب ان ابا علي ذكر
هذا الوجه في تفسيره ثم نسب مع ذلك موسى ع الى انه فعل معصية
صغيرة ونسب معصيته الى الشيطان وقال في قوله رب
اني ظلمت نفسي انه يريد في هذا الفعل الذي لم يؤمر به وندم على ذلك ثم تاب
الى الله منه فيا ليت شعري ما الذي فعل مما لم يؤمر به وهو انما دفع
الظالم ومانعه ووقعت الوكزة منه على وجه الممانعة من غير
قصد ولا شبهة في ان الله تعالى امره بدفع الظلم فكيف فعل ما لم
يؤمر به وكيف يتوب من فعل الواجب واذا كان يريد ان ينسب الخطيئة
اليه فما الحاجة به الى ذكر المدافعة والممانعة وله ان يجعل الوكزة
مقصودة على وجه تكون المعصية بها صغيرة فان قيل
اليس لا بد ان يكون قاصدًا الى الوكزة وان لم يكن مريدًا بها اتلاف
النفس قلنا ليس يجب ما ظننته وكيف يجعل الوكزة مقصودة
وقد بينا الكلام على ان القصد كان الى التخليص والمدافعة ومتى
كان انما يريد المدافعة لا يجوز ان يقصد الى شيء من الضرر وانما وقعت
الوكزة وهو لا يريدها وانما اراد التخليص فاذا ذلك الى الوكزة
والقتل ووجه اخر وهو ان الله تعالى كان عرف موسى ع

استحقاق القبطي للقتل بكفره وندبه الى تأخير قتله الى حال التمكن
فلما رأى موسى عم منه الاقدام على رجل من شيعته تعجل قتله تاركا لما
ندبت اليه من تأخير قتله فاما قوله هذا من عمل الشيطان ففيه
وجهان احدهما انه اراد ان تزيين قتلي له وتركي لما ندبت اليه من تأخيره
وتفويتي ما استحقه عليه من الثواب من عمل الشيطان والوجه
الاخر يريد ان عمل المقتول عمل الشيطان مبينا بذلك عن خلافه
لله تعالى واستحقاقه للقتل فاما قوله رب اني ظلمت
نفسي فاغفر لي فمعنى قول آدم عليه السلام ربنا ظلمنا انفسنا
وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والمعنى احد وجهين
اما على سبيل الانقطاع والرجوع الى الله تعالى والاعتراف
بالتقصير عن حقوق نعمه وان لم يكن هناك ذنب او من حيث حرم
نفسه الثواب المستحق بفعل الندب فاما قوله فاغفر لي
فانه اراد به فاقبل مني هذه القربة والطاعة والانقطاع الاترى
ان قبول الاستغفار والتوبة يسمى غفرانا واذا ساوى هذا
القبول غيره في معنى استحقاق الثواب والمدح به جاز ان يسمى
بذلك ثم يقال لمن ذهب الى ان القتل منه عم كان صغيرة
ليس يخلو من ان يكون قتله متعمدا وهو مستحق للقتل او قتله
عمدا وهو غير مستحق او قتله خطأ وهو مستحق او غير مستحق
والقسم الاول يقتضي ان لا يكون عاصيا جملة والثاني

لايجوز مثله

لا يجوز مثله على النبي عم لان قتل النفس عمدا بغير استحقاق فان جاز ان
يكون صغيرة على بعض الوجوه جاز ذلك في الزنا وعظايم الذنوب
فان ذكر ما في الزنا وما اشبهه التصغير فهو في القتل اعظم وان
كان قتله خطأ وهو مستحق او غير مستحق ففعله خارج باب القبيح
جملة فلا حاجة الى ذكر الصغيرة مسالة فان قيل كيف يجوز
لموسى عم ان يقول لرجل من شيعته يستصرخه انك لغوي مبين
الجواب قلنا ان قوم موسى عم كانوا غلاظا جفاة الاترى الى قولهم
بعدما شهدوا الايات لما راوا من يعبد الاصنام اجعل لنا الها
كما لهم الهة وانما خرج موسى عم خائفا على نفسه من قوم فرعون
بسبب قتل القبطي فرأى ذلك الرجل في خصومة مع رجل من اصحاب فرعون
فاستنصر موسى عم فقال له عند ذلك انك لغوي مبين واراد
انك خائب في طلب ما لا تدركه وتكلف ما لا تطيقه ثم قصد الى
نصرته كما نصره بالامس على الاخر فظن انه يريده بالبطش لبعد
فهمه فقال له اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد
الا ان تكون جبارا في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين فعدل عن
قتاله وصار ذلك سببا لشياع خبر القبطي بالامس مسالة
فان قيل فما معنى قول فرعون لموسى عم وفعلت فعلتك التي فعلت
وانت من الكافرين وقوله عم فعلتها اذا وانا من الضالين كيف
نسب عم نفسه الى الضلال ولم يكن عندكم في وقت من الاوقات

ضالة **الجواب قلنا** اما قوله وانت من الكافرين فانما اراد به الكافرين
لنعمتي وحق تربيتي فان فرعون كان المولي لموسي عم الي ان كبر وبلغ
الاتري الي قوله تعالي حكاية عنه الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا
من عمرك سنين **فاما قوله** موسي عم فعلتها اذا وانا من الضالين
فانما اراد به من الذاهبين عن ان الوكزة تاتي علي النفس وان المدفعة
تفضي الي القتل فقد يسمي الذاهب عن الشي انه ضال عنه ويجوز
ايضا ان يريد اني ضللت عن فعل المندوب اليه من الكف عن
القتل في تلك الحال والفوز بمنزلة الثواب **مسئلة فان قيل**
كيف جاز لموسي عم وقد قال تعالي اله ائت القوم الظالمين
ان يقول في الجواب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري
ولا ينطلق لساني فارسل الي هرون وهذا استعفا من الرسالة
الجواب قلنا ان ذلك ليس باستعفا كما تضمنه السؤال بل
كان عليه السلام قد اذن له ان يسال ضم اخيه عم في الرسالة اليه قبل
هذا الوقت وضمنت له الاجابة الا تري الي قوله تعالي وهل
اتيك حديث موسي اذ راي نارا الي قوله واجعل لي
وزيرا من اهلي فاجابه تعالي الي مسئلته بقوله قد اوتيت
سؤلك يا موسي وهذا يدل علي ثقته بالاجابة الي مسئلته
التي تقدمت وكان ما ذكرنا له فيها فقال اني اخاف
ان يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني سوالا لتمام الصورة

وبيانا

وبيانا عن حالته المقتضية لضم اخيه اليه في الرسالة فلم تكن مسئلته الا
عن اذن وعلم وثقة بالاجابة **مسئلة فان قيل** كيف جاز لموسي عم
ان يامر السحرة بالقاء الحبال والعصي وذلك كفر وسحر وتلبيس وتمويه
والامر بمثله لا يحسن **الجواب قلنا** لابد من ان يكون في امره عم بذلك
شرط فكانه قال القوا ما انتم ملقون ان كنتم محقين وكان فيما
تفعلونه حجة وحذف الشرط لدلالة الكلام عليه واقتضا الحال
له وقد جرت العادة باستعمال هذا الكلام محذوف الشرط
مرادا وليس يجري هذا مجري قوله تعالي فاتوا بسورة من مثله
وهو يعلم انهم لا يقدرون علي ذلك وما اشبه هذا الكلام من
الفاظ التحدي لان التحدي وان كان بصورة الامر فليس بامر علي
الحقيقة ولا تصاحبه ارادة الفعل وكيف تصاحبه الارادة والعلم
بالاستحالة وقوع ذلك منهم وتعذره عليهم وانما التحدي لفظ موضوع
لاقامة الحجة علي المتحدا واظهار عجزه وقصوره عما تحدي به وليس
هناك فعل يتناوله ارادة الامر بالقا الحبال والعصي يخالف
ذلك لانه مقدور ممكن فليس يجوز ان تقال ان القصد به هو ان
يعجزوا عن القائها ويتعذر عليهم ما دعوا اليه فلم يبق بعد ذلك
الا انه امر بشرط ويمكن ان يكون علي سبيل التحدي بان يكون دعاهم
الي الالقا علي وجه يساوونه فيه ولا يخيلون فيها القوة السعي

والتصرف من غير ان له حقيقة لان ذلك غير ساير لما ظهر على يدي من
انقلاب الجماد حية على الحقيقة دون التخييل واذا كان ليس ذلك
في مقدورهم فانما تحداهم به ليظهر حجته وتتوجه دلالته وهذا
واضح مسألة فان قيل فمن اي شي خاف موسى عم حتى حكى الله عنه
الخيفة في قوله عز وجل فاوجس في نفسه خيفة موسى اوليس
خوفه يقتضي شكه في صحة ما اتى به الجواب قلنا انه خاف من الوجه
الذي تضمنه السوال وانما راي من قوة التلبيس والتخييل ما اشفق
عنده من وقوع الشبهة على من لم ينعم النظر فامنه الله تعالى من ذلك
وبين له ان حجته ستتضح للقوم بقوله لا تخف انك انت الاعلى
مسألة فان قيل فما معنى قوله تعالى حاكيا عن موسى عم
ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة واموالا في الحيوة الدنيا
ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم
فلا يومنوا حتى يروا العذاب الاليم الجواب قلنا اما قوله
ليضلوا عن سبيلك ففيه وجوه اولها انه اراد لان لا يضلوا فحذف
وهذا له نظاير كثيرة في القران وكلام العرب فمن ذلك قوله
تعالى ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى وانما اراد لان لا تضل
وقوله تعالى ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين
وقوله تعالى والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وقال الشاعر

نزلتم منزل الاضياف منا فعجلنا القرى ان تشتمو نا
والمعنى ان لا تشتمونا فان قيل ليس هذا نظير لقوله تعالى ليضلوا عن
سبيلك لانكم حذفتم في الاية لا وما استشهدتم به انما حذف
منه لفظة لا فقط قلنا كما استشهدنا به وقد حذف منه اللام ولا معا
الا ان تقدير الكلام لان لا تشتمونا وفي الاية انما حذف ايضا حرفان وهما
ان ولا وانما جعلنا حذف اللام فيما استشهدنا به بازاء حذفنا في الاية
من حيث كانا جميعا ينبيان عن الغرض ويدلان على القصد الا ترى
انهم يقولون جيتك لتكرمني كما يقولون جيتك ان تكرمني والمعنى لغرض
الكرامة فاذا جاز ان يحذفوا احد الحرفين جاز ان يحذفوا الاخر وثانيها
ان اللام ههنا هي لام العاقبة وليست بلام الغرض وتجري مجرى قوله
تعالى فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وهم لم يلتقطوه
لذلك بل لخلافه غير ان العاقبة لما كانت ما ذكره حسن ادخال اللام
ومثله قول الشاعر وللموت تغذو الوالدات سخالها كما لخراب الدور تبنى المساكن
ونظاير ذلك كثيرة فكانه تعالى لما علم ان عاقبة امرهم الكفر وانهم لا
يموتون الا كفارا واعلم ذلك نبيه عم حسن ان يقول انك اتيتهم
الاموال ليضلوا وثالثها ان يكون مخرج الكلام مخرج النفي
والانكار على من زعم ان الله فعل ذلك ليضلهم ولا يمتنع ان يكون هناك
من يذهب الى مذهب المجبرة في ان الله تعالى يضل عن الدين فقال
تحققا الكلام عليه كما يقول احدنا انما اتيت عبدي ما اتيته من

من الا سوال لیعصيني ولا يطيعني وهو انما يريد الانكار علي من نظن
ذلک به ونفي اضافة المعصية اليه وهذا الوجه لا يتصور الا علي
وجهين اما بان يقدر فيه الاستفهام وان حذف حرفه او بان
يكون اللام خارجا مخرج النفي والانكار ورابعها ان يكون اراد
الاستفهام فحذف حرفه المختص به وقد حذف حرف الاستفهام
في اماكن كثيرة من الكلام وهذا الجواب ضعيف لان حرف الاستفهام
لا يكاد يحذف الا في الكلام دلالة عليه وعوض منه مثل قول الشاعر
كذبتك عينك ام رايت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا
لان لفظة ام تقتضي الاستفهام وقد سال ابو علي الجبائي نفسه
عن هذا السوال في التفسير فاجاب عنه بان مع الاية ما يدل
علي حذف حرف الاستفهام وهو دليل العقل الدال علي ان الله
تعالى لا يضل العباد عن الدين ودليل العقل اقوي ما يكون في
الكلام دالا علي حرف الاستفهام وهذا ليس بشي لان دليل
العقل وان كان اقوي من كل دليل بصحة الكلام فانه ليس يقتضي
في الاية ان يكون حرف الاستفهام فيها محذوفا لا محالة لان العقل
انما يقتضي تنزيه الله تعالى عن ان يكون مجزيا بشي من افعاله
الي الضلال عن الدين وقد يمكن صرف الاية الي ما يطابق دليل
العقل تنزيهه تعالى عن القبيح من غير ان يذكر الاستفهام ويحذف
حرفه فاذا كان ذلك ممكنا لم يكن في العقل دليل علي حذف حرف
الاستفهام وانما يكون فيه دليل علي ذلک لو كان يقتضي تنزيهه

تعالى عن

تعالى عن حذف ارادة الضلال الا بتقدير الاستفهام فاما قوله
تعالى فلا يومنوا حتى يروا العذاب الاليم فجواب فقيل فيه انه
عطف علي قوله ليضلوا وليس بجواب لقوله ربنا اطمس علي اموالهم
واشدد علي قلوبهم وتقدير الكلام ربنا انك اتيت فرعون وملاه
زينة واموالا في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك فلا يومنون
حتى يروا العذاب الاليم ربنا اطمس علي اموالهم واشدد علي قلوبهم وهذا
الجواب يطابق ان يكون اللام للعاقبة وان يكون المعنى فيها لئلا يضلوا
ايضا وقال قوم انه اراد فلن يومنوا فابدل الالف من النون
الخفيفة كما قال الاعشى وصل علي حين العشيات والضحى ولا تحمد المثرين والله فاحمدا
اراد فاحمدن فابدل وكما قال عمر ابن ابي ربيعة
وقمير بدا ابن خمس وعشرين له قالت الفتاتان قوما
اراد قومن وما استشهد به من اجاب بهذا الجواب الذي ذكرناه
انكار في ان الكلام خبر وان خرج مخرج الدعاء ما روي عن النبي صلى الله
عليه واله من قوله لن يلدغ المومن من جحر مرتين وهذا نفي وان كان
مخرجه مخرج النهي وتقدير الكلام لا يلدغ المومن من جحر مرتين لانه
لو كان خبرا لكان كذبا واذا جاز ان يراد بما لفظه لفظ الخبر النهي جاز
ان يراد بما لفظه لفظ الدعاء الخبر ويكون المراد بالكلام فلن يومنوا
وقد ذكر ابو علي ان قوما من اهل اللغة قالوا انه تعالى نصب
قوله فلا يومنوا وحذف منه النون وهو يريد في المعنى لا يومنون

علي سبيل الخبر عنهم لان قوله لا يؤمنون وقع موقع جواب الامر الذي
هو قوله اطمس علي اموالهم واشدد علي قلوبهم فلا وقع موقع جواب الامر
وفيه الف نصبه لان جواب الامر بالف منصوب في اللغة فنصب هنا
لما اجراه مجري الجواب وان لم يكن في الحقيقة جوابا ومثله قول
القايل انظر الي الشمس تغرب بالجزم وتغرب ليس هو جواب الامر
علي الحقيقة لا نها لا تغرب لنظر هذا الناظر ولكن لما وقع موقع الجواب
اجراه مجراه في الجزم وان لم يكن جوابا علي الحقيقة وقد ذكر
ابو مسلم محمد ابن بحر في هذه الايه وجها اخر وهو من اغرب ما ذكر فيها
قال ان الله تعالي لما اتي فرعون وملاه الزينة والاموال في الدنيا
علي طريق العذاب لهم والا تنعيمهم تعالي منهم لما كانوا عليه من الكفر والضلال
وعلمه من احوالهم في المستقبل من انهم لا يؤمنون وجري ذلك مجري
قوله تعالي فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها
في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون قال موسي عم ربه
وقال يا رب انك اتيتهم هذه الاموال والزينه في الحيوة الدنيا
علي طريق العذاب وليضلهم في الاخره عن سبيلك التي هي سبيل
الجنه وتدخلهم النار بكفرهم ثم ساله ان يطمس علي اموالهم بان يسلبهم
اياها ليزيد ذلك في حسرتهم وعذابهم ومكروههم ويشد علي قلوبهم
ان يميتهم علي هذه الحال المكروهه وهذا جواب قريب من الصواب
والسداد **مسالة فان قيل** فما الوجه في قوله تعالي ولما جاء موسي

لميقاتنا

لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر اليك اوليس هذه المسئله تدل علي
جواز الرؤية عليه تعالي لانها لو لم تجز لم يسغ ان يسالها موسي عم
كما لا يجوز ان يساله اتخاذ الصاحبه والولد **الجواب قلنا** اولي
ما اجيب به عن هذه الاية ان يكون موسي عم لم يسال الروية لنفسه
وانما سالها لقومه فقد روي ان قومه طلبوا ذلك منه فاجابهم بان
الروية لا تجوز عليه تعالي فلجوا به والحوا عليه في ان يسال الله تعالي
ان يريهم نفسه وغلب في ظنه ان الجواب اذا ورد من جهته جلت
عظمته كان احسم للشبهة وانفي لها واختار السبعين الذين حضروا
الميقات لتكون المسالة بحضر منهم فيعرفوا ما يرد من الجواب فسال
عم علي ما نطق به القران واجيب بما يدل علي ان الروية لا تجوز عليه
عز وجل ويقوي هذا الجواب امور **منها** قوله تعالي يسالك
اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سالوا موسي اكبر من ذلك
فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم **ومنها** قوله
تعالي واذ قلتم يا موسي لن نؤمن لك حتي نري الله جهرة فاخذتكم الصاعقة
وانتم تنظرون **ومنها** قوله تعالي فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت
اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا فاضاف ذلك الي
السفهاء وهذا يدل علي انه كان بسببهم ومن حيث سالوا ما لا يجوز
عليه تعالي **ومنها** ذكر الجهرة في الروية وهي لا تليق الا برؤية البصر
دون العلم وهذا يقوي ان الطلب لم يكن للعلم الضروري علي ما ذكره

في الجواب وهي لا تليق الابوية اليهود دون التالي لهذا الكلام
ومنها قوله انظر اليك لانا اذا حملنا الاية على طلب الروية
لقومه امكن ان يكون قوله انظر اليك على حقيقة واذا حملت الاية على العلم
الضروري احتيج الى الحذف في الكلام فيصير تقديره ارني انظر الى الايات
التي عندها اعرفك ضرورة ولهذا يمكن في هذا الوجه الاخير خاصة ان
يقال اذا كان المذهب الصحيح عندكم ان النظر في الحقيقة غير الروية
فكيف يكون قوله انظر اليك على حقيقة في جواب من حمل الاية على
طلب الروية لقومه فان قلتم لا يمتنع ان يكونوا انما التمسوا الروية التي
يكون معها النظر والتحديق الى الجهة فقال على حد ما التمسوه قيل
لكم هذا ينقض فرقكم في هذا الجواب بين سوال الروية وبين سوال
جميع ما يستحيل عليه من الصاحبة والولد وما يقتضي الجسمية بان
يقولوا الشك في الروية لا يمنع من صحة معرفة السمع والشك في جميع
ما ذكره يمنع من ذلك لان الشك الذي يمنع من معرفة السمع انما هو في
الروية التي لا يكون معها نظر ولا يقتضي التشبيه فان قلتم يحمل ذكر
النظر على ان المراد به نفس الروية على سبيل المجاز لان من عادة
العرب ان يسموا الشي باسم طريقه وما قاربه ودانا قيل لكم فاذا كنتم
عدلتم عن مجاز الى مجاز فلا قوة في هذا الوجه والوجوه التي ذكرناها
في تقوية هذا الجواب المتقدمة اولى وليس لاحد ان يقول
لو كان موسى ع انما سال الروية لقومه لم يضف السوال الى نفسه فيقول

ارني انظر

الي انظر اليك ولا كان الجواب ايضا مختصا به في قوله لن تراني وذلك انه
غير ممتنع وقوع الاضافة على هذا الوجه مع ان المسئلة كانت من اجل الغير
اذا كان هناك دلالة تومن من اللبس ولهذا يقول احدنا اذا شفع في حاجة
غيره للمشفوع اليه قد اجبتني وشفعتني وما جرى مجرى هذه الالفاظ وانما
حسن هذا الان للسائل في المسئلة غرضا وان رجعت الى الغير فتحققه
بها وتكلفه كتكلفه اذا خصته فان قيل كيف يسئل الروية لقومه
مع علمه باستحالتها عليه تعالى لئن جاز ذلك ليجوزن ان يسئل لقومه سائر ما يستحيل
عليه من كونه جسما وما اشبهه حتى شكوا فيه قلنا انما صحت المسئلة
في الروية ولم يصح فيما سالت عنه مع الشك في جواز الروية التي لا تقتضي
كونه جسما يمكن معرفته السمع وانه تعالى حكيم صادق في اخباره فيصح ان
يعرفوا بالجواب الوارد من جهته تعالى استحالة ما شكوا في جوازه ومع
الشك في كونه جسما لا يصح معرفة السمع فلا ينتفع بجوابه ولا يثمر علما وقد
قال بعض من تكلم في هذه الاية قد كان جايزا ان يسئل موسى ع
لقومه ما يعلم استحالته وان كانت دلالة السمع لا تثبت قبل معرفته
متى كان المعلوم ان في ذلك صلاحا للمكلفين في الدين وان ورود الجواب
يكون لطفا لهم في النظر في الادلة واصابة الحق منها غير ان من
اجاب بذلك شرط ان يبين النبي ع انه عالم باستحالة ما سال فيه
وان غرضه في السوال ان يرد الجواب فيكون لطفا وجواب اخر

بلغ

في الاية وهو ان يكون موسى عم انما سأل ربه تعالى ان يعلمه نفسه ضرورة
باظهار بعض اعلام الاخرة التي تضطر عندها الى المعرفة فيزول عنه
الخواطر ومنازعة الشكوك والشبهات ويستغني عن الاستدلال فتخف
المحنة عنه بذلك كما سأل ابراهيم عم ربه تعالى ان يريه كيف تحيي
الموتى طلبا لتخفيف المحنة وان كان قد عرف ذلك قبل ان يراه والسوال
وان وقع بلفظ الروية فان الروية تفيد العلم كما تفيد الادراك بالبصر
قال الشاعر رايت الله اذ سمي نزارا واسكنهم بمكة قاطنينا
واحتمال الروية للعلم اظهر من ان يدل عليه لاشتهاره ووضوحه
فقال الله تعالى لن تراني اي لن تعلمني على هذا الوجه الذي التمسته
ثم اكد ذلك بان اظهر في الجبل من الايات والعجايب مادلت به على ان
المعرفة الضرورية في الدنيا مع التكليف وبيانه لا يجوز وان الحكمة
تمنع منها والوجه الاول اولى لما ذكرناه متقدما من الوجوه ولان
موسى عم لا يخلوا من ان يكون شاكا في ان المعرفة الضرورية لا يصح
حصولها في الدنيا اوغير شاك فان كان شاكا فالشك فيما يرجع
الى اصول الديانات وقواعد التكليف لا يجوز على الانبياء
عم لاسيما وقد يجوز ان يعلم ذلك على حقيقته بعض امتهم ويزيد
عليهم في المعرفة وهذا ابلغ في التنفير عنهم من كل شي يمنع منه
وان كان موسى عم عالما بذلك وغير شاك فيه فلا وجه لسواله
الا ان يقال انه سأل لقومه فيعود الى معنى الجواب الاول

وقد حكي جواب ثالث في هذه الاية عن بعض من تكلم في تاويلها من اهل
التوحيد وهو ان قال يجوز ان يكون موسى عم في وقت مسألته ذلك كان
شاكا في جواز الروية عليه تعالى فسأل عن ذلك ليعلم هل يجوز عليه
ام لا قال وليس شكه في ذلك بمانع ان يعرف الله تعالى بصفاته
بل يجري مجرى شكه في جواز الروية على بعض ما لا يري من الاعراض
في انه غير مخل بما يحتاج اليه في معرفته تعالى قال ولا يمتنع ان يكون
غلطه في ذلك ذنبا صغيرا وتكون التوبة الواقعة منه لاجله وهذا
الجواب يبعد من قبل ان الشك في جواز الروية التي لا تقتضي
تشبيها وان كان لا يمتنع من معرفته بصفاته وان الشك في ذلك لا يجوز
على الانبياء عليهم السلام من حيث يجوز من بعض من بعثوا اليه ان
يعرف ذلك على حقيقته فيكون النبي شاكا فيه وامته عارفون
به مع رجوعهم في المعارف بالله تعالى وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه
وهذا ابلغ في التنفير على كل ما يوجب تنزيه الانبياء عليهم السلام
عنه فان قيل فعن اي شي كانت توبة موسى عم على الجوابين
المتقدمين قلنا اما من ذهب الى ان المسألة كانت لقومه فانه
يقول انما تاب لانه اقدم على ان سأل على لسان قومه ما لم يؤذن له
فيه وليس للانبياء عليهم السلام ذلك لانه لا يومن ان يكون الصلاح
في المنع منه فيكون ترك اجابتهم منفرا عنهم وليس يجري مسألتهم على
سبيل الاستدلال بغير حضور قومهم مجرى ما ذكرناه لانه يجوز ان

ان سائر ما استقبح منها لم يؤذن لهم فيه لان ينقص منه لا يقتضي تنفيرا
ومن ذهب الي انه سال المعرفة الضرورية يقول انه تاب من حيث سال
معرفة لا يقتضيها التكليف وفي الناس من قال انه انما تاب من
حيث ذكر في الحال ذنبا صغيرا متقدما والذي يجب ان يقال في
تلفظه بذكر التوبة انه وقع علي سبيل الانقطاع الي الله تعالي
والرجوع اليه والتقريب منه وان لم يكن هناك ذنب معروف
وقد يجوز ايضا ان يكون الغرض ذلك مضافا الي ما ذكرناه
من الاستكانة والخضوع والعبادة تعليمنا وتوقيفنا علي ما نستعمله
وندعو به عند نزول الشدايد وظهور الاهوال وتنبيه القوم
المخطيين خاصة علي التوبة مما التمسوه من الرواية المستحيلة عليه
تعالي فان الانبيا عليهم السلام وان لم يقع منهم القبايح فقد يقع من غيرهم
ويحتاج من وقع ذلك منه الي التوبة والاستغفار والاستقالة وهذا
بين بحمد الله ومنه مسئلة فان قيل فما وجه قوله تع حكاية عن
موسي ع والقي الالواح واخذ براس اخيه يجره اليه قال ابن ام
ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعدا
ولا تجعلني مع القوم الظالمين اوليس ظاهر هذه الاية يدل علي ان
هرون عليه السلام احدث ما اوجب ايقاع ذلك الفعل به وبعد فما
فما الاعتذار لموسي عليه السلام من ذلك وهو فعل السخف والمتسرع
وليس من عادة الحكما المتماسكين الجواب قلنا ليس فيما حكاه الله

تعالى عن

تعالي من فعل موسي باخيه عليهما السلام ما يقتضي وقوع معصية ولا قبيح
من واحد منهما وذلك ان موسي ع اقبل وهو غضبان علي قومه لما احدثوا بعده
مستعظما لفعلهم مفكرا فيما كان منهم فاخذ براس اخيه وجره اليه كما يفعل
الانسان بنفسه مثل ذلك عند الغضب وشدة الفكر الا تري ان المفكر
الغضبان قد يعض علي شفته ويفتل اصابعه ويقبض علي لحيته فاجري
موسي ع اخاه هرون مجري نفسه لانه كان اخوه وشريكه ومن يمسه من الخير
والشر ما يمسه فصنع به ما يصنعه الرجل بنفسه في احوال الفكر والغضب
وهذه الامور تختلف احكامها بالعادات فيكون ما هو اكرام في بعضها
استخفافا في غيرها ويكون ما هو استخفاف في موضع اكراما في اخر
فاما قوله لا تاخذ بلحيتي ولا براسي فليس يدل علي انه وقع علي سبيل
الاستخفاف بل لا يمتنع ان يكون هرون ع خاف من ان يتوهم بنو اسرايل
لسو ظنهم انه منكر عليه معاتب له ثم ابتدا بشرح قصته فقال في
موضع اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرايل ولم ترقب قولي
وفي موضع اخر ابن ام ان القوم استضعفوني الي اخر الايه ويمكن ان يكون
قوله لا تاخذ بلحيتي ولا براسي علي سبيل الانقباض والانفة بل يعني
كانه قال لا تغضب ولا تشتد جزعك واسفك لانا اذا كنا قد جعلنا فعله
ذلك دلالة الغضب والجزع فالنهي عنه نهي عن الغضب عنهما وقال قوم
ان موسي ع لما جري من قومه من بعده ما جري اشتد حزنه وجزعه ورأي
من اخيه هرون ع مثل ما كان عليه من الجزع والقلق اخذ براسه اليه متوجعا
له مسكنا له كما يفعل احدنا بمن نالته المصيبة العظيمة فيجزع لها ويقلق منها وعلي

وعلى هذا الجواب يكون قوله لا تصحبني الا عذر لا يتعلق
بهذا الفعل بل يكون كلاما مستأنفا فاما قوله على هذا الجواب لا اجد
بلحيتي ولا براسي فيحتمل ان يريد لا تفعل ذلك وغرضك التسكين عني فيظن
القوم انك منكر علي وقال قوم في هذه الآية ان بني اسرائيل كانوا على
نهاية سوء الظن بموسى عم حتى ان هرون عم كان غاب عنهم غيبة فقالوا
لموسى انت قتلته فلما وعد الله موسى ثلاثين ليلة واتمها له بعشر وكتب
له في الالواح من كل شيء وخصه بامور شريفة جليلة الخطر بان [illegible] في
الاتية من الجبل ومن كلام الله تعالى له وغير ذلك من شريف الامور ثم رجع
الى اخيه اخذ براسه ليدنيه اليه ويعلمه ما جدد الله له من ذلك
ويبشره به فخاف هرون عم ان يسبق الى قلوبهم ما لا اصل له فقال
اشفاقا على موسى عم فلا تأخذ بلحيتي ولا براسي لئلا يظن بي [illegible]
اعدي عدوك فيظنوا بك ما لا يجوز عليك ولا يليق بك والله تعالى اعلم
بمراده من كلامه **مسئلة فان قيل** فما الوجه في قوله تعالى فيما حكاه عن
موسى عم من الآيات والعالم الذي كان صحبه وقيل انه الخضر عم من
الآيات التي ابتداؤها فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه
من لدنا علما قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا
قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال
ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا قال فان اتبعتني فلا
تسئلني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا الى آخر الآيات المتضمنة
لهذه القصة واول ما تسألون عنه في هذه الآيات ان تقالوا
لكم كيف يجوز ان يتبع موسى عم غيره ويتعلم منه وعندكم ان النبي

لا يجوز ان

لا يجوز ان يفتقر الى غيره وكيف يجوز ان يقول له انك لن تستطيع معي صبرا
والاستطاعة هي القدرة وقد كان موسى عم على مذهبكم قادرا على الصبر
وكيف قال موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا
فاستثنى في الصبر واطلق فيما هو من طاعته واجتناب معصيته وكيف
قال لقد جئت شيئا نكرا وما اتى العالم منكرا على الحقيقة وما
قوله تعالى لا تؤاخذني بما نسيت وعندكم ان النسيان لا يجوز على
الانبياء ولم نعت موسى عم النفس بانها زاكية ولم تكن كذلك
على الحقيقة ولم قال في الغلام فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا
وان كان الذي خشيه الله تعالى على ما ظنه قوم فالخشية لا تجوز عليه
تعالى وان كان الخضر فكيف يستبيح دم الغلام لاجل الخشية والخشية لا
تقتضي علما ولا يقينا **الجواب** قلنا اما العالم الذي نعته
الله تعالى في هذه الآيات فلا يجوز الا ان يكون نبيا فاضلا وقد
قيل انه الخضر عم وانكر ابو علي ذلك وزعم انه ليس بصحيح قال
لان الخضر يقال انه كان نبيا من بني اسرائيل الذين بعثوا
بعد موسى عم ولا دار يشد موسى اليه ليتعلم منه وانما المنكر ان يحتاج
النبي في العلم الى بعض رعيته والمبعوث اليهم فاما ان يفتقر
الى غيره ممن ليس برعية في شيء وما يعلمه من هذا العالم الا كتعلمه
من الملك الذي يهبط اليه بالوحي وليس في هذا دلالة على ان ذلك
العالم كان افضل من موسى في العلم لانه لا يمتنع ان يزيد موسى عم في سائر

العلوم التي هي افضل واشرف مما علمه فقد يتعلم احدنا شيئاً من المعلومات
وان كان ذلك العلوم يذهب على غيره ممن هو افضل منه واعلم فاما
نفي الاستطاعة فانما اراد بها ان الصبر لا يخف عليك وانه يثقل على طبعك
كما يقول احدنا لغيره انك لا تستطيع ان تنظر الي وكما تقول للمريض
الذي يجهده الصوم وان كان عليه قادراً انك لا تستطيع الصيام ولا
تطيقه وربما عبر بالاستطاعة عن الفعل نفسه كما قال الله تعالى
حكاية عن الحواريين هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من
السماء فكانه على هذا الوجه قال له انك لن تصبر ولن يقع منك الصبر
وان كان انما نفى القدرة على ما ظنه الجاهل لكان العالم وهو في ذلك
سواء فلا معنى لاختصاصه بنفي الاستطاعة والذي يدل على انه
انما نفى عنه الصبر لا الاستطاعة قول موسى عم في جوابه ستجدني
ان شاء الله صابراً ولم يقل ستجدني ان شاء الله مستطيعاً ومن
حق الجواب ان يطابق الابتداء فدل جوابه على ان الاستطاعة
في الابتداء هي عبارة عن الفعل نفسه فاما قوله ولا اعصي لك امراً
فهو ايضاً مشروط بالمشية وليس بمطلق على ما ذكر في السؤال فكانه
قال ستجدني صابراً ولا اعصي لك امراً ان شاء الله تعالى وانما
قدم الشرط على الامرين جميعاً وهذا ظاهر في الكلام فاما
قوله لقد جئت شيئاً امراً فقد قيل انه اراد شيئاً
عجيباً وقيل انه اراد شيئاً منكراً وقيل ان الامر هو الداهية

فكانه قال

فكانه قال جئت داهية وقد ذهب بعض اهل اللغة الى ان الامر
مشتق من الكثرة من امر القوم اذا كثروا وجعل عبارة عما كثر عجبه واذا
حملت هذه اللفظة على العجب فلا سؤال فيها وان حملت على النكر كان
الجواب عنها وعن قوله ولقد جئت شيئاً نكراً واحداً وفي ذلك
وجوه منها ان ظاهر ما اتيته المنكر ومن يرى هذه ينكره قبل ان يعرف
علته ومنها انه اراد انك اتيت امراً بديعاً غريباً فانهم يقولون فيما يستغربونه
ويجهلون علته انه نكر ومنكر وليس يمكن ان يدفع خروج الكلام مخرج الاستفهام
والتقرير دون القطع الا ترى ان قوله اخرقتها لتغرق اهلها والى قوله
اقتلت نفساً زكية بغير نفس ومعلوم انه ان كان قصد بخرق السفينة
الى التغريق فقد اتى منكراً وكذلك ان كان قتل الغلام على سبيل الظلم
فاما قوله لا تؤاخذني بما نسيت فقد ذكر فيه وجوه ثلاثة
احدهن اراد النسيان المعروف وليس ذلك بعجب مع قصر المدة فان
الانسان قد ينسى ما قرب زمانه لما يعرض له من شغل القلب وغير ذلك
والوجه الثاني انه اراد لا تؤاخذني بما تركت ويجري ذلك مجرى
قوله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي اي ترك وقد روي
هذا الوجه عن ابن عباس عن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه
وآله قال قال موسى عم لا تؤاخذني بما نسيت يقول بما
تركت من عهدك والوجه الثالث انه اراد لا تؤاخذني بما فعلته
مما يشبه النسيان فسماه نسياناً للمشابهة كما قال المؤذن لاخوة

يوسف ع انكم لسارقون اي انكم تشبهون السراق وكما يتاول الخبر الذي يرويه
ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه قال كذب ابراهيم ثلاث
كذبات في قوله سارة اختي وفي قوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله اني
سقيم والمراد بذلك ان كان هذا الخبر صحيحا انه فعل ما ظاهره الكذب
واذا حملنا هذه اللفظة على غير النسيان الحقيقي فلا سوال فيها واذا حملناها
في الحقيقة كان الوجه فيه ان النبي انما لا يجوز عليه النسيان فيما يوديه او في
شرعه او في امر يقتضي التنفير عنه فاما فيما هو خارج عما ذكرناه فلا مانع
من النسيان الا ترى انه اذا نسي او سها في ماكله او مشربه على وجه لا يستمر
ولا يتصل فينسب الى انه مغفل ان ذلك غير ممتنع واما وصف النفس بانها
زاكية فقد قلنا ان ذلك خرج مخرج الاستفهام لا على سبيل الاخبار ولو
كان استفهاما فله سوال على هذا الموضع وقد اختلف المفسرون في هذه
النفس فقال اكثرهم انه كان صبيا لم يبلغ الحلم وان الخضر وموسى عليهما السلام
مرا بغلمان يلعبون فاخذ منهم غلاما فاضجعه وذبحه بالسكين ومن ذهب
الى هذا الوجه يجب ان يحمل قوله زاكية على انه من الزكاة الذي هو الزيادة
والنما لا من الطهارة في الدين من قولهم زكت الارض تزكوا اذا زاد ريعها
وذهب قوم الى انه كان رجلا بالغا كافرا ولم يكن موسى عم يعلم باستحقاقه
القتل فاستفهم عن حاله ومن اجاب بهذا الجواب اذا سئل عن قوله
تعالى حتى اذا لقيا غلاما فيقول لا يمتنع تسمية الرجل بانه غلام على
مذهب العرب وان كان بالغا واما قوله فخشينا ان يرهقهما

طغيانا

طغيانا وكفرا فان الظاهر يشهد ان الخشية ههنا قيل انها العلم كما قال الله
تعالى وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا وقوله الا ان يخافا الا يقيما
حدود الله وقوله عز وجل وان خفتم عيلة وكل ذلك بمعنى العلم
وعلى هذا الوجه كانه يقول انني علمت باعلام الله تعالى لي ان
هذا الغلام متى بقي كفر ابواه ومتى قتل بقيا على ايمانهما فصارت تبقيته
مفسدة ووجب اخترامه ولا فرق بين ان يميته الله تعالى وبين ان
يامر بقتله وقد قيل ان الخشية ههنا بمعنى الخوف الذي
لا يكون معه يقين ولا قطع وهذا يليق على جواب من قال ان الغلام
كان كافرا مستحقا للقتل بكفره وانضاف الى استحقاقه ذلك بالكفر
خشية ادخال ابويه في الكفر وتزيينه لهما وقال قوم ان
الخشية ههنا هي الكراهية يقول القايل فرقت بين الرجلين
خشية ان يقتتلا اي كراهية لذلك وعلى هذا التاويل والوجه الذي قلناه
اولا بمعنى العلم لا يمتنع ان تضاف الخشية الى الله تعالى فان قيل فما معنى قوله
تعالى اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر والسفينة البحرية تساوي
المال الجزيل فكيف يسمى مالكها بانه مسكين والمسكين عند قوم اسوء حالا من الفقير
وكيف قال وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا ومن كان
وراءهم قد سلموا من شره ونجوا من مكروهه وانما الحذر مما يستقبل قلنا
اما قوله لمساكين ففيه غير وجه منها انه لم يعن بوصفهم بالمسكنة الفقر
وانما اراد عدم الناصر وانقطاع الحيلة كما يقال لمن له عدو يظلمه ويتهضمه

انه مسكين ومستضعف وان كان كثير المال واسع الحال ويجري
هذا المجرى ما روي عنه عليه السلام من قوله مسكين مسكين رجل
لا زوجة له وانما اراد وصفه بالعجز وقلة الحيلة وان كان ذا مال كثير
ووجه اخر وهو ان السفينة البحرية التي لا يتعيش الا بها ولا يقدر
على التكسب الا من جهتها كالدار التي يسكنها الفقير هو وعياله ولا يجد
سواها فهو مضطر اليها ومنقطع الحيلة الا منها واذا انضاف الى ذلك ان
يشاركه جماعة في السفينة حتى يكون له فيها الجزء اليسير كانوا اسوأ
حالا واظهر فقرا ووجه اخر ان لفظة المساكين قد قرئت بتشديد السين
واذا صحت هذه الرواية فالمراد بها البخلاء وقد سقط السوال فاما قوله
تعالى وكان وراءهم ملك فهذه اللفظة يعبر بها عن الامام والخلف معا فهي ها
هنا بمعنى الامام ويشهد بذلك قوله تعالى من ورائهم جهنم يعني من قدامه
وبين يديه وقال الشاعر

ليس على طول الحياة ندم ومن وراء المرء ما لم يعلم

وقال اخر

اليس ورائي ان تراخت منيتي لزوم العصا تحنى عليها الاصابع

ولا شبهة في ان المراد بجميع ذلك القدام وقال بعض اهل العربية
انما صلح ان يعبر بالوراء عن الامام اذا كان الشي المخبر عنه بالوراء
يعلم انه لا بد من بلوغه ثم سبقه وتخليفه فيقول القائل البرد وراك
وهو يعني قدامك لانه قد علم انه لا بد من ان يبلغ البرد ثم يسبق
ووجه اخر انه يجوز ان يريد ملكا لما كان خلفهم وفي طريقهم

عند رجوعهم

عند رجوعهم على وجه لا انفكاك لهم منه ولا طريق لهم غير المرور به فخرق السفينة
حتى لا يأخذها اذا عادوا عليه ويمكن ان يكون وراءهم على وجه الاتباع والطلب
والله اعلم بمراده مسئلة فان قيل فما معنى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا
تكونوا كالذين اذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها اوليس
قد روي في الاخبار ان بني اسرائيل رموه عليه السلام بانه ادر وبانه ابرص
وانه القى ثيابه على صخرة ليغتسل فامر الله تعالى الصخرة بان تسير بثيابه وبقي
موسى عم مجردا يدور على محافل بني اسرائيل حتى راوه وعلموا انه لا عاهة به
الجواب قلنا ما روي في هذا المعنى ليس بصحيح وليس يجوز ان يفعل الله
تعالى بنبيه عليه السلام ما ذكروه من هتك العورة ليبريه من عاهة اخرى فانه
تعالى قادر على ان يبرئه مما قذفوه به على وجه لا يلحقه معه فضيحة اخرى
وليس يرمي بذلك انبياء الله تعالى من يعرف اقدارهم والذي في ذلك من الصحيح
معروف وهو ان بني اسرائيل لما مات هرون عليه السلام قرفوه بانه قتله
لانهم كانوا الى هرون عليه السلام اميل فبرأه الله تعالى من ذلك بان امر الملائكة
بان حملت هرون ميتا ومرت به على محافل بني اسرائيل ناطقة بموته
ومبرئة لموسى عم من قتله وهذا الوجه يروى عن امير المؤمنين صلوات
الله عليه وروي ايضا ان موسى عم نادا اخاه هرون فخرج من قبره
فسأله هل قتله فقال لا ثم عاد وكل هذا جائز والذي ذكره الجهال
غير جائز داوود النبي عليه السلام مسئلة فان قيل فما الوجه في قوله تعالى وهل
اتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داوود ففزع منهم قالوا لا تخف

داوود النبي عم

خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء
الصراط ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها
وعزني في الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه
وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
وقليل ما هم وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب
اوليس قد روي في الخبر المعروف ان داود قال يا رب قد اعطيت
ابراهيم واسحق ويعقوب من الذكر ما لوددت انك اعطيتني
~~اسحق ويعقوب من الذكر~~ مثله قال الله تعالى اني ابتليتهم بما لم
ابتلك بمثله فان شئت ابتليتك بمثل ما ابتليتهم واعطيتك كما اعطيتهم
قال نعم فقال الله عز وجل فاعمل حتى ارى بلاءك فكان ما شاء الله
ان يكون وطال عليه ذلك فكاد ينساه فبينما هو في محرابه اذ وقعت
عليه حمامة فطارت الى كوة المحراب فذهب ليأخذها فطارت فاطلع من
الكوة فاذا امرأة تغتسل فهويها وهم بتزويجها وكان لها بعل يقال له اوريا
فبعث به الى بعض السرايا وامر بتقديمه امام التابوت الذي فيه السكينة
وكان غرضه ان يقتل فيتزوج بامرأته فارسل الله اليه الملكين في صورة
خصمين ليبكتاه على خطيئته وكنيا عن النساء بالنعاج وعليكم في هذه الاية
سؤال من وجه اخر وهو ان الملائكة لا تكذب فكيف قالوا خصمان بغى
بعضنا على بعض وكيف قال احدهما ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة
ولي نعجة واحدة الى اخر الايات ولم يكن من كل ذلك شيء الجواب
نحن ننفض الاية ونبين انه لا دلالة لها في شيء منها على وقوع الخطأ من داود

عليه السلام

عليه السلام بخلاف الذي يحتاج اليه فاما الرواية المدعاة فساقطة مردودة
لتضمنها خلاف ما يقتضيه العقول في الانبياء عليهم السلام وقد طعن في رواتها
بما هو معروف ولا حاجة بنا الى ذكره واما قوله تعالى وهل اتاك
نبأ الخصم فالخصم مصدر لا يجمع ولا يثنى ولا يؤنث ثم قال اذ تسوروا المحراب
فكنى عنهم بكناية الجماعة وقيل في ذلك انه اخرج الكلام على هذا دون
اللفظ لان الخصمين ههنا كالقبيلتين والحزبين وقيل بل جمع لان الاثنين
اقل الجمع واوله لان فيهما معنى الانضمام والاجتماع وقيل بل كان مع
هذين الخصمين غيرهما يعينهما ويؤيدهما فان العادة جارية فيمن يأتي باب
السلطان بان يحضر معه الشفعاء والمعاونون فاما خوفه منهما فلانه
كان خاليا بالعبادة في وقت لا يدخل عليه فيه احد على مجرى عادته فراعه
منهما اتيانهما في غير وقت الدخول او انهما دخلا من غير المكان المعهود
وقولهما خصمان بغى بعضنا على بعض جرى على التقدير والتمثيل وهو كلام
مقطوع عن اوله وتقديره ارأيت لو كنا كذلك واحتكمنا اليك ولا بد لكل واحد
من الاضمار في هذه الاية والا لم يصح الكلام لان خصمان لا يجوز ان يبتدأ به وقال
المفسرون تقدير الكلام نحن خصمان قالوا وهذا مما يحذفه المتكلم ويضمر للعلم
به ايضا فيقول المتكلم سامع ومطيع اي انا كذلك ويقول القائلون من
الحج آيبون تائبون لربنا حامدون اي نحن كذلك وقال الشاعر
وقولا اذا جاوزتما ارض عامر ... وجاوزتما الحيين نهدا وخثعما
نزيعان من جرم بن زبان انهم ... ابوا ان يميروا في الهزاهز محجما

اي بحق تورعان وتقال للمتكلم حطاع معان وتقال له اراحل ام مقيم
وقال الشاعر
تقول ابنة الكعبي لما لقيتها ... امنطلق في الجيش ام متثاقل
اي انت كذلك فاذا المكان لابد في الكلام من اضمار فليس لهم بان يضمروا
شيا باولى منهما اذا اضمرنا سواه فاما قوله ان هذا اخي له تسع وتسعون
نعجة الى اخر الاية فانما هو ايضا على جهة التقدير والتمثيل اللذين قد
مناهما وحذفنا من الكلام ما يقتضي فيه التقدير ومعنى قوله وعزني
اي صار اعز مني وقيل انه اراد قهرني وغلبني فاما قوله لقد
ظلمك من غير مسئلة الخصم فانه اراد به ان كان الامر كما ذكرت ومعنى ظلمك
اي نقصك وظلمك كما قال الله تعالى اتت اكلها ولم تظلم منه شيا ومعنى
ظن فقيل فيه وجهان احدهما انه اراد الظن المعروف الذي هو خلاف
اليقين والوجه الاخر انه اراد العلم اليقين لان الظن قد يرد بمعنى
العلم قال الله تعالى وراى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها
وليس يجوز ان يكون اهل الاخرة ظانين لدخول النار بل عالمين قاطعين
وقال الشاعر
فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج ... سراتهم في الفارسي المسرد
والفتنة في قوله تعالى فظن داود انما فتناه هي الاختبار والامتحان
لا وجه لها الا ذلك في هذا الموضع كما قال تعالى وفتناك فتونا
فاما الاستغفار والسجود فلم يكن بالذنب كان في الحال ولا فيما
سلف على ما ظنه بعض من تكلم في هذا الباب بل على سبيل الا
نقطاع الى الله تعالى والخضوع له والتذلل والعبادة والسجود فقد

بفعله

يفعله الناس كثيرا عند النعم التي تجدد عليهم وتوالى الخير شكرا لموليها
وكذلك قد يسبحون ويستغفرون الله تعالى تعظيما وشكرا وعبادة فاما
قوله تعالى وخر راكعا واناب فالانابة هي الرجوع ولما كان داود عم
بما فعله راجعا الى الله تعالى ومنقطعا اليه قيل فيه انه اناب كما يقال في
التائب الراجع الى التوبة والندم انه منيب واما قوله تعالى فغفرنا
له ذلك فمعناه انا قبلناه منه وكتبنا له الثواب عليه واخرج الجزاء على
لفظ الذي هو جزاء كما قال تعالى يخادعون الله وهو خادعهم وقال
جل وعز الله يستهزئ بهم فاخرج الجزاء على لفظ الذي هو عليه وقال الشاعر
الا لا يجهلن احد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا
ولما كان المقصود في الاستغفار والتوبة انما هو القبول قيل في جوابه
غفرنا اي فعلنا المقصود به كذلك لما كان الاستغفار على طريق الخضوع والعبادة
المقصود به القربة والثواب قيل في جوابه غفرنا مكان قبلنا على
ان من ذهب الى ان داود عم فعل صغيرة لا يمكن ان يحمل قوله تعالى
غفرنا على غير اسقاط العقاب لان العقاب قد سقط بما هناك من الثواب
الكثير من غير استغفار ولا توبة ومن جوز على داود عم الصغيرة
يقول ان استغفاره عم كان لاحد امور اولها ان اوريا ابن حنان
لما اخرجه في بعض غزواته وقتل وكان داود عم عالما بجمال
زوجته مالت نفسه الى نكاحها بعده فقل غمه لميل طبعه الى نكاح
زوجته فعوتب على ذلك بنزول الملكين من حيث حمله ميل الطبع

على ان قتل عمه يومن مقتل من اصحابه وثانيها انه روي ان امراة
خطبها اوريا ابن حنان ليتزوجها وبلغ داود جمالها فخطبها ايضا فزوجها
بداود وقدموه على اوريا وغيره فعوتب ع على الحرص على الدنيا
وانه خطب امراة قد خطبها غيره حتى قدم عليه وثالثها انه روي ان
امراة تقدمت مع زوجها اليه في مخاصمة بينهما من غير محاكمة لكن على سبيل الو
وطال الكلام بينهما وترددت فعرّض داود للرجل بالنزول لا على سبيل
الحكم لكن على سبيل التوسط والاستصلاح كما تقول احدنا لغيره اذا
كنت لا ترضى زوجتك هذه ولا تقوم بالواجب من نفقتها فانزل
عنها فقصد الرجل ان ذلك حكم منه لا عرض فنزل عنها وتزوجها داود
ع فاتاه الملكان ينبهانه على التقصير في ترك تبيين مراده للرجل وانه
كان على سبيل العرض لا الحكم ورابعها ان سبب ذلك ان داود ع كان
مشاغلا بعبادته في محرابه فاتاه رجل وامراتان يتحاكمان فنظر الى المراة
ليعرفها بعينها فيحكم لها وعليها وذلك نظر مباح على هذا الوجه فمالت
نفسه الى ميل الخلقة والطباع ففصل بينهما وعاد الى عبادته فشغله
الفكر في امرها وتعلق القلب بها عن بعض نوافله التي كانت وظيفتها عليه
لنفسه فعوتب وخامسها ان المعصية منه انما كانت بالعجلة في الحكم
قبل التثبت وقد كان يجب عليه لما سمع الدعوى من احد الخصمين ان يسأل
الاخر عما عنده فيها ولا يقضي عليه قبل المسئلة ومن اجاب بهذا الجواب
قال ان الفزع من دخولهما عليه في غير وقت العادة انساه
التثبت والتحفظ وكل هذه الوجوه لا تجوز على الانبياء عليهم السلام

لان فيها

لان فيها ما هو معصية وقد بينا ان المعاصي لا تجوز عليهم ومنها ما هو منفر وان
لم يكن معصية مثل ان يخطب امراة قد خطبها رجل من اصحابه فيتقدم عليه ويتزوجها
ومثل التعريض بالنزول عن الامراة وهو لا يريد الحكم واما الاشتغال
عن النوافل فلا يجوز ان يقع عليه عتاب لانه ليس بمعصية ولا هو ايضا منفرا
واما من زعم انه عرض اوريا للقتل وقدمه امام التابوت عمدا حتى
يقتل فقوله اوضح فسادا من ان يشتغل برده وقد روي عن امير المؤمنين
صلوات الله عليه انه قال لا اوتى برجل يزعم ان داود تزوج بامراة
اوريا الا جلدته حدا للنبوة وحدا للاسلام فاما ابو مسلم فانه قال
لا يمتنع ان يكون الداخلون على داود ع كانا خصمين من البشر وان يكون ذكر
النعاج محمولا على الحقيقة دون الكناية وانما ارتاع منهما لدخولهما من غير اذن
وعلى غير مجرى العادة قال وليس في ظاهر التلاوة ما يقتضي ان يكونا
ملكين وهذا الجواب يستغني عما تاولنا به قولهما ودعوى احدهما على صاحبه
وذكر النعاج والله اعلم بالصواب سليمان ابن داود النبي ع مسئلة فان قيل
فما معنى قوله تعالى ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب اذ عرض عليه بالعشي
الصافنات الجياد فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب
ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق اوليس ظاهر هذه الايات تدل
على ان مشاهدة الخيل الهاه وشغله عن ذكر ربه حتى روي ان الصلاة فاتته
وقيل انها صلاة العصر ثم انه عرقب الخيل وقطع سوقها واعناقها غيظا عليها
وهذا الكلام فعل يقتضي ظاهره القبح الجواب قلنا اما ظاهر الاية فلا تدل

قبيح الى النبي عم والرواية اذا كانت مخالفة لما تقتضيه الادلة لا يلتفت اليها
لو كانت قوية ظاهرة فكيف اذا كانت ضعيفة واهية والذي يدل على ما
ذكرناه على سبيل الجملة ان الله تعالى ابتدأ الآية بمدحه والثناء
عليه فقال نعم العبد انه اواب وليس يجوز ان يثني عليه بهذا الثناء
ثم يتبعه من غير فصل باضافة القبيح اليه وانه تلهى بعرض الخيل عن فعل
المفروض عليه من الصلاة والذي تقتضيه الظاهر ان حبه للخيل وشغفه
بها كان عن اذن ربه وامره وبتذكيره اياه لان الله تعالى قد امرنا بارتباط
الخيل واعدادها لمحاربة الاعداء فلا ينكر ان يكون سليمن عم مامورا بمثل ذلك
فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي ليعلم من حضر ان اشتغاله
بها واستعادته لها لم يكن لهوا ولا لعبا وانما اتبع فيه امر الله تعالى وانو
طاعته فاما قوله احببت حب الخير ففيه وجهان احدهما اراد احببت
حبا ثم اضاف الحب الي الخير والوجه الاخر احببت اي والخير فجعل
بدل قوله اتخذ الخير حب الخير فاما قوله تعالى حتى توارت
بالحجاب فان ابا مسلم محمد ابن بحر وحده قال انه عائد الى
الخيل دون الشمس لان الشمس لم يجر لها ذكر في القصة وقد جرى
للخيل ذكر فرده اليها اولى اذا كانت له محتملة وهذا التاويل يبرئ
النبي عم من المعصية فاما من قال ان قوله تعالى توارت
كناية عن الشمس فليس في ظاهر القران ايضا على هذا الوجه الاخر
ما يدل على ان التواري كان سببا لفوات الصلاة ولا يمتنع ان يكون
ذكر ذلك على سبيل الغاية لعرض الخيل عليه ثم استعادته لها فاما

ابو علي الجبائي

ابو علي الجبائي وغيره ذهب وانه ذهب الى ان الشمس لما توارت بالحجاب
وغابت كان ذلك سببا لترك عبادة كان يتعبد بها بالعشي وصلاة نافلة كان يصليها
فنسيها شغلا بهذه الخيل واعجابا بتقليبها فقال هذا القول على سبيل
الاغتمام لما فاته من الطاعة وهذا الوجه ايضا لا يقتضي اضافة قبيح الى النبي عم
لان ترك النافلة ليس بقبيح ولا معصية واما قوله فطفق مسحا بالسوق
والاعناق فقد قيل فيه وجوه منها انه عرقبها ومسح اعناقها
وسوقها بالسيف من حيث شغلته من الطاعة ولم يكن ذلك على سبيل العقوبة
لها لكن حتى لا يتشاغل في المستقبل بها عن الطاعات لان للانسان ان يذبح
فرسه لاكل لحمه فكيف اذا انضاف الى ذلك وجه اخر محسنه وقد قيل
قيل انه يجوز ان يكون لما كانت الخيل اعز ما له عليه اراد ان يكفر عن
تفريطه في النافلة بذبحها والتصدق بلحمها على المساكين قالوا فلما ادعى
حسن الخيل ورائقه واعجبته اراد ان يتقرب الى الله تعالى بالمعجب له
الرائق في عينه ويشهد بصحة هذا المذهب قوله تعالى لن تنالوا البر
حتى تنفقوا مما تحبون فاما ابو مسلم فانه ضعف هذا الوجه وقال
لم يجر للسيف ذكر فيضاف المسح اليه ولا يسمى العرب الضرب بالسيف
والقطع به مسحا قال فان ذهب ذاهب الى قول الشاعر
مسد من يجلوا باطراف الدرعي ثم دنس الا سوق بالعضب الاول
فان قيل هذا الشاعر يعني انه عرقب الابل للاضياف فمسح باسنتها
ما صار على سيفه من دنس عراقيبها وهو الدم الذي اصابه منها وليس

في الاية ما يوجب ذلك ولا يقاربه وليس الذي انكره ابو مسلم بمنكر لان
اكثر اهل التاويل ومنهم من يشار اليه في اللغة ذهبوا الى ان المسح هاهنا هو
القطع وفي الاستعمال المعروف مسحه بالسيف اذا قطعه وبتره والعرب
تقول مسح علاوته اي ضربها **ومنها** ان يكون معنى مسحها هو انه امرّ
يده عليها صيانة لها واكراما لما راى من حسنها فمن عادة من عرضت
عليه الخيل ان يمر يده على اعرافها واعناقها وقوائمها **ومنها** ان يكون
معنى المسح هاهنا هو الغسل فان العرب تسمي الغسل مسحا فكانه لما راى
حسنها اراد صيانتها واكرامها بغسل قوائمها واعناقها **مسئلة**

فان قيل فما معنى قوله تعالى ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه
جسدا ثم اناب اوليس قد روي في تفسير هذه الاية ان جنيا اسمه
صخرة تمثل على صورته وجلس على سريره واخذ خاتمه الذي فيه النبوة فالقاه
في البحر فذهبت نبوته وانكره قومه حتى عاد اليه من بطن السمكة **الجواب**
قلنا اما ما رواه القصاص الجهال في هذا الباب فليس مما يذهب على عاقل
بطلانه وان مثله لا يجوز على الانبياء ع وان النبوة لا تكون في خاتم ولا
يسلبها النبي ص ولا تنزع عنه وان الله تعالى لا يمكن الجني من التمثل بصورة
النبي ولا غير ذلك مما افتروا به على النبي صلى الله عليه واله وسلم وانما الكلام
على ما يقتضيه ظاهر القران وليس في الظاهر اكثر من ان جسدا القي
على كرسيه على سبيل الفتنة وهي الاختبار والامتحان مثل قوله
تعالى الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون
ولقد فتنا الذين من قبلهم والكلام في ذلك الجسد ما هو انما يرجع فيه الى

الرواية

الرواية الصحيحة التي لا تقتضي اضافة قبيح اليه تعالى **وقد قيل** في ذلك اشياء
منها ان سليمان ع قال يوما في مجلسه وفيه جمع كثير لاطوفن الليلة
على مائة امراة تلد كل امراة منهن غلاما يضرب بالسيف في سبيل الله
وكان له فيما روي عدد كثير من السراري فاخرج كلامه على سبيل المحبة لهذا
الحال فنزهه الله تعالى عن الكلام الذي ظاهره الحرص على الدنيا والتثبت
بها لئلا يقتدي به في ذلك فلم يحبل من نسائه الا امراة واحدة ولدا
ميتا مخدجا حتى وضع على كرسيه جسدا بلا روح تنبيها له على انه ما كان يجب
ان يظهر منه ما اظهر فاستغفر ربه وفزع الى الصلاة والدعاء وهذا الوجه
اذا صح ليس يقتضي معصية صغيرة على ما ظنه بعضهم حتى نسب الاستغفار والانابة
الى ذلك لان محبة الدنيا على الوجه المباح ليس بذنب وان كان غيره اولى
منه والاستغفار عقيب هذه الحال لا يدل على وقوع ذنب في الحال
ولا قبلها بل يكون محمولا على ما ذكرناه انفا في قصة داود ع من الانقطاع
الى الله تعالى وطلب ثوابه فاما قول بعضهم ان ذنبه من حيث
لم يستثن مشية الله تعالى لما قال تلد كل واحدة منهن غلاما وهذا
غلط لانه ع وان لم يستثن ذلك لفظا فقد استثناه ضميرا واعتقادا اذ
لو كان قاطعا مطلقا للقول لكان كاذبا او مطلقا لما لا يامن ان يكون كذبا
وذلك لا يجوز الا عند من جوز الصغائر على الانبياء عليهم السلام فاما قول
بعضهم انه انما عوتب واستغفر لاجل ان فريقين اختصما اليه احدهما من
اهل جرادة امراة له كان يحبها فاحب ان يقع القضاء لاهلها فحكم بين الفريقين

بالحق وعوتب على محبة موافقة الحكم لاهل امراته فليس انغما شي مما ان هذا
المقدار الذي ذكروه ليس بذنب يقتضي عتابا اذا كان لم يرد القضا بما يوافق
امراته على كل حال بل مال طبعه ان يكون الحق موافقا لقول فريقها واما ان
يتفق ان يكون في جهتها من غير ان اقتضى ذلك ميل منه في الحكم او عدول عن
الواجب **ومنها** انه روي ان الجن لما ولد لسليمن ولد قالوا لنلقين من ولده
مثل ما لقينا من ابيه فلما ولد له غلام اشفق عليه منهم فاسترضعه في المزن
وهو السحاب فلم يشعر الا وقد وضع على كرسيه ميتا تنبيها على ان الحذر لا ينفع
مع القدر **ومنها** انهم ذكروا انه كان لسليمن عم ولد شاب ذكي حبه
حبا شديدا فاماته الله على بساطه فجاءة بلا مرض اختبارا من الله
نعم لسليمان وابتلاء لصبره في اماتة ولده والقى جسده على كرسيه
وقيل ان الله جل ثناؤه اماته في حجره وهو على كرسيه فوضعه من
حجره عم **ومنها** ما ذكره ابو مسلم فانه قال جايز ان يكون الجسد المذكور
هو جسد سليمن عم وان يكون ذلك لمرض امتحنه الله تعالى به وتلخيص
الكلام ولقد فتنا سليمان والقينا منه على كرسيه جسدا وذلك لشدة
المرض والعرض تقول في الانسان اذا كان ضعيفا انما هو لحم على وضم
ويقولون انما هو جسد بلا روح تغليظا للعلة ومبالغة في فرط الضعف
ثم اناب اي رجع الى حال الصحة واستشهد على الاختصار والحذف في
الاية بقوله تعالى ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه
وفي اذانهم وقرا وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاءوك يجادلونك
يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين ولو اتى بالكلام على
شرحه لقال يقول الذين كفروا منهم اي من الجادلين لما قال تعالى

محمد

محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار الى قوله وعد الله الذين
امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما وقال الاعشى
في معنى الاختصار والحذف وكان السموط علقها السلك بمعطفي جيد ام غزال
ولو اتى بالشرح لقال علقها السلك منها وقال كعب ابن
زهير رض زالوا فما زال انكاس ولا كشف عند اللقاء ولا ميل معازيل
وانما اراد فما زال منهم انكاس ولا كشف وشواهد هذا المعنى كثيرة
مسئلة فان قيل ما معنى قول سليمان عم رب اغفر لي وهب لي ملكا
لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب اوليس ظاهر هذا انه يقتضي الشح
والظن والمنافسة لانه لم يقنع بسؤال الملك حتى اضاف الى ذلك ان يمنع غيره
منه **الجواب قلنا** قد ثبت ان الانبياء عليهم السلام لا تسئل الا ما يؤذن
لها في مسئلته لا سيما اذا كانت المسئلة ظاهرة يعرفها قومهم وجايز ان يكون
الله تعالى اعلم سليمان عم ان سال ملكا لا ينبغي يكون لغيره كان اصلح له في
الدين والاستكثار من الطاعات واعلمه ان غيره لو سال ذلك لم يجب اليه
من حيث الاصلاح لا مصلحة له فيه ولو ان احدنا صرح في دعائه بهذا الشرط حتى
يقول اللهم اجعلني ايسر اهل زماني وارزقني مالا يساويني فيه غيري
اذا علمت ان ذلك اصلح لي وانه ادعى الى ما تريده مني لكان هذا الدعاء
منه حسنا جميلا وهو غير منسوب به الى بخل ولا شح وليس يمتنع ان يسال
النبي عليه السلام هذه المسئلة من غير اذن اذا لم يكن ذلك بحضرة قومه بعد ان
يكون هذا الشرط مرادا فيها وان لم يكن منطوقا به وعلى هذا الجواب اعتمد
ابو علي الجبائي ووجه اخر وهو ان يكون عم انما التمس ان يكون

ملكًا آية لنبوته يتبين بها من غيره ممن ليس بنبي وقوله لا ينبغي لاحد من
بعدي اراد انه لا ينبغي لاحد غيري ممن انا مبعوث اليه ولم يرد من بعده الى
يوم القيمة من النبيين عليهم السلام ونظير ذلك انك تقول للرجل انا اطيعك ثم لا اطيع
احدا بعدك يريد لا اطيع احدا سواك ولا يريد بلفظة بعد المستقبل وهذا وجه قريب
قد ذكرنا في هذه الآية ما لم يذكر فيها مما يحتمله الكلام ان يكون عم انما سأل
ملك الآخرة وثواب الجنة الذي لا يناله المستحق الا بعد انقطاع التكليف وزوال
المحنة فمعنى قوله لا ينبغي لاحد من بعدي اي لا يستحقه بعدي بعد وصولي اليه
احد من حيث لا يصح ان يعمل ما يستحق به لانقطاع التكليف ويقوي هذا الجواب
قوله رب اغفر لي وهو من احكام الآخرة وليس لاحد ان يقول انا ظاهر الكلام
بخلاف ما تاولتم لان لفظة بعدي لا يفهم منها بعد وصولي الى الثواب وذلك
ان الظاهر غير مانع من التاويل الذي ذكرناه ولا مناف له لانه لا بد من ان تعلق
لفظة بعدي بشي من احواله المتعلقة به واذا علقناها بوصوله الى الملك كان
ذلك في الفايدة ومطابقة الكلام كغيره مما يذكر في هذا الباب الا ترى
انا اذا حملنا لفظة بعدي على بعد نبوتي او مسألتي او ملكي كان ذلك كله في حصول
الفايدة به يجري مجرى ان نحملها بعد وصولي الى الملك فان ذلك مما يقال
فيه ايضا بعدي الا ترى ان القايل يقول يريد بعد وصولي يونس النبي عليه السلام
مسئلة فان قيل فما معنى قوله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا
فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت
من الظالمين وما معنى غضبه وعلى من كان غضبه وكيف ظن ان الله لا يقدر عليه
وذلك ما لا يظنه مثله وكيف اعترف بانه كان من الظالمين والظلم قبيح
الجواب قلنا اما يونس عم خرج مغاضبا لربه من حيث لم ينزل بقومه

العذاب

العذاب فقد خرج في الافترآء على الله تعالى وعلى انبيائه عليهم السلام وسوء الظن
بهم عن الحد وليس يجوز ان يغاضب ربه الا من كان معاديا له وجاهلا بان الحكمة في
سائر افعاله وهذا لا يليق باتباع الانبيآء عليهم السلام من المؤمنين فضلا عن عصمه الله
تعالى ورفع درجته واقبح من ذلك ظن الجهال واضافتهم اليه عم انه ظن
ان ربه لا يقدر عليه من جهة القدرة التي يصح بها الفعل ويكاد ان يخرج عندنا من
ظن بالانبيآء عليهم السلام مثل ذلك عن باب التمييز والتكليف وانما كان
غضبه عم على قومه لمقامهم على تكذيبه واصرارهم على الكفر ويأسه من اقلاعهم
وتوبتهم فخرج من بينهم فاما قوله تعالى فظن ان لن نقدر عليه فمعناه انا
لا نضيق عليه المسلك ونشدد عليه المحنة والتكليف لان ذلك مما يجوز ان يظنه النبي
عم ولا شبهة في قول القايل قدرت وقدّرت بالتخفيف والتشديد معناه
التضييق قال الله تعالى ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله وقال
الله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي يوسع ويضيق وقال تعالى
واذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه اي ضيق والتضييق الذي قدره الله عليه
هو ما لحقه من الحصول في بطن الحوت وما لحقه في ذلك من المشقة الشديدة الى ان
نجاه الله تعالى منها واما قوله فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني
كنت من الظالمين فهو على سبيل الانقطاع الى الله تعالى والخشوع له والخضوع بين
يديه لانه لما دعاه لكشف ما امتحنه به وسأله ان ينجيه من الظلمات التي هي
ظلمة البحر وظلمة بطن الحوت فعل ما يفعله الخاضع الخاشع من الانقطاع والاعتراف
بالتقصير وليس لاحد ان يقول كيف يعترف بانه كان من الظالمين ولم يقع منه
ظلم وهل هذا الا الكذب بعينه وليس يجوز ان يكذب النبي عم في حال خضوع
ولا غيره وذلك انه يمكن ان يكون يريد بقوله اني كنت من الظالمين اي من الجنس الذي

الذي يقع منهم الظلم فيكون تصدقًا وان ورد على سبيل الخضوع والخشوع لان
جنس البشر لا يمتنع منه وقوع الظلم **فان قيل** فاي فائدة في ان يضيف نفسه
الى الجنس الذي يقع منهم الظلم اذا كان الظلم منتفيا عنه في نفسه **قلنا** الفائدة
في ذلك الانقطاع الى الله تعالى والتخاضع ونفي التكبر والتجبر لان من كان يجتهد
في رغبته الى ملك قدير لا بد من ان يتطامن ويجتهد في الخضوع بين يديه ومن
اكثر الخضوع ان يضيف نفسه الى القبيل الذي يخطئون ويصيبون كما يقول
الانسان اذا اراد ان يكسر نفسه وينفي عنها دواعي الكبر والخيلاء انما انا من البشر
ولست من الملائكة وانا ممن يخطئ ويصيب وهو لم يرد اضافة الخطاء
الى نفسه في الحال بل يكون الفائدة ما ذكرناها **وجه اخر** وهو انا
قد بينا في قصة ادم عم لما تاولنا قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا ان
المراد بذلك انا نقصناها الثواب وبخسناها حظها منه لان الظلم في اصل
اللغة هو النقص والثلم من ترك المندوب اليه وهو لو فعله لاستحق الثواب
لا يجوز ان تقول ظلم نفسه من حيث نقصها ذلك الثواب وليس يمتنع ان
يكون يونس عم اراد هذا المعنى لانه لا محالة قد ترك كثيرًا من الندب
فان استيفاء جميع الندب يتعذر وهذا اولى مما ذكره من جوز الصغائر
على الانبياء عليهم السلام لانهم يدعون ان خروجه كان بغير اذن من الله
تعالى فكان قبيحًا صغيرًا وليس ذلك بواجب على ما ظنوه لان ظاهر القران
لا يقتضيه وانما ادخلهم في هذه الشبهة قوله اني كنت من الظالمين
وقد بينا وجه ذلك وانه ليس بواجب ان يكون جزاءً للمعصية وليس
لهم ان يقولوا كيف يسمي من ترك النفل بانه ظالم وذلك انا قد بينا وجه
هذه التسمية في اللغة وان كان اطلاق اللفظة في العرف لا يقتضيه

وعلي من سأل

وعلى من سأل عن ذلك مثله اذا قيل كيف يسمى كل من فعل معصية بانه ظالم
وانما الظلم المعروف هو الضرر المحض الموصل الى الغير فاذا قالوا ان المعصية
معنى الظلم وان لم يكن ضررًا يوصل الى الغير من حيث نقصت ثواب فاعلها
قلنا وهذا المعنى يعم في الندب على ان يجري ما يستحق من الثواب مجرى
المستحق وبعد فان ابا علي الجبائي وكل من وافقه في الامتناع من القول
بالموازنة في الاحباط لا يمكنه ان يجيب بهذا الجواب فعلى اي وجه يا ليت شعري يجعل
معصية يونس عم ظلمًا وليس فيها من معنى الظلم شيء فاما قوله
تعالى فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم فليس
على ما ظنه الجهال من انه ثقل عليه اعباء النبوة لضيق خلقه فقذفها
وانما الصحيح ان يونس عم لم يقو على الصبر على تلك المحنة التي ابتلاه الله تعالى
بها وسأله الفرج والخلاص ولو صبر لكان افضل فاراد الله تعالى لنبيه
عم افضل المنازل واعلاها **عيسى عليه السلم مسئلة فان قيل** فما معنى
قوله تعالى واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق
ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت
علام الغيوب وليس يخلو من ان يكون عيسى عم ما قال ذلك او يجوز
ان يقوله وهذا خلاف ما يذهبون اليه في الانبياء عليهم السلام او يكون
ما لم يقل ذلك ولا يقوله فله معنى الاستفهام وتقريره ثم اي معنى في
قوله ولا اعلم ما في نفسك وهذه اللفظة لا تكاد تستعمل في الله تعالى **الجواب**
ان قوله ءانت قلت للناس ليس باستفهام على الحقيقة وان كان خارجًا
مخرج الاستفهام والمراد به تقريع من ادعى عليه ذلك من النصارى وتوبيخهم

وتكذيبهم وهذي يجري مجرى قول احدنا لغيره افعلت كذا وكذا وهو يعلم انه لم يفعله ويكون مراده تقريع من ادعى ذلك عليه وايقاع الانكار والجحود ممن خوطب بذلك فيتبكت من ادعاه عليه وفيه وجه اخر وهو انه تعالى اراد بهذا القول تعريف عيسى عم ان قومه قد اعتقدوا فيه وفي امه انهما الهان لانه يمكن ان يكون عيسى عم لم يعرف ذلك في تلك الحال ونظيره في التعارف ان يرسل الرجل رسوله الى قوم فيبلغ الرسول رسالته ويفارق القوم فيخالفونه بعده ويبدلون ما اتى به وهو لا يعلم ويعلم المرسل له ذلك فاذا احب ان يعلمه مخالفة القوم له جاز ان يقول له انت امرتهم بكذا وكذا على سبيل الاخبار بما صنعوا فاما قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك فان لفظ النفس ينقسم في اللغة الى معان مختلفة فالنفس نفس الانسان وغيره من الحيوان وهي التي اذا فقدها خرج عن كونه حيا ومنه قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت والنفس ايضا ذات الشيء الذي يخبر عنه كقولهم فعل ذلك فلان نفسه اذا تولى فعله واعطى كذا وكذا بنفسه والنفس ايضا الانفة كقولهم ليس لفلان نفس اي له انفة له والنفس ايضا الارادة يقولون نفس فلان في كذا اي ارادته

قال الشاعر

فنفساي نفس قالت ائت ابن بحدل ... تجد فرجا من كل غمى تهابها
ونفس تقول اجهد نجاءك لا تكن ... كخاضبة لم يغن شيئا خضابها

ومنه ان رجلا قال للحسن يا ابا سعيد لم احج قط فنفس تقول لي حج ونفس تقول لي تزوج وتزوج فقال الحسن ان النفس واحدة ولكن لها هم يقول حج وهم تقول تزوج وامره بالحج وقال المرء العبدي

الاني لعيني

الاني لعيني قد نفاها حميمها ... وارقني بعد المنام همومها
فنفس تعزيها ونفس تلومها

والنفس ايضا العين التي تصيب الانسان يقال اصابت فلان نفس اي عين وروي ان رسول الله صلى الله عليه واله كان يرقي فيقول بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل داء هو فيك من عين عاين ونفس نافس وحسد حاسد وقال ابن الاعرابي النفوس الذي تصيب الناس بالنفس وذكر رجلا فقال كان حسودا نفوسا كذوبا وقال عبيد الله ابن قيس الرقيات

يتقي اهلها النفوس عليها ... فعلى نحرها الرقى والتميم

والنفس ايضا من الدباغ مقدار دبغة يقول اعطني نفسا من دباغ اي قدر ما يدبغ به والنفس ايضا الغيب يقول القائل اني لا اعلم نفس فلان اي غيبه وهذا هو تاويل قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك اي تعلم غيبي وما عندي ولا اعلم غيبك وما عندك وقيل ان النفس ايضا العقوبة من قولهم احذرك نفسي اي عقوبتي وبعض المفسرين حمل قوله تعالى ويحذركم الله نفسه على هذا المعنى كانه قال يحذركم الله عقوبته روي ذلك عن ابن عباس والحسن واخرون قالوا معنى الاية ويحذركم الله اياه فان قيل ما وجه تسمية الغيب بانه نفس قلنا لا يمتنع ان يكون الوجه في ذلك ان نفس الانسان لما كانت خفية الموضع انزل ما يكتمه ويجتهد في ستره منزلتها فقيل فيه انه نفسه مبالغة في وصفه بالكتمان والخفي وانما حسن ان يقول مخبرا عن نبيه صلى الله عليه ولا اعلم ما في نفسك من حيث تقدم قوله تعلم ما في نفسي ليزدوج الكلام فالحمد لله

عيسى ابتداءً أن يقول ابتداءً أنا لا أعلم ما في نفسك إلا الله تعالى وإن حسن
على الوجه الأول ولهذا نظائر في الكلام مشهورة **مسألة فإن قيل**
فما معنى قوله تعالى حاكياً عن عيسى عم إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر
لهم فإنك أنت العزيز الحكيم وكيف يجوز هذا القول مع علمه عم بأنه تعالى
لا يغفر للكفار **الجواب قلنا** معنى هذا الكلام تفويض الأمر إلى مالكه وتسليمه
إلى مدبره والتبري من أن يكون إليه شيء من أمور قومه وعلى هذا يقول أحدنا
إذا أراد أن يتبرأ من تدبير أمر من الأمور وتسليم منه وتفويض أمره إلى غيره هذا
الأمر لا مدخل لي فيه فإن شئت أن تفعله وإن شئت أن تتركه مع علمه وقطعه
على أن أحد الأمرين لا يكون منه وإنما حسن منه ذلك لما أخرج كلامه مخرج
التفويض والتسليم وقد روي عن الحسن أنه قال معنى الآية أن
تعذبهم فبإقامتهم على كفرهم وإن تغفر لهم فبتوبة كأنه تضمن وكأنه اشترط
التوبة وإن لم يكن الشرط ظاهراً في الكلام **فإن قيل** لم لم يقل وإن تغفر
لهم فإنك أنت الغفور الرحيم فهو أليق بالكلام ومعناه من العزيز الحكيم **قلنا**
هذا سؤال من لم يعرف معنى الآية لأن الكلام لم يخرج مخرج مسألة غفران فيليق
بما ذكر في السؤال وإنما ورد على معنى تسليم الأمر إلى مالكه فلو قيل فإنك
أنت الغفور الرحيم وذلك أن الغفران والرحمة وقد يكون حكمة وصواباً
ويكون بأن يخالف ذلك مكتفاً بالإطلاق لا يدلان على الحكمة والحسن
والوصف بالعزيز الحكيم يشتمل على معنى الغفران والرحمة إذا كانا صوابين
ويزيد عليهما باستيفاء معاني كثيرة لأن العزيز هو المنيع القادر الذي
لا يذل ولا يضام وهذا لا يفهم من الغفور الرحيم البتة وأما الحكيم فهو الذي
يضع الأشياء مواضعها ويصيب بها أغراضها ولا يفعل إلا الحسن

الجميل

الجميل والمغفرة والرحمة إذا اقتضتهما الحكمة دخلا في قوله العزيز الحكيم
وزاد معنى هذا اللفظ عليهما من حيث اقتضاه وصفه بالحكمة في سائر أفعاله
وإنما طعن هذا الكلام من الملحدين من لا معرفة له بمعاني الكلام وإلا فبين
ما تضمنه القرآن من اللفظ وبين ما ذكروه فرق ظاهر في البلاغة واستيفاء
المعاني والاشتمال عليها **سيدنا محمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإن قيل**
فما معنى قوله تعالى ووجدك ضالاً فهدى أوليس يقتضي الحلو قد الضلال عن الدين
وذلك مما لا يجوز عندكم قبل النبوة ولا بعدها **الجواب قلنا** في معنى هذه الآية
أجوبة أولها أنه أراد ووجدك ضالاً عن النبوة فهداك إليها أو عن شريعة الإسلام
التي نزلت عليه وأمر بتبليغها إلى الخلق وبإرشاده عم إلى ما ذكرناه أعظم
النعم عليه والكلام في الآية خارج مخرج الامتنان والتذكير بالنعم وليس لأحد
أن يقول إن الظاهر بخلاف ذلك لأنه لا بد في الظاهر من تقدير محذوف يتعلق
به الضلال لأن الضلال هو الذهاب والانصراف ولا بد من أمر يكون
منصرفاً عنه فمن ذهب إلى أنه أراد الذهاب عن الدين لا بد له من أن
يقدر هذه اللفظة ثم يحذفها ليتعلق بها لفظ الضلال وليس هو بذلك
أولى منا فيما قدرناه وحذفناه **وثانيها** أن يكون أراد الضلال عن المعيشة
ووجه مكسبه فهو ضال لا يدري ما يصنع ولا أين يذهب فامتن الله تعالى
عليه بأن رزقه وأغناه وكفاه **وثالثها** أن يكون أراد ووجدك ضالاً بين
مكة والمدينة عند الهجرة فهداك وسلمك من أعدائك وهذا الوجه قريب لولا
أن السورة مكية وهي متقدمة للهجرة إلى المدينة اللهم إلا أن يحمل قوله تعالى
ووجدك على أنه سيجدك على مذهب العرب في حمل الماضي على معنى المستقبل

سيدنا محمد النبي صلى الله عليه

فيكون له وجه ورابعها ان يكون اراد بقوله ووجدك ضالا فهدي اي ضلوا
عنك في قوم لا يعرفون حقك فهداهم الي معرفتك وارشدهم الي فضلك وهذا
له نظير في الاستعمال يقال فلان ضال في قومه وبين اهله اذا كان مضلولا
عنه وخامسها انه روي في قراءة هذه الاية الرفع الم يجدك يتيم فاوي
ووجدك ضال فهدي علي ان اليتيم وجده وكذلك الضال وهذا الوجه
ضعيف لان القراءة غير معروفة ولان الكلام يسمج ويفسد اكثر معانيه مسئلة
فان قيل فما معني قوله تعالي وما ارسلنا من رسول الا اذا تمني القي الشيطان
في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم اوليس
قد روي في ذلك ان رسول الله صلي الله عليه واله لما راي تولي قومه عنه
شق عليه ما هم عليه من المباعدة والمنافرة وتمني في نفسه ان ياتيه من الله تعالي
ما يقارب بينه وبينهم وتمكن حب ذلك في قلبه فلما انزل الله تعالي والنجم
اذا هوي ما ضل صاحبكم الاية وتلاها عليهم القي الشيطان علي لسانه لما كان
تمكن في نفسه من محبة مقاربتهم تلك الغرانيق العلي وان شفاعتهن لترتجي
فلما سمعت قريش ذلك سرت به واعجبهم ما ذكر به الهتهم حتي انتهي الي
السجدة فسجد المؤمنون وسجد ايضا المشركون لما سمعوا من ذكر الهتهم بما اعجبهم
فلم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد الا الوليد ابن المغيرة فانه
كان شيخا كبيرا لا يستطيع السجود فاخذ بيده حفنة من البطحاء فسجد عليها
ثم تفرق الناس من المسجد وقريش مسرورة بما سمعت واتي جبرائيل الي النبي
عليه السلام معاتبا في ذلك فحزن له حزنا شديدا فانزل الله تعالي معزيا
له ومسليا وما ارسلنا من قبلك من رسول الاية الجواب قلنا اما الاية

فلا دلالة

فلا دلالة فيها علي ظاهرها علي هذه الخرافة التي قصوها وليس يقتضي الظاهر
الا احد امرين اما ان يريد بالتمني التلاوة كما قال حسان ابن ثابت

تمني كتاب الله اول ليلة ... واخره لاقي حمام المقادر

او يريد بالتمني تمني القلب فان اراد التلاوة كان المراد ان من ارسل قبلك
من الرسل كان اذا تلي ما يؤديه الي قومه حرفوا عليه وزادوا فيما يقوله
ونقصوا كما فعلت اليهود في الكذب علي نبيهم عليه السلام فاضاف ذلك
الي الشيطان لانه يقع بوسوسته وغروره ثم بين ان الله تعالي يزيل
ذلك ويدحضه بظهور حجته وينسخه ويحسم مادة الشبهة وانما خرجت الاية
علي هذا الوجه مخرج التسلية له عم لما كذب المشركون عليه واضافوا
الي تلاوته من مدح الهتهم ما لم يكن فيها وان كان المراد تمني القلب فالوجه
في الاية ان الشيطان متي تمني عم بقلبه بعض ما يتمناه من الامور يوسوس
اليه بالباطل ويحدثه بالمعاصي ويغريه به ويدعوه اليها وان الله تعالي ينسخ
ذلك ويبطله بما يرشده اليه من مخالفة الشيطان وعصيانه وترك
استماع غروره فاما الاحاديث المروية في هذا الباب فلا يلتفت اليها
من حيث تضمنت ما قد نزهت الرسل عليهم السلام عنه هذا لو لم تكن في
انفسها مطعونة مضعفة عند اصحاب الحديث لما يستغني عن ذكره وكيف
يجوز ذلك عن النبي عم من يسمع الله تعالي يقول كذلك لنثبت به فؤادك

يعني القرآن وقوله تعالى ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه
باليمين ثم لقطعنا منه الوتين وقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى على أن
من يجيز السهو على الأنبياء عليهم السلام يجب أن لا يجيز ما تضمنته هذه يجوز
الرواية المنكرة لما فيه من غاية التنفير عن النبي عم لأن الله تعالى
قد جنب نبيه صلى الله عليه وآله من الأمور الخارجة عن باب المعاصي
كالغلظة والفظاظة وقول الشعر وغير ذلك مما هو دون مدح
الأصنام المعبودة دون الله تعالى على أنه عم لا يخلو اعم وحوشي
مما قرف به من أن يكون تعمد ما حكوه وفعله قاصدًا أو فعله ساهيًا
ولا حاجة بنا إلى إبطال القصد في هذا الباب والعمد لظهوره وإن
كان فعله ساهيًا فالساهي لا يجوز أن يقع منه مثل هذه الألفاظ
المطابقة بوزن السورة وطريقتها ثم لمعنى ما تقدمها من الكلام
لأنا نعلم ضرورة أن ساهيًا لو أنشد قصيدة لما جاز أن يسهو حتى
يتفق منه بيت شعر في وزنها وفي البيت الذي تقدمه وعلى
الوجه الذي يقتضيه فائدته وهو مع ذلك يظن أنه من القصيدة
التي ينشدها وهذا ظاهر في بطلان هذه الدعوى على النبي عم
على أن بعض أهل العلم قد قال يمكن أن يكون وجه التباس
الأمر أن رسول الله صلى الله عليه لما تلا هذه السورة في نادٍ
غاص بأهله وكان أكثر الحاضرين من قريش والمشركون
فانتهى إلى قوله تعالى أفرأيتم اللات والعزى وعلم من قرب مكانه

من قريش

من قريش أنه سيورد بعدها ما يسوؤهم به فيهن قال كالمعارض له
والراد عليه تلك الغرانيق العلى إن شفاعتهن لترتجى فظن كثير ممن حضر
أن ذلك من قوله عم واشتبه عليه الأمر لأنهم كانوا يلغطون عند قراءته
عم ويكثر كلامهم وضجاجهم طلبًا لتغليطه وإخفاء قراءته ويمكن أن يكون
هذا أيضًا في الصلاة لأنهم كانوا يقربون منه عم في حال صلاته عند
الكعبة ويسمعون قراءته ويلغون فيها وقيل أيضًا إنه عم كان
إذا تلا القرآن على قريش توقف في فصول الآيات وأتى بكلام على
سبيل الحجاج لهم فلما تلا أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة
الأخرى قال عم تلك الغرانيق العلى ومنها الشفاعة ترتجى
على سبيل الإنكار عليهم وأن الأمر بخلاف ما ظنوه من ذلك وليس يمتنع
أن يكون هذا في الصلاة لأن الكلام في الصلاة حينئذ كان مباحًا
وإنما نسخ من بعد وقيل إن المراد بالغرانيق الملائكة وقد
جاء مثل ذلك في بعض الحديث فتوهم المشركون أنه يريد آلهتهم وقيل
إن ذلك كان قرآنًا منزلًا في وصف الملائكة تلاه الرسول عم فلما ظن
المشركون أن المراد به آلهتهم نسخت تلاوته وكل هذا يطابق ما
ذكرناه من تأويل قوله إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته لأن بغرور
الشيطان ووسوسته أضيف إلى تلاوته عم ما لم يرده بها وهذا

واصح بحمد الله تعالى **مسألة فان قيل** فما تاويل قوله تعالى
واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق
الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه
اوليس هذا عتاباً له عم من حيث اضمر ما كان ينبغي ان يظهره وراقب من لا
يجب ان يراقبه فما الوجه في ذلك الجواب **قلنا** وجه هذه
الآية معروف وهو ان الله تعالى لما اراد نسخ ما كانت عليه الجاهلية من تحريم
نكاح زوجة الدعي والدعي هو الذي كان احدهم يجتبيه ويربيه ويضيفه
الى نفسه على طريق البنوة وكان من عادتهم ان يحرموا على نفوسهم نكاح ازواج
ادعيائهم كما يحرمون نكاح ازواج ابنائهم فاوحى الله تعالى الى نبيه عم ان
زيد ابن حارثة وهو دعي رسول الله صلى الله عليه واله سيأتيه مطلقاً
زوجته وامره ان يتزوجها بعد فراق زيد لها ليكون ذلك ناسخاً لسنة
الجاهلية التي تقدم ذكرها فلما حضر زيد مخاصماً زوجته عازماً على طلاقها
اشفق الرسول عم ان يمسك عن وعظه وتذكيره لا سيما وقد كان يتصرف
على امره وتدبيره فيرجف المنافقون به عم اذا تزوج المرأة ويقرفونه
بما قد نزهه الله تعالى عنه فقال امسك عليك زوجك تبرياً مما ذكرناه
وتنزهاً واخفى في نفسه عزمه على نكاحها بعد طلاقه لها لينتهي الامر
الى ايقاع الله تعالى فيها ويشهد بصحة هذا التأويل قوله تعالى فلما
قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج
ادعيائهم اذا قضوا منهن وطراً وكان امر الله مفعولاً فدل على ان العلة
في امره بنكاحها ما ذكرناه من نسخ السنة المتقدمة **فان قيل**

العتاب باق

العتاب باق على كل حال لانه قد كان ينبغي ان يظهر ما اضمره ويخشى الله ولا يخشى
الناس **قلنا** اكثر ما في الآية اذا سلمنا نهاية الاقتراح فيها ان يكون عم فعل
ما غيره اولى منه وليس يكون عم بترك الاولى عاصياً وليس يمتنع على هذا الوجه
ان يكون صبره على قرف المنافقين وهو انه يقولهم افضل له واكثر ثواباً فيكون
ابداؤه ما في نفسه اولى من اخفائه وعلى انه ليس في ظاهر الآية ما يقتضي
العتاب ولا ترك الاولى اما اخباره بانه اخفى ما الله مبديه فلا شي فيه
من الشبهة وانما هو خبر محض واما قوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه والعلم
ففيه ادنى شبهة وان كان الظاهر لا يقتضي عند التحقيق ترك الافضل
لانه خبر بانه يخشى الناس وان الله احق بالخشية ولم يخبر انك لم تفعل
الاحق وعدلت الى الادون ولو كان في الظاهر بعض الشبهة لوجب
ان نتركه ونعدل عنه للقاطع من الادلة وقد قيل ان زيد ابن حارثة
لما خاصم زوجته زينب ابنة جحش وهي ابنة عمة رسول الله صلى الله
عليه واله واشرف على طلاقها اضمر رسول الله صلى الله عليه واله
انه ان طلقها زيد تزوجها من حيث كانت ابنة عمته وكان يحب ضمها الى
نفسه كما يحب احدنا ضم قراباته اليه حتى لا ينالهم بؤس فاخبر الله
تعالى رسوله صلى الله عليه واله والناس بما كان يضمره من ايثار ضمها
الى نفسه ليكون ظاهر الانبياء وباطنهم سواء ولهذا قال رسول
الله صلى الله عليه واله للانصار يوم فتح مكة وقد جاءه عثمان
بعبد الله ابن ابي سرح وسأله ان يرضى عنه وكان رسول
الله صلى الله عليه واله قبل ذلك قد هدر دمه فامر بقتله

فلما راى عثمان استحيا من رده وسكت طويلا ليقتله بعض المؤمنين فلم يفعل المؤمنون
ذلك انتظارا منهم لامر رسول الله صلى الله عليه واله مجددا وقال الانصار ما كان
منكم رجل يقوم اليه فيقتله فقال له عباد ابن بشر يا رسول الله ان عينى ما زالت
فى عينيك الى ان تومى الى فاقتله فقال له رسول الله صلى الله عليه ان الانبياء
لا يكون لهم خائنة الاعين وهذا الوجه تقارب الاول فى المعنى فان قيل
فما المانع مما وردت به الرواية من ان رسول الله صلى الله عليه راى فى بعض الاحوال
زينب بنت جحش فهويها فلما ان حضر زيد لطلاقها اخفى فى نفسه عزمه على نكاحها
بعده وهواه لها اوليس الشهوة عندكم التى قد يكون عشقا على بعض الوجوه
من فعل الله تعالى وان العباد لا يقدرون عليها وهذا المذهب لا يمكنكم
انكار ما تضمنه السؤال قلنا لم تنكر ما وردت به الرواية الخبيثة
من جهة ان الشهوة تتعلق بفعل العباد وانها معصية قبيحة بل من جهة ان
عشق الانبياء عليهم السلام لمن ليس يحل لهم من النساء منفر عنهم وحاط من
رتبتهم ومنزلتهم وهذا مما لا شبهة فيه وليس كل شىء وجب ان يجنبه
الانبياء عليهم السلام مقصورا من افعالهم الا ترى ان الله تعالى قد جنبهم
الفظاظة والغلظة والعجلة وكل ذلك ليس من فعلهم واوجبنا ايضا
ان يجنبوا الامراض المنفرة والخلق المشينة كالجذام والبرص وتفاوت
الصور واضطرابها وكل ذلك ليس من مقدورهم ولا فعلهم وكيف يذهب
على عاقل ان عشق الرجل زوجة غيره منفر عنه معدود فى جملة معايبه
ومثالبه ونحن نعلم انه لو عرف بهذه الحال بعض الامناء والشهود لكان
ذلك قادحا فى عدالته وخافضا من منزلته وما يؤثر فى منزلة احدنا
اولى ان يؤثر فى منازل من طهره الله وعصمه واكمله وعلى منزلته
وهذا بين لمن تدبره فان قيل فما معنى قوله تعالى

ما كان لنبى

ما كان لنبى ان يكون له اسرى حتى يثخن بالقول فى الارض تريدون عرض
الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم
فيما اخذتم عذاب عظيم اوليس هذا يقتضى عتابه على استبقاء الاسارى واخذ عرض
الدنيا عوضا عن قتلهم الجواب قلنا ليس فى ظاهر الاية التلاوة ما يدل على
انه عم عوتب فى شان الاسارى بل لو قيل ان الظاهر يقتضى توجه الاية الى
غيره لكان اولى لان قوله تعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة
وقوله تعالى ولولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم لا شك
انه لغيره فيجب ان يكون العتاب سواه والقصة فى هذا الباب معروفة والرواية
متظاهرة لان الله تعالى امر نبيه عم بان يامر اصحابه بان يثخنوا فى قتل اعدائهم
لقوله تعالى واضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان وبلغ النبى صلى
الله عليه واله ذلك الى اصحابه فخالفوا واسروا يوم بدر جماعة من المشركين
طمعا فى الفداء فانكر الله تعالى عليهم ذلك وبين ان الذى امر به سواه
فان قيل فاذا كان النبى صلى الله عليه واله خارجا عن العتاب فما معنى
قوله ما كان لنبى ان يكون له اسرى قلنا الوجه فى ذلك بين لان الاصحاب
انما اسروهم ليكونوا فى يده عم فهم اسراؤه على الحقيقة ومضافون اليه وان كان لم
يامر باسرهم بل امر بخلافه فان قيل اذ شاهدهم النبى عم وقت الاسر
فكيف لم ينههم عنه قلنا ليس يجب ان يكون عم شاهدا لحال الاسر لانه
كان عم على ما وردت به الرواية يوم بدر جالسا فى العريش ولما بعد اصحابه
عنه اسروا من اسروه من المشركين بغير علمه صلى الله عليه واله فان قيل
فما بال النبى عم لم يامر بقتل الاسرى لما صاروا فى يده ان كان خارجا من العصمة
وموجب العتاب اوليس لما استشار اصحابه فاشار عليه ابو بكر باستبقائهم
وعمر باستئصالهم رجع الى ابى بكر حتى روى ان العتاب من اجل ذلك قلنا

ان الوجه في انه عم لم يقتلهم فظاهر لانه غير ممتنع ان يكون المصلحة في قتلهم وهم
محاربون وان يكون القتل اولى من الاسر فاذا اسروا تغيرت المصلحة وكان استبقاؤهم
اولى والنبي عم لم يعمل براي ابي بكر الا بعد ان وافق ذلك ما نزل الوحي به
عليه واذا كان القرآن لا يدل بظاهره ولا بمحتمله على وقوع معصية منه عم في هذا الباب
فالرواية الشاذة لا يعول عليها ولا يلتفت اليها وبعد فلسنا ندري من اي وجه تضاف
المعصية اليه عم في هذا الباب لانه لا يخلو من ان يكون اوحي اليه في باب الاسارى
بان يقتلهم او لم يوح اليه فيه بشيء ووكل الى اجتهاده ومشورة اصحابه فما بالهم
يعاتب وقد فعل ما اداه اليه الاجتهاد والمشاورة واي لوم على من فعل الواجب
ولم يخرج عنه وهذا يدل على ان من اضاف اليه عم المعصية قد ضل عن وجه
الصواب مسألة فان قيل فما وجه قوله تعالى مخاطبا لنبيه عم لما
استاذنه قوم في التخلف عن الخروج معه الى الجهاد واذن لهم عفى الله عنك لم اذنت
لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين اوليس العفو لا يكون الا عن
الذنب وقوله لم فعلت ظاهر في العتاب لانه من اخص الفاظ العتاب
الجواب قلنا اما قوله تعالى عفى الله عنك فليس يقتضي وقوع معصية ولا
غفران عقاب ولا يمتنع ان يكون المقصد به التعظيم والملاطفة في المخاطبة
لان احدنا قد يقول لغيره اذا خاطبه ارايت رحمك الله وغفر الله لك
وهو لا يقصد الى الاستصفاح له عن عقاب ذنوبه بل ربما لم يخطر له
بباله ان له ذنبا وانما الغرض الاجمال في المخاطبة واستعمال ما قد
صار في العادة علما على تعظيم المخاطب وتوقيره فاما قوله تعالى
لم اذنت لهم فظاهره الاستفهام والمراد به التقرير واستخراج ذكر
علة اذنه وليس بواجب حمل ذلك على العتاب لان احدنا قد يقول
لغيره لم فعلت كذا وكذا تارة معاتبا واخرى مستفهما وتارة
مقررا فليست هذه اللفظة خاصة للعتاب والانكار واكثر ما يقتضيه

اجتهاده ومشورة اصحابه فما بالهم صح

ترك الاولى

ترك الاولى والافضل وقد بينا ان ترك الاولى ليس بذنب وان كان الثواب ينقص
معه فان الانبياء عليهم السلام يجوز ان يتركوا كثيرا من النوافل وقد يقول احدنا
لغيره اذا ترك الندب لم تركت الافضل ولم عدلت عن الاولى ولا يقتضي ذلك
انكارا ولا قبيحا مسألة فان قيل فما معنى قوله تعالى الم نشرح لك صدرك ووضعنا
عنك وزرك الذي انقض ظهرك اوليس هذا صريحا في وقوع المعاصي منه عليه السلام
الجواب قلنا اما الوزر في اصل اللغة فهو الثقل وانما سميت الذنوب بانها
اوزارا لانها تثقل كاسبها وحاملها واذا كان اصل الوزر ما ذكرناه فكل شيء
اثقل الانسان وغمه وكده وجهده جاز ان يسمى وزرا تشبيها بالوزر الذي هو
الثقل الحقيقي وليس يمتنع ان يكون الوزر في الآية انما اراد به غمه عم بما كان
عليه قومه من الشرك فانه كان هو واصحابه بينهم مستضعفا مقهورا
مغمورا فكل ذلك مما يغم الفكر ويكد النفس فلما ان اعلى الله تعالى كلمته
ونشر دعوته وبسط يده وخاطبه بهذا الخطاب تذكيرا له بموقع النعمة عليه
ليتلقاه بالشكر والثناء والحمد ويقوي هذا التاويل قوله تعالى ورفعنا
لك ذكرك وقوله عز وجل فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا والعسر
بالشدائد والغموم اشبه وكذلك اليسر بتفريج الكرب وازالة الهموم
والغموم اشبه فان قيل هذا التاويل يبطله ان هذه السورة مكية
نزلت على النبي عم وهو في الحال التي ذكرتم انها كانت نعمة من ضعف الحالة
وشدة الخوف من الاعداء وقبل ان يعلي الله كلمة المسلمين على المشركين فلا
وجه لما ذكرتموه قلنا عن هذا السؤال جوابين احدهما انه تعالى لما بشره
بانه تعالى يعلي دينه على الدين كله ويظهره عليه ويشفيه من اعدائه
غيظه من المشركين وغيظ المؤمنين به كان ذلك واضعا عنه ثقل غمه

بما كان يلحقه من قومه ومطيبا لنفسه ومبدلا غمه سرورا لانه بشر بان
وعد الله تعالى حق لا يخلف وامتن الله تعالى عليه بنعمة بسبب الامتنان
وتقدمته والوجه الاخر ان يكون اللفظ وان كان ظاهره للماضي فالمراد
به الاستقبال ولهذا نظاير كثيرة في القران والاستعمال قال الله
تعالى ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة وقوله تعالى ونادوا يا مالك
ليقض علينا ربك الى غير ذلك مما شهرته تغني عن ذكره مسئلة
فان قيل فما معنى قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
اوليس هذا صريحا في ان له عم ذنوبا وان كانت مغفورة الجواب قلنا
اما من نفى عنه عم صغاير الذنوب مضافا الى كبايرها فله عن هذه الاية
اجوبة نحن نذكرها ونبين صحيحها من سقيمها منها انه اراد تعالى
باضافة الذنب اليه ذنب ابيه ادم عم وحسنت هذه الاضافة للاتصال
والقربى وغفره له من حيث اقسم على الله تعالى به عم فابر قسمه فهذا
الذنب المتقدم والذنب المتاخر هو ذنب شيعته وشيعة اخيه
عم وهذا الجواب يعترضه ان صاحبه ينفي عن نبي ذنبا واضافة الى اخر
والسوال عليه فيمن اضافه اليه كالسوال فيمن نفاه عنه ويمكن اذا
اردنا نصرة هذا الجواب ان نجعل الذنوب كلها لامته عم ويكون ذكر
التقدم والتاخر انما اراد به ما تقدم زمانه وما تاخر كما يقول القايل
موكدا قد غفرت لك ما قدمت واخرت وصفحت عن السالف والانف
من ذنوبك ولاضافة ذنوب امته اليه وجه في الاستعمال معروف
لان القايل قد يقول لمن حضره من بني تميم او غيرهم من القبايل انتم
فعلتم كذا وكذا وقتلتم فلانا وان كان الحاضرون ما شهدوا ذلك ولا

فعلوه

ولا فعلوه وحسنت الاضافة للاتصال والنسب ولا سبب اوكد مما بين الرسول
صلى الله عليه واله وامته فقد يجوز توسعا ويجوز ان يضاف ذنوبهم اليه
ومنها انه سمي تركه الندب ذنبا وحسن ذلك انه عم ممن لا يخالف
الاوامر الا هذا الضرب من الخلاف ولعظم منزلته وقدره جاز ان يسمي بالذنب
منه ما اذا وقع من غيره لم يسم ذنبا وهذا الوجه يضعفه على بعد هذه التسمية
انه لا يكون معنى لقوله اني اغفر ذنبك ولا وجه في هذا الغفران ان يليق بالعدول
عن الندب ومنها ان القول خرج مخرج التعظيم وحسن الخطاب كما قلناه
في قوله عفى الله عنك لم اذنت لهم وهذا ليس بشيء لان العادة جرت فيما
يخرج هذا المخرج من الالفاظ ان يجري مجرى الدعاء مثل قولهم غفر الله لك
وليغفر لك الله وما اشبه ذلك ولفظ الاية بخلاف هذا لان المغفرة
جرت فيها مجرى الجزاء والغرض في الفتح وقد كنا ذكرنا في هذه الاية
وجها اخترناه وهو اشبه بالظاهر مما تقدم وهو ان يكون المراد بقوله
ما تقدم من ذنبك الذنوب اليك لان الذنب مصدر والمصدر يجوز اضافته
الى الفاعل والمفعول معا الا ترى انهم يقولون اعجبني ضرب فلان زيدا
عمرا اذا اضافوه الى الفاعل واعجبني ضرب زيد عمرو اذا اضافوه الى
المفعول ومعنى المغفرة على هذا التاويل هي الازالة والفسخ والنسخ
لاحكام اعدائه من المشركين عليه وذنوبهم اليه في منعهم اياه عن مكة
وصدهم له عن المسجد الحرام وهذا التاويل يطابق ظاهر الكلام حتى تكون
المغفرة غرضا في الفتح ووجها له والا فاذا اراد مغفرة ذنوبه لم يكن لقوله
انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله معنى معقول لان المغفرة للذنوب لا

لا تعلق لها بالفتح وليست غرضاً فيه **فاما قوله** ما تقدم من ذنبك وما تأخر
فلا يمتنع ان يريد به ما تقدم زمانه من فعلهم القبيح بك وبقومك وما تأخر وليس
ان يقول ان سورة الفتح نزلت على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله بين مكة
والمدينة وقد انصرف من الحديبية وقال قوم من المفسرين ان الفتح
اراد به فتح خيبر لانه كان تالياً لتلك الحال وقال آخرون بل اراد به
انا قضينا لك في الحديبية قضاءً حسناً فكيف يقولون ما لم يقله احد
من ان المراد بالآية فتح مكة والسورة قبل ذلك بمدة طويلة وذلك ان
السورة وان كانت نزلت في الوقت الذي ذكر وهو قبل فتح مكة فغير ممتنع
ان يريد بقوله تعالى انا فتحنا لك فتحاً مبيناً فتح مكة ويكون على طريق
البشارة له والحكم بانه سيدخل مكة وينصره الله على اهلها ولهذا نظائر
في القرآن والكلام كثيرة ومما يقوي ان الفتح في السورة اراد به فتح
مكة قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين
لا تخافون فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً والفتح القريب ههنا هو
فتح خيبر وحمل الفتح على القضاء الذي قضاه في الحديبية فهو خلاف الظاهر ومقتضى الآية لان الفتح
بالاطلاق الظاهر منه الظفر والنصر ويشهد بان المراد بالآية عليه السلام ما ذكرناه قوله تعالى وينصرك
الله نصراً عزيزاً فان قيل ليس تعرف اضافة المصدر الى المفعول الا اذا كان المصدر متعدياً بنفسه
مثل قولهم اعجبني ضرب زيد عمرو واضافة مصدر غير متعد الى مفعوله غير معروفة قلنا
هذا تحكم في اللغة وعلى اهلها لانهم في كتب العربية كلها اطلقوا ان المصدر يضاف الى الفاعل
والمفعول معاً ولم يستثنوا متعدياً من غيره ولو كان بينهما فرق لبينوه وفصلوه كما فعلوا
ذلك في غيره وليس قلة الاستعمال معتبرة في هذا الباب لان الكلام اذا كان له اصل
في العربية استعمل عليه وان كان قليل الاستعمال وبعد فان ذنبهم ههنا اليه انما هو صدهم له

عن المسجد الحرام ومنعهم اياه عن دخوله فمعنى الذنب متعد وان كان
معنى المصدر متعدياً جاز ان يجري مجرى ما يتعدى بلفظه فان من
عادتهم ان يحملوا الكلام تارة على معناه واخرى على لفظه الا ترى الى قول الشاعر
جئني بمثل بني بدر لقومهم او مثل اخوة منظور بن سيار
فاعمل الكلام على المعنى دون اللفظ لانه لو اعمله على اللفظ دون المعنى لقال او مثل
بالجر لكنه لما كان معنى جئني احضر او هات قوماً مثلهم حسن ان يقول
او مثل بالفتح وقال الشاعر
درست وغير آيهن مع البلى الا رواكد جمرهن هباء
ومشجج اما سواء قذاله فبدا وغيب ساره المعزاء
فقال ومشجج بالرفع اعمالاً للمعنى لانه لما كان معنى قوله الا رواكد آيهن باقيات
باقيات عطف على ذلك المشجج بالرفع ولو اجرى الكلام على لفظه
لنصب المعطوف به وامثلة هذا المعنى كثيرة وفيما ذكرناه بمشية الله تعالى
مسئلة فان قيل اليس قد عاتب الله تعالى نبيه بقوله عبس وتولى
ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى وهذا ايسر ما فيه
ان يكون صغيراً **الجواب قلنا** اما ظاهر الآية فغير دال على توجهها الى النبي
صلى الله عليه وآله ولا فيها ما يدل على التأمل على ان المعني بها غير النبي عليه السلام
لانه وصفه بالعبوس وليس هذا من صفات النبي عليه السلام في قرآن ولا خبر مع الاعداء
المباينين فضلاً عن المؤمنين المسترشدين ثم وصفه بانه يتصدى للاغنياء
ويتلهى بالفقراء وهذا مما لا يوصف به نبينا عليه السلام من يعرفه فليس هذا مشبهاً
لاخلاقه عليه السلام الواسعة وتحننه الى قومه وتعطفه وكيف يقول
له عليه السلام وما عليك الا يزكى وهو صلى الله عليه مبعوث للدعاء والتنبيه

ولكن لا يكون ذلك عليه وكان هذا القول اغراء بترك العرض على ايمان قومه وقد
قيل ان هذه السورة نزلت في رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه كان
منه هذا الفعل المنعوت فيها ونحن وان شككنا في عين من نزلت فيه فلا ينبغي
ان نشك في انها لم يعن بها النبي عليه السلام واي تنفير ابلغ من العبوس في وجوه
المؤمنين والتلهي عنهم والاقبال على الاغنياء الكافرين والتصدي لهم وقد نزه الله تعالى
النبي عليه السلام عما هو دون هذا في التنفير بكثير مسئلة فان قيل
فما معنى قوله تعالى مخاطبا لنبيه عليه السلام لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن
من الخاسرين فكيف يوجه هذا الخطاب الى من لا يجوز عليه الشرك ولا شيء
من المعاصي الجواب قلنا قد قيل في هذه الاية ان الخطاب للنبي عليه السلام
والمراد به امته فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال نزل القرآن
باياك اعني واسمعي يا جارة ومثل قوله تعالى يا ايها النبي اذا
طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن فدل قوله تعالى فطلقوهن على ان
الخطاب توجه الى غيره وجواب اخر ان هذا اخبر بتقضي الوعيد
وليس يمتنع ان يتواعد الله تعالى على العموم وعلى سبيل الخصوص من
يعلم انه لا يقع منه ما يتناوله الوعيد لكنه لا بد من ان يكون مقدورا
له وجائزا بمعنى الصحة لا بمعنى الشك ولهذا يجعل جميع وعيد القرآن
عاما لمن يقع منه ما يتناوله الوعيد ولمن علم الله تعالى انه لا يقع
منه وليس قوله لئن اشركت ليحبطن عملك على سبيل التقدير
والشرط باكثر من قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
استحالة وجود ثان معه اذا لم يمنع من تقدير ذلك وبيان حكمه
واولى ان يسوغ تقدير وقوع الشرك الذي هو مقدور ممكن

في هذه الاية جواب منفرد به وهو ان النبي صلى الله عليه وآله لما نص
على امير المؤمنين علي عليه السلام بالامامة في ابتداء الامر جاءه قوم من قريش
فقالوا له يا رسول الله ان الناس قريبو عهد بالاسلام ولا يرضون ان تكون
النبوة فيك والامامة في ابن عمك فلو عدلت بها الى غيره لكان اولى فقال
لهم النبي عليه السلام ما فعلت ذلك برأيي فاتخير فيه لكن الله تعالى
امرني به وفرضه علي فقالوا له فاذا لم تفعل ذلك مخافة الخلاف على
ربك تعالى فاشركنا معه في الخلافة رجلا من قريش تسكن الناس اليه
ليتم لك امرك ولا يخالف الناس عليك فنزلت الاية والمعنى لئن اشركت
في الخلافة مع امير المؤمنين عليه السلام غيره ليحبطن عملك وعلى هذا التأويل
السؤال قائم لانه اذا كان قد علم الله تعالى انه عليه السلام لا يفعل
ذلك ولا يخالف امره لعصمته فما الوجه في الوعيد فلا بد من الرجوع الى ما ذكرناه
مسئلة فان قيل فما وجه قوله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل
الله لك تبتغي مرضات ازواجك والله غفور رحيم اوليس ظاهر هذا الخطاب
يقتضي العتاب ولا يكون الا على ذنب كبير او صغير الجواب قلنا
ليس في ظاهر الاية ما يقتضي عتابا وكيف يعاتبه الله تعالى على ما ليس
بذنب لان تحريم الرجل بعض نسائه لسبب او لغير سبب ليس بقبيح
ولا داخل في جملة الذنوب واكثر ما فيه انه مباح ولا يمتنع ان يكون قوله
لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك خرج مخرج التوجع له من
حيث تحمل المشقة في ارضاء زوجاته وان كان ما فعله قبيحا ولو اخذنا ارضي

بعض نسائه بتطليق نسائه اخرى او تحريمها يجوز ان يقول له ما
فعلت ذلك وتحملت المشقة فيه وان كان ما فعلت قبيحا ويمكن ايضا
اذا سلمنا ان للقول بعض لسانه ظاهر العتاب ان يكون ترك
التحريم افضل من فعله فكانه عدل بالتحريم من الاولى ويحسن ان يقال
لمن عدل عن الفضل لم فعلته وكيف عدلت عنه والظاهر الذي لا شبهة
فيه قد نعدل عنه بدليل فلو كان للآية ظاهرا يقتضي العتاب
لجاز ان نصرفه الى غيره لقيام الدلالة على انه عليه السلام لا يفعل
شيئا من الذنوب ولان القصة التي خرجت الآية عليها تقتضي
ما له تعلق بالذنب على وجه من الوجوه مسألة فان قيل
فما الوجه في الرواية المشهورة ان النبي عليه السلام ليلة المعراج
لما خوطب بفرض الصلاة راجع ربه تعالى مرة بعد اخرى حتى
رجعت الى خمس وفي الرواية ان موسى عليه السلام هو القائل له ان
امتك لا تطيق هذا فكيف ذهب ذلك على النبي عليه السلام حتى
نبهه موسى عليه السلام عليه وكيف تجوز المراجعة منه مع علمه
بان العبادة تابعة للمصلحة وكيف يجاب الى ذلك مع ان المصلحة
غلبه فيه الجواب قلنا اما هذه الرواية فهي من طريق الآحاد
التي لا توجب علما وهي مع ذلك مضعفة وليس يمتنع لو كانت صحيحة
ان تكون المصلحة في الابتداء تقتضي العبادة بالخمسين من الصلوات

فاذا وقعت

فاذا وقعت المراجعة تغيرت المصلحة واقتضت اقل من ذلك
حتى ينتهي الى هذا العدد المستقر ويكون النبي عليه السلام قد اعلم
بذلك فراجع طلبا للتخفيف عن امته والتسهيل ونظير ما ذكرناه في
تغير المصلحة بالمراجعة وتركها ان فعل المنذور قبل النذر غير واجب
فاذا تقدم النذر صار واجبا وداخلا في جملة العبادة فاذا تقدم عقد
البيع وجب وصار المفروضات وكذلك تسليم المبيع غير واجب وله
داخل في جملة العبادة واذا تقدم عقد البيع وجب وصار مصلحة
ونظاير ذلك في الشرعيات اكثر من ان تحصى فاما قول
موسى له عليه السلام صلى الله عليه ان امتك لا تطيق فراجع فليس ذلك تنبيه
له عليه السلام وليس يمتنع ان يكون النبي عليه السلام اراد ان يراجع
مثل ذلك لو لم يقله موسى عليه السلام ويجوز ان يكون قول موسى قوى
دواعيه في المراجعة التي كانت ابيحت له وفي الناس من استبعد هذا
الموضع من حيث يقتضي ان يكون موسى عليه السلام في تلك الحال حيا كاملا
وقد قبض منذ زمان وهذا ليس ببعيد لان الله تعالى قد خبر ان انبياءه
عليهم السلام والصالحين من عباده في الجنان يرزقون ثم المانع من ان
يجمع الله بين نبينا صلى الله عليه وآله وبين موسى عليه السلام مسألة فان
قيل فما الوجه فيما روي من ان الله تعالى لما امر نبيه عليه السلام
ان يقرا القرآن على حرف واحد قال له جبريل عليه السلام استزده

بالحمد مما سأل الله تعالى حتى اذن له ان يقرأ على سبعة احرف
الجواب قلنا ان الكلام في هذا الخبر يجري مجرى ما ذكرناه في المراجعة
عند فرض الصلاة وليس يمتنع ان يكون المصلحة تختلف بالمراجعة
والسؤال وان النبي عليه السلام اراد الزيادة في الحروف للتسهيل
والتخفيف فان في الناس من يسهل عليه التفخيم وفي بعضهم لا يسهل عليه
الا الامالة وكذلك القول في الهمز وترك الهمز فان كان هذا الخبر صحيحا
فوجه المراجعة هو طلب التخفيف ورفع المشقة مسئلة فان
قيل ما الوجه في اجابة النبي عليه السلام العباس رضي الله عنه
في قوله الا الاذخر الى سؤاله وامضى استثناءه وانتم تعلمون ان
التحريم والتحليل انما يتبع المصالح فكيف يستثني بقول العباس ما لم
يكن يريد ان يستثنيه الجواب قلنا عن هذا جوابان
احدهما ان يكون النبي عليه السلام اراد ان يستثني ما ذكره العباس من
الاذخر لو لم يسبقه اليه وقد نجد كثيرا من الناس يبتدي بكلام
مخصوص فيسبقه الى ذلك الكلام بعض حاضريه فيظن به انه انما
وصل كلامه الاول بالثاني لاجل تذكير الحاضر به ولا يكون الامر
كذلك والجواب الثاني ان يكون الله تعالى خير نبيه عليه
السلام في الاذخر فلما سأله العباس اختار احد الامرين اللذين
خير فيهما وكل هذا غير ممتنع مسئلة فان قيل فما تقولون
في الخبر الذي رواه محمد بن جرير الطبري باسناده عن ابي هريرة عن النبي

عليه السلام

عليه السلام ان النار تقول هل من مزيد اذا القي اهلها فيها حتى يضع
الرب تعالى قدمه فيها وتقول قط قط بعزتك وتمتلي ويزوي بعضها الى
بعض وقد روي مثل ذلك عن انس الجواب قلنا لا شبهة في ان
كل خبر اقتضى ما تنفيه ادلة العقول فهو باطل مردود الا ان يكون يطابق
للادلة وقد دلت العقول ومحكم القران والصحيح من السنة على ان الله
تعالى ليس بذي جوارح ولا يشبه شيئا من المخلوقات فكل خبر نافا
الى ما ذكرناه اما مردود او محمول على ما يطابق ما ذكرناه من الادلة
وخبر القدم يقتضي ظاهره التشبيه المحض فكيف يكون مقبولا وقد قال
قوم انه لا يمتنع ان يريد بذكر القدم القوم الذين قدمهم لها واخبر انهم
اليها ممن استحقها باعماله فاما قوله النار هل من مزيد فقد قيل معنى
ذلك انها صارت بحيث لا موضع فيها للزيادة وبحيث لو كانت ممن يقول
لقالت قد امتلأت وما بقي في مزيد واضاف القول اليها على سبيل المجاز
كما اضاف الشاعر القول الى الحوض في قوله امتلأ الحوض وقال قطني
مهلا رويدا قد ملأت بطني وقد قال ابو علي الجبائي ان القول
الذي هو هل من مزيد من قول الخزنة كما يقال قالت البلدة العلونية
لذا اي قال اهلها وكما قال تعالى وجاء ربك والملك صفا صفا وهذا
ايضا غير ممتنع مسئلة فان قيل فما معنى الخبر المروي عن النبي عليه السلام انه
قال ان الميت ليعذب ببكاء الحي عليه وفي رواية اخرى ان الميت
يعذب في قبره بالنياحة عليه وروى المغيرة بن شعبة عنه عليه السلام

انه قال من نيح عليه فانه يعذب بما نيح عليه الجواب قلنا
هذا الخبر منكر الظاهر لانه يقتضي اضافة الظلم الى الله تعالى وقد نزهت
ادلة العقول التي لا يدخلها الاحتمال والاتساع والمجاز الله تعالى
عن الظلم وكل قبيح وقد نزه الله تعالى نفسه بمحكم القول عن ذلك فقال
عز وجل ولا تزر وازرة وزر اخرى فلا بد من ان يصرف ما ظاهره بخلاف
هذه الادلة ما يطابقها ان امكن او يرده ويبطله وقد روي عن ابن
عباس رحمة الله عليه في هذا الخبر انه قال وهل ابن عمر انما مر
رسول الله صلى الله عليه واله على قبر يهودي فقال ان اهله ليبكون
عليه وانه ليعذب وقد روي انكار هذا الخبر عن عائشة ايضا
وانها قالت لما اخبرت بروايته وهل ابو عبد الرحمن كما وهل يوم
قليب بدر انما قال عليه السلام ان اهل الميت ليبكون عليه
وانه ليعذب بجرمه فهذا الخبر مردود مطعون عليه كما ترى ومعنى
قولها وهل اي ذهب وهمه الى غير الصواب يقال وهلت الى
الشيء فانا اهل وهلا اذا ذهب وهمك اليه ووهلت عنه اوهل
وهلا اذا نسيته وغلطت فيه ووهل الرجل يوهل وهلا اذا
فزع والوهل الفزع وموضع وهلها في ذكر القليب انه روي
ان النبي عليه السلام وقف على قليب بدر فقال هل وجدتم ما وعدكم
ربكم حقا ثم قال انهم ليسمعون ما اقول فانكر ذلك عليه وقيل
انما قال عليه السلام انهم الان ليعلمون ان الذي كنت اقول لهم هو
الحق واستشهد بقوله تعالى انك لا تسمع الموتى ولهذا الخبر
ان كان صحيحا وجوه من التاويل اولها انه وصي موص بان يناح

عليه

عليه ففعل ذلك بامره فانه يعذب بالنياحة وليس معنى يعذب بها انه
يواخذ بفعل النواح وانما معناه انه يواخذ بامره بها ووصيته بفعلها وانما
قال صلى الله عليه واله ذلك لان الجاهلية كانوا يرون البكاء عليهم والنوح
ويامرون به ويوكدون الوصية بفعله وهذا مشهور عنهم قال طرفة ابن العبد
فان مت فانعيني بما انا اهله ... وشقي علي الجيب يا ابنة معبد
وقال بشر بن ابي حازم
فمن يك سائلا عن بيت بشر ... فان له بجنب الردة بابا
ثوى في ملحد لا بد منه ... كفى بالموت نايا واغترابا
رهين بلى وكل فتى سيبلى ... فاذري الدمع وانتحبي انتحابا
وثانيها ان العرب كانوا يبكون موتاهم ويذكرون غاراتهم وقتل
اعدائهم وما كانوا يسلبونه من الاموال ويبيرونه من الاحوال فيعدون كانهم معتدية فيه
مناقبهم في الحقيقة تعذيب الميت بها وان كانوا يجعلون ذلك من مفاخره ومناقبه
فذكر عليه السلام انهم يبكونهم بما يعذبون به وثالثها
ان يكون المعنى ان الله تعالى اذا اعلم الميت ببكاء اهله واعزته عليه
تألم بذلك وكان عذابا له والعذاب ليس بجار مجرى العقاب الذي لا يكون
الا على ذنب متقدم بل قد يستعمل كثيرا بمعنى الالم والضرر الا ترى ان
القائل قد يقول لمن ابتداه بضرر والم قد عذبتني بكذا وكذا
واذيتني كما يقول اضررت بي والمتني وانما لم يستعمل العقاب حقيقة
في الالام المبتدأة ~~وانما لم يستعمل~~ من حيث كان اشتقاق لفظة العقاب
من المعاقبة التي لا بد من تقدم سبب لها وليس هذا في العذاب

ورابعها أن يكون أراد بالميت من حضره الموت ودنا منه فقد يسمى بذلك
لقوة المقاربة على سبيل المجاز فكأنه عليه السلام أراد أن من حضره الموت
تتأذى ببكاء أهله عنده ويضعف نفسه فيكون ذلك كالعذاب له وكل
هذا بيّن بحمد الله **مسألة فإن قيل** فما معنى الخبر المروي عن عبد الله
ابن عمر أنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول إن قلوب بني آدم كلها
بين إصبعين من أصابع الرحمن يصرفها كيف شاء ثم يقول رسول الله
صلى الله عليه وآله عند ذلك اللهم مصرف القلوب اصرف قلوبنا إلى طاعتك
والخبر الذي يرويه أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
ما من قلب آدمي إلا وهو بين إصبعين من أصابع الله تعالى فإذا شاء أن يثبته
ثبته وإذا شاء أن يقلبه قلبه **الجواب قلنا** إن لمن تكلم في تأويل
هذه الأخبار ولم يدفعها لمنافاتها لأدلة العقول أن يقول الإصبع
في كلام العرب وإن كانت الجارحة المخصوصة فهي أيضاً الأثر الحسن يقال
لفلان على ماله وإبله إصبع حسنة أي قيام وأثر حسن قال
الراعي واسمه عبيد بن الحصين ويكنى بأبي جندل يصف راعياً حسن
القيام على إبله سوّ ضعيف العصا بادي العروق ترى له عليها إذا ما أجدب الناس إصبعا
وقال لبيد من يجعل الله له إصبعاً في الخير والشر يأتي أولعا
يملي له منه ذنوباً مترعا وقال آخر أكرم بوان واسعه المستعصا
فإن فيه خصلات أربعاً جوداً وحداً ويداً وإصبعاً
فالإصبع في كل ما أوردناه المراد بها الأثر الحسن والنعمة فيكون المعنى
ما من آدمي إلا وقلبه بين نعمتين لله تعالى جليلتين **فإن قيل**
فما معنى تثنية النعمتين ونعم الله تعالى على عباده لا تحصى كثرة **قلنا** يحتمل

ان يكون

الا يكون الوجه في ذلك نعم الدنيا ونعم الآخرة وثناهما لأنهما كالجنسين أو النوعين
وإن كان كل قبيل منهما في نفسه ذا عدد كثير ويمكن أن يكون الوجه في تسميتهم الأثر
الحسن بالإصبع هو من حيث يشار إليه بالإصبع إعجاباً به وتنبيهاً عليه وهذه
عادتهم في تسمية الشيء بما يقع عنده وبما له به علقة وقد قال قوم إن الداعي أراد
أن يقول يداً في موضع إصبع لأن اليد النعمة فلم يمكنه فعدل عن اليد إلى الإصبع
لأنها من اليد وفي هذه الأخبار وجه آخر وهو أوضح من الوجه الأول وأشبه
بمذهب العرب وتصرفها في كلامها وهو أن يكون الغرض في ذكر الأصابع
الإخبار عن تيسير تصريف القلوب وتقليبها والفعل فيها عليه عز وجل
ودخول ذلك تحت قدرته ألا ترى أنهم يقولون هذا الشيء في خنصري وإصبعي
وفي يدي وقبضتي كل ذلك إذا أرادوا وصفه بالتيسير والتسهيل وارتفاع
المشقة فيه والمؤونة وعلى هذا يتأول المحققون قوله تعالى والأرض جميعاً
قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وكأنه صلى الله عليه وآله أراد
المبالغة في وصفه بالقدرة على تقليب القلوب وتصريفها بغير مشقة
ولا كلفة فقال إنها بين أصابعه كناية عن هذا المعنى واختصاراً للفظ الطويل
منه وقد ذكر قوم في معنى الأصابع على تسليم أنها المخلوقات من اللحم والدم
المستطيل ذاتي الحجة على المعنى لغو وجهاً آخر وهو أنه لا ينكر أن يكون
القلب يشتمل عليه جسمان على شكل الإصبعين يحركه الله تعالى بهما ويقلبه
بالفعل فيهما ويكون وجه تسميتهما بالإصبعين من حيث كانا على شكلهما والوجه
في إضافتهما إلى الله تعالى وإن كانت جميع أفعاله تضاف إليه بمعنى الملك

والقدرة انه لا يقدر على الفعل فيهما وتحريكهما منفردين عما جاورهما غيره تعالى
فقيل لهذا اصبعان له من حيث اختص بالفعل فيهما على هذا الوجه وهذا
التاويل وان كان دون ما تقدم من الكلام يحتمله ولا بد من ذكر القوي والضعيف
اذا كان في الكلام له ادنى احتمال **مسئلة فان قيل** فما معنى الخبر المروي عن
النبي صلى الله عليه واله انه قال ان الله خلق ادم على صورته او ليس ظاهر هذا
الخبر يقتضي التشبيه وان له تعالى عن ذلك صورة **الجواب قلنا** قد قيل
في تاويل هذا الخبر ان الهاء في قوله صورته اذا صح هذا الخبر راجعة الى ادم
عليه السلام دون الله تعالى فكان المعنى انه تعالى خلقه على الصورة التي
قبض عليها وان حاله لم يتغير في الصورة بزيادة ولا نقصان كما تتغير احوال
البشر وذكر وجه ثان وهو على ان يكون الهاء راجعة الى الله
تعالى ويكون المعنى انه خلقه على الصورة التي اختارها واجتباها
لان الشيء قد يضاف على هذا الوجه الى مختاره ومصطفيه وذكر ايضا
وجه ثالث وهو ان هذا الكلام خرج على سبب معروف لان
الزهري روى عن الحسن انه كان يقول مر رسول الله صلى الله
عليه واله برجل من الانصار وهو يضرب وجه غلام له ويقول
قبح الله وجهك ووجه من يشبهك فقال النبي صلى الله عليه واله بئس ما قلت فان
الله تعالى خلق ادم على صورته يعني صورة المضروب ويمكن في الخبر وجه
رابع وهو ان يكون المراد ان الله تعالى خلق ادم وخلق صورته لينبه بذلك
ولا شك في ان تاليفه من فعل غيره لان التاليف من جنس مقدور البشر

والجواهر

والجواهر وما شاكلها من الاجناس المخصوصة من الاعراض هي التي يتفرد القديم
تعالى بالقدرة عليها فيمكن قبل النظر ان تكون الجواهر من فعله وتاليفها من
فعل غيره الا ترى انا نرجع في العلم بان التاليف السماء من فعله تعالى في الموضع
الذي يستدل به على انه عالم من حيث ظهر منه الفعل المحكم المتقن الى ان
يحمل الكلام في اول انسان خلقه لانه لا يمكن ان يكون مولفه سواه اذا كان
هو اول الاحياء من المخلوقات فكانه عليه السلام اخبر بهذه الفائدة الجليلة
وهو ان جوهر ادم وتاليفه من فعل الله تعالى ويمكن وجه خامس
وهو ان يكون المعنى ان الله تعالى انشاه على هذه الصورة التي شوهد
عليها على سبيل الابتداء وانه لم ينتقل اليها ويتدرج كما جرت العادات
في البشر وكل هذه الوجوه جائزة في معنى الخبر والله تعالى ورسوله عليه السلام اعلم
بالمراد **مسئلة فان قيل** فما معنى الخبر المروي عن النبي صلى الله عليه واله
انه قال سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته
وهذا خبر مشهور لا يمكن تضعيفه ونسبته الى الشذوذ **الجواب قلنا**
اما هذا الخبر فمطعون عليه مقدوح في روايته لان راويه قيس ابن ابي حازم
وقد كان خولط في اخر عمره مع استمراره على رواية الاخبار وهذا قدح لا
شبهة فيه لان كل خبر مروي عنه لا يعلم تاريخه يجب ان يكون مردود لانه
لا يؤمن ان يكون مما سمع منه في حال الاختلاط وهذه طريقة في قبول
الاخبار وردها ينبغي ان تكون اصلا ومعتبرة فيمن علم فيه الخروج ولم يعلم
تاريخ ما نقل عنه على ان قيس لو سلم من هذا القدح لكان مطعونا فيه من
وجه اخر وهو ان قيس ابن ابي حازم كان مشهورا بالنصب لامير المؤمنين

في حاجاتكم الى جوده فسمي الفعلين مللا وان لم يكونا على الحقيقة كذلك على
مذهب العرب في تسمية الشي باسم غيره اذا وافق معناه من بعض الوجوه
وقال عدي بن زيد العبادي
ثم اضحوا لعب الدهر بهم ۞ وكذاك الدهر يودي بالرجال
وقال عبيد بن الابرص الاسدي
سائل بنا حجر ابن ام قطام ۞ اذ ظلت به السمر الذوابل تلعب
فنسب اللعب الى الدهر والقنا تشبيها وقال ذو الرمة
وابيض موشي القميص نصبته ۞ على خصر مقلاة سفيه جديلها
فسمى اضطراب زمامها سفها لان السفه في الاصل هو الطيش وسرعة
الاضطراب والحركة وانما وصف ناقته بالذكاء والنشاط والوجه الثالث
ان يكون المعنى انه تعالى لا يقطع عنكم خيره ونائله حتى تملوا من سؤاله
ففعلهم ملل على الحقيقة وسمى فعله تعالى مللا وليس على الحقيقة
كذلك للازدواج والتشاكل في الصورة وان كان المعنى مختلفا ومثله قوله
تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وجزاء سيئة
سيئة مثلها ومثله قول الشاعر
الا لا يجهلن احد علينا ۞ فنجهل فوق جهل الجاهلينا
وانما اراد المجازاة على الجهل لان العاقل لا يفخر بالجهل ولا يتمدح به واعلم
ان هذه الاخبار المضافة الى النبي عليه السلام مما يقتضي ظاهره تشبيها
لله تعالى بخلقه او تجويرا له في حكمه واباه الاصل العقلي نظائر كثيرة وان
كانت الاخبار في الشهرة تجري مجرى ما ذكرناه ومتى تقصينا على ذلك طال
الكتاب جدا وخرج عن الغرض المقصود به لانا شرطنا ان لا نتكلم ونتأول
ما اضيف الى الانبياء عليهم السلام من المعاصي الا على انه من الكتاب او خبر
معلوم

معلوم ومشهور يجري في سهولته مجرى المعلوم وفيما ذكرناه بلاغ وكفاية ونحن
نبتدي بالكلام على ما يضاف الى الائمة عليهم السلام مما يظنون انه
قبيح ونرتب ذلك كما رتبناه في الانبياء عليهم السلام ومن الله تعالى
نستمد حسن المعونة والتوفيق **تنزيه امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه الصلوة والسلام**
عليه صلوات الله وسلام ان قال قائل اذا كان مذهبكم معشر القائلين
بالنص ان النبي عليه السلام نص على امير المؤمنين صلوات الله عليه بالخلافة
بعده وفوض اليه امر امته فما باله لم ينازع المتآمرين بعد النبي عليه
السلام في الامر الذي وكل اليه وعول في تدبيره عليه اوليس هذا منه اغفالا
للواجب لا يجوز اعتقاده فيه فان قلتم انه لم يتمكن من ذلك قلنا اعذر وابلى
واجتهد فاما اذا لم يصل الى مراده بعد الاعذار والاجتهاد كان معذورا
وليس هو عليه السلام الذي حارب اهل البصرة وفيهم زوجة الرسول عليه
السلام وطلحة والزبير ومكانهما من الصحبة والاختصاص والتقدم مكانهما
ولم يحشمه ظواهر هذه الاحوال من كشف القناع في حربهم حتى اتى على نفوس
اكثر اهل العسكر وهو المحارب عليه السلام لاهل صفين مرة بعد اخرى
مع تخاذل اصحابه وتواكل انصاره وانه كان في اكثر مقاماته تلك ومواقفه
لا يغلب على ظنه الظفر ولا يرجو لضعف من معه النصر وكان عليه السلام
مع ذلك في مقاماته ماضيا قدما لا تاخذه في الله لومة لائم قد
وهب نفسه وماله وولده لله تعالى ورضي بان يكون دون الحق اما جريحا
او قتيلا فكيف لم يظهر منه بعض هذه الامور مع من تقدم والحال عندكم
واحد بل قلنا انها كانت اغلظ والخطب لانها كانت مفتاح الشر واس

وراس الخلاف وسبب التبديل والتغيير بعده فكيف لم يقنع بالكف عن النكير
والعدول عن المكاشفة والمجاهرة حتى بايع القوم وحضر مجالسهم ودخل
في آرائهم وصلى مقتدياً بهم واخذ اعطيتهم ونكح سبيهم وانكحهم ودخل في
الشورى التي هي عندكم مبنية على غير تقوى فما الجواب عن ذلك جميع ما
ذكروه فان الامر فيه مشتبه والخطب ملتبس الجواب قلنا انا
الكلام على ما تضمنه هذا السؤال مفصوحاً يختص الكلام في الامامة وقد استقصيناه
في كتابنا المعروف بالشافي في الامامة وبسطنا القول في هذه الابواب
ونظائرها بسطاً يزيل الشبهة ويوضح الحجة لكنا لا نخلي هذا الكتاب
من حيث تعلق غرضه بهذه المواضع من اشارة الى طريقة الكلام فيها
فنقول قد دللنا في صدر هذا الكتاب ان الائمة عليهم السلام
معصومون من كبائر الذنوب وصغائرها واعتمدنا في ذلك على دليل عقلي
لا يدخله احتمال ولا تأويل فمتى ورد عن احدهم عليهم السلام فعل له ظاهر
الذنب وجب ان نصرف عن ظاهره ونحمله على ما يطابق موجب الدليل العقلي
فيهم كما فعلنا مثل ذلك فيما يرد به القرآن المقتضي ظاهره ما لا يجوز على
الله تعالى او ما لا يجوز على نبي من انبيائه عليهم السلام واذا ثبت
ان امير المؤمنين صلوات الله عليه امام قد ثبت بالدليل العقلي
انه معصوم من الخطاء والزلل فلا بد من حمل جميع افعاله عليه السلام
على جهات الحسن ونفي القبيح عن كل واحد منها وما كان منها له ظاهر
يقتضي الذنب علمنا في الجملة انه على غير ظاهره فان عرفنا وجهه على
التفصيل ذكرناه والا كفانا في تكليفنا ان نعلم ان الظاهر معدول عنه

وانه لا بد من وجه فيه تطابق ما يقتضيه الادلة وهذه الجملة كافية في جميع
المشتبه من افعال الائمة عليهم السلام واقوالهم ونحن نزيد عليها فنقول
ان الله تعالى لم يكلف انكار المنكر سواء اختص بالمنكر او تعداه الى غيره الا
بشروط معروفة اقواها التمكن والا يغلب في ظن المنكر ان انكاره يؤدي الى
وقوع ضرر به لا يتحمل مثله وان لا يخاف في انكاره من وقوع ما هو افحش منه
واقبح من المنكر وهذه شروط قد دلت الادلة عليها ووافقنا الى القول
انا في الامامة فيها واذا كان ما ذكرناه مراعى في وجوب انكار المنكر فمن
اين ان امير المؤمنين عليه السلام كان متمكناً من المنازعة على حقه والجذب
واما المنكر من ان يكون عم خائفاً متى نازع وجاذب من ضرر عظيم يلحقه في نفسه
وولده وشيعته ثم ما المنكر من ان يكون خاف في الانكار من ارتداد القوم
عن الدين وخروجهم عن الاسلام ونبذهم شعار الشريعة فرأى ان الاغضاء
اصلح في الدين من حيث كان يجر الانكار ضرراً فيه لا يتلافى فان قيل
ما يمنع ان يكون انكار المنكر مشروطاً بما ذكرتم الا انه لا بد مع ارتفاع التمكن
وخوف الضرر على الدين والنفس من امارات لائحة يعرفها كل احد ولم يكن
هناك شيء من امارات الخوف وعلاماته ووقوع الفساد في الدين وعلى هذا
فليس ينفعكم الجملة التي ذكرتموها الا ان التفصيل لا يطابقها قلنا
اول ما نقوله ان الامارات التي تغلب معها الظن بان انكار المنكر يؤدي
الى الضرر انما يعرفها من شهد الحال وحضرها وانما تثبت في ظنه وتنثبت
وما يجب ان يعلمها الغائبون عن تلك الحال الشاهد من اتى بعد تلك الحال

بالستر السلطان له وليس من حيث لم تظهر لنا تلك الامارات ولم نحط بها
علماً يجب القطع على ان من يشهد تلك الحال لم تكن ظاهرة له فانا نعلم ان للمشاهد
وحضوره مزية في هذا الباب لا يمكن دفعها والعادات تقضي بان الحال
على ما ذكرناه فانا نجد كثيراً ممن يحضر مجالس الظلمة من الملوك تمتنع من انكار
بعض ما يجري بحضرتهم من المناكير وربما انكر ما يجري مجراه لظهور امارات الظن
له ولا يلزمه ان تكون تلك الامارة ظاهرة لكل احد حتى يطالب بان
في الظن والخوف كل من عرفه بل ربما كان معه في ذلك المقام من لا يغلب على
ظنه من حيث اختص بالامارة دونه ثم قد ذكرنا في كتابنا في
الامامة من اسباب الخوف وامارات الضرر التي تظاهرت بها
الروايات ووردت من الجهات المختلفة ما فيه مقنع للمتامل وانه
عم عوجل في الامر وسوبق اليه وانتهزت غرته واغتنمت الحال التي كان
فيها متشاغلاً بتجهيز النبي عم وسبق القوم الى الدين وعلى هذا ملخص
~~مختصر الجملة التي ذكرتموها لان التفصيل لا يليق بها~~ اول ما
~~نقول له ان الامارات التي يغلب معها الظن بان انكار المنكر يؤدي~~
~~الى الضرر انا نعرفها من شاهد الحال وحضرها واثرت في ظنه وليست~~
~~يجب ان يعلمها الغائبون عن تلك المشاهد~~ سقيفة بني ساعدة
وجرى لهم فيها مع الانصار ما جرى وتم لهم عليهم لما اتفق من بشير بن
سعد ما تم واظهروا بما توجه لهم في قهرهم الانصار ان الاجماع قد انعقد

على البيعة

على البيعة وان الرضا وقع من جميع الامة وراسل امير المؤمنين عم ومن
تاخر معه من بني هاشم وغيرهم مراسلة من يلزمهم ببيعة قد تمت ووجبت
لا اختيار فيها لاحد ولا راي في التوقف عنها لذي راي ثم يهدده على التاخر
وتارة يقال له لا يتم من نطق به الحسد لابن عمه الى ما شاكل ذلك من الاقوال
والافعال التي تقتضي التكفل والتسبب وتدل على التصميم والتهكيم وهذه
امارات بل دلالات تدل على ان الضرر في مخالفة القوم شديدة وبعد
فان الذي يذهب اليه من سبب التقية والخوف مما لا بد منه اذا فرضوا
ان مذهبنا في النص صحيح لانه اذا كان النبي صلى الله عليه واله قد نص على امير المؤمنين
عم بالامامة في مقام بعد مقام وبكلام لا يحتمل التاويل ثم رأى المنصوص عليه
صلى الله عليه واله اكثر الامة بعد الوفاة بلا فصل اقبلوا يتنازعون الامر تنازع
من لم يعهد اليه في شيء ولا كلام على الامامة ابتداء لان المهاجرين قالوا نحن احق
بالامر لان الرسول عم منا ولكيت وكيت وقالت الانصار نحن اوينا
ونصرنا فمنا امير ومنكم امير هذا والنص لا يذكر فيما بينهم ومعلوم ان الامر كان
لم يبعد فيتناسوه ومثله لا يتناسى فلم يبق الا انهم علموا ان النص ووطنوا
نفوسهم على التجاهل وانهم لم يستجيزوا الاقدام على خلاف الرسول صلى الله عليه
في اجل اوامره واوثق عهوده والتظاهر بالعدول عن اكده وعقده الا لداع

قوي

وامر عظيم يخاف فيه من عظيم الضرر ويتوقع منه تشديد الفتنة فاي طمع يبقى في
ترد عمهم بوعظ او تذكير وكيف يطمع في قبول وعظه والرجوع الى تبصيره وارشاده
من راهم لم يتعظوا بوعظ يخرجهم من الضلالة وينقذهم من الجهالة وكيف لا يخافهم
على نفسه ودينه من راى فعلهم بسيدهم وسيد الناس اجمعين فيما عهده واراده
وقصده وهل يمكن عاقل بعد هذا ان يقول اي امارة للخوف ظهرت لهم الا
ان يقولوا ان القوم ما خالفوا النص ولا نبذوا عهدا وان كان كل ذلك يقول
منكم عليهم لا حجة فيه ولا دعوى ولا برهان عليها فتسقط حينئذ المسألة
من اصلها ولم يبق تقديرها اذا كان امير المؤمنين ع غير منصوص عليه بالامامة
ولا مغلوب على الخلافة فكيف لم يطالب بها وينازع فيها ومعلوم ان المسألة
في انه لم يطالب بالشيء له ولم يحصل اليه وان المسألة في انه لم يطالب بالنص عليه
ولم يحصل واذا فرضنا ان ذلك اليه جاز منه كل الذي ذكرناه ثم يقال
لهم اذا سلمتم ان انكار المنكر مشروط بما ذكرناه من الشروط فلم انكرتم ان
يكون امير المؤمنين صلوات الله عليه انما احجم عن المجاهرة بالانكار لان الانكار
مشروط انكار المنكر لم تتكامل اما لانه كان خائفا على نفسه او على من يجري
مجرى نفسه او مشفقا من وقوع ضرر في الدين هو اعظم من ما انكره وايضا
فالمانع من ان يكون الامر جرى على ذلك فان قالوا لان امارات الخوف
لم تظهر قلنا واي امارة للخوف هي اقوى من الاقدام على خلاف الرسول

صلى الله عليه

صلى الله عليه واله في اوثق عهوده واقوى عقوده واستبدادا بامر لا حظ لهم فيه
وهذه الحال يخرج من ان تكون امارة في ارتفاع الحشمة من القبيح الى ان تكون دلالة
وانما يسوغ ان يقال لا امارة هناك تقتضي الخوف وتدل على الى سوء الظن
اذا فرضنا ان القوم كانوا على احوال السلامة متحفظين مباعدين متمسكين
باوامر الرسول صلى الله عليه واله جارين على سنته وطريقته فلا يكون لسوء
الظن عليهم مجال ولا للخوف من جهتهم طريق فاما اذا فرضنا انهم دفعوا النص
الظاهر وخالفوه وعملوا بخلاف مقتضاه فالامر حينئذ منعكس منقلب وحسن
الظن لا وجه له وسوء الظن هو الواجب اللازم فلا ينبغي للخصم ان يغفل لنا في هذه الجملة
المسلمة له ان يجمع بين المتضادات ويفرضوا ان القوم دفعوا النص وخالفوا
موجبه وهم مع ذلك على احوال السلامة المعهودة منهم التي تقتضي من الظنون
بهم احسنها واجملها على انا لا نسلم انه صلى الله عليه واله لم يقع منه انكار على وجه
من الوجوه فان الرواية متظاهرة بانه عليه السلام لم يزل يتظلم ويتألم
ويشكو انه مظلوم مقهور في مقام بعد مقام وخطاب بعد خطاب وقد
ذكرنا تفصيل هذه الجملة في الكتاب الشافي في الامامة واوردنا طرفا
مما روي في هذا الباب وبينا ان كلامه ع في هذا المعنى ترتب
في الاحوال بحسب ترتبها في الشدة واللين وكان السهولة من كلامه
في ايام ابي بكر لا سيما في صدرها وعند ابتداء البيعة ما لم يكن مثله في

وعند ابتداء البيعة ما لم يكن مسموعاً في ايام عمر ثم صرح ع وقوي تعريضه في ايام
عثمان ثم انبتت الحال في ايام تسليم الامر اليه الى انه ع ما كان يخطب خطبة
ولا يقوم موقفاً الا ويتظلم فيه بالالفاظ المختلفة والوجوه المتباينة حتى اكثر
في موقفه ما في نفسه الولي والعدو والقريب والبعيد وفي بعض ما كان ع يبديه
اعذار وابراء وقيام بما يجب على مثله من قلة تمكينه وضعف ناصره فاما
محاربته اهل البصرة ثم اهل صفين فلا يجري مجرى الظاهر بالانكار على المتقدمين عليه
صلوات الله عليه وآله لانه وجد ع على هؤلاء اعواناً وانصاراً يكثر عددهم ويرجى
النصرة والظفر بمثلهم لان الشبهة في حقهم ومعتقدهم كانت زائلة بين جميع الا
ماثل وذوي البصائر ولم يشتبه امرهم الا على اغتام وطغام لا اعتبار بهم ولا فكر
في نصرة مثلهم فتعين الغرض في قتالهم ومجاهدتهم للاسباب التي ذكرناها وليس
هذا الذي منه موجوداً فيمن تقدم بل الامر فيه بالعكس مما ذكرناه لان الجمهور
والعدد الجم الكثير كانوا على موالاتهم وتعظيمهم وتصويبهم في اقوالهم وافعالهم
وبعض للشبهة وبعض للانحراف عن امير المؤمنين ع والمجانبة لحزبه ع الامر عنه وبعض
لطلب الدنيا وحطامها ونيل الرياسات فيها فمن جمع بين الحالتين وسوى
بين الوقتين كمن جمع بين المتضادين وكيف يقال هذا ويطلب منه ع فما له نكار
على ان من تقدم مثل ما وقع ممن تأخر في صفين والجمل وكل من حارب معه ع
في هذه الحروب الا القليل كانوا قائلين بامامة المتقدمين عليه صلوات الله عليه
ومنهم من يعتقد تفضيلهم على سائر الامة فكيف لم يستنصر ويتقوى في الجهاد
الانكار على من تقدم بقوم هذه صفتهم واين الانكار على معاوية وطلحة وفلان
وفلان من الانكار على ابي بكر وعمر وعثمان لولا الغفلة والعصبية ولو انه ع

لهم ع في حرب الجمل وصفين وسائر حروبه ظهروا او خاف من ضرر في الدين عظيم
هو اعظم مما كان ارتد بها الرضى والتسليم نكيره لما كان ممسكاً محجماً عن نكير من
تقدم واما البيعة فان اريد بها الرضى والتسليم فلم يبايع امير المؤمنين
ع القوم بهذا التفسير على وجه من الوجوه ومن ادعى ذلك كانت عليه الدلالة فانه
لا يجدها وان اريد بالبيعة الصفقة واظهار الرضى فذلك ما وقع منه ع لكن بعد
مطل شديد وتقاعد طويل علمهما الخاص والعام وان دعاه الى الصفقة واظهار
التسليم ما ذكرناه من الامور التي بعضها يدعو وانما كان يكثر الجلوس في مجلس الرسول
صلى الله عليه وعلى آله فيه لا لاجتماع القوم هناك وذلك ليس بمجلس لهم مخصوص وبعد
فلو تعذر حضور مجالسهم لسقط عن بعض ما يجري فيها من شكر فان القوم قد كانوا
يرجعون اليه في كثير من الامور لحاجتهم ولكان للحضور وجه صحيح له بالدين علقة
قوية فاما الدخول في آرائهم فما كان ع ممن يدخل فيها الا مرشداً لهم
ومنبهاً على بعض ما شذ عنهم والدخول بهذه الشروط واجب فاما
الصلاة خلفهم فقد علمنا ان الصلاة على ضربين صلاة مقتدي مؤتم بامامه على
الحقيقة وصلاة مظهر للاقتداء والائتمام وان كان لا ينويهما فان ادعى على
امير المؤمنين ع انه صلى ناوياً للاقتداء فيجب ان يدلوا على ذلك فما له
لا نسلمه ولا هو الظاهر الذي لا يمكن النزاع فيه وان ادعوا صلاة مظهر
للاقتداء فذلك مسلم لانه الظاهر الا انه غير نافع فيما يقصدونه ولا يدل
على خلاف ما نذهب اليه في امره ع ولم يبق الا ان يقال فما العلة في
اظهار الاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به والعلة في ذلك غلبة القوم على الامر
وتمكنهم من الحل والعقد ولان الامتناع من اظهار الاقتداء مجاهرة ومنابذة

وقد قلنا فيما يؤدي ذلك اليه ما فيه كفاية فاما اخذ الاعطية فما اخذ
ع الا حقه ولا سؤال على من اخذ من حقه ما يستحقه من اللهم الا ان يقال
ان ذلك المال لم يكن ودفعه له ع في ايديهم وله منها في ذمتهم فيتعين حقه
وباحده كيف شاء وان شاء لكن ذلك المال ان يكون حقا له اذا كان الجابي
لذلك المال والمستفيد له ممن قد سوغته الشريعة جبايته وعقده ان كان
غنيمة والغاصب ليس له ان يغنم وله ان يتصرف التصرف المخصوص الذي
يفيد المال **والجواب** عن ذلك انا نقول ان تصرف الغاصب
له مراتب اذا كان عن قهر وغلبة وسوغت الحال للامة الامساك عن
التنكير خوفا وتقية يجري في الشرع مجرى تصرف المحق في باب جواز اخذ الاموال
التي تبقى على يده ونكاح السبي وما شاكل ذلك وان كان هو بذلك
الفعل موزورا ومعاقبا وهذا بعينه عليه نص عن ائمتنا عليهم السلام
لما سئلوا عن النكاح في دول الظالمين والتصرف في الاموال فاما
ما ذكر في السؤال من نكاح السبي فقد قلنا في هذا الباب ما فيه كفاية
ولو اقتصرنا عليه لكان يزيد الامر وضوحا بان نقول ليس الحال
بذلك فيه ع لا في الحنفية ام ابنة محمد ابن الحنفية ع وقد ذكرنا في كتابنا
الشافي انه ع لم يستنكحها بالسبي بل نكحها ومهرها وقد وردت
الروايات من طريق العامة فضلا عن طريق الخاصة بهذا بعينه فلان
البلاذري ذكر في كتابه المعروف بتاريخ الاشراف عن علي بن المغيرة
الاثرم وعباس بن هشام الكلبي عن هشام عن خراش ابن اسماعيل العجلي

العامة فضلا عن طريق الخاص

قال اغارت

قال اغارت بنو اسد على بني حنيفة فسبوا خولة بنت جعفر وقدموا بها
الى المدينة على عهد [illegible] في اول خلافة ابي بكر فباعوها من علي ع وبلغ
الخبر قومها فقدموا المدينة على علي ع فعرفوها واخبروه بموضعها منهم واعتقها
ومهرها وتزوجها فولدت محمدا وكناه ابا القاسم قال وهذا هو الثبت
لا الخبر الاول يعني بذلك خبرا رواه عن المدائني قال بعث رسول الله صلى
الله عليه واله فقال له رسول الله صلى الله عليه واله عليا ع الى اليمن فاصاب خولة
في بني زبيد وقد ارتدوا مع عمرو ابن معدي كرب وصارت في سهمه وذلك في
عهد رسول الله صلى الله عليه واله فقال له رسول الله صلى الله عليه واله ان ولدت
منك غلاما فسمه باسمي وكنه بكنيتي فولدت له بعد موت فاطمة صلوات
الله عليها فسماه محمدا وكناه ابا القاسم وهذا الخبر اذا كان صحيحا لم يبق
سؤال في باب الحنفية فاما انكاحه ع اياهم فقد ذكرنا في كتابنا الشافي
الجواب عن هذا الباب مشروحا وبينا انه ع ما اجاب عمر الى نكاح بنته
عليهما السلام الا بعد توعد وتهدد ومراجعة ومنازعة وكلام طويل ماثورا
اشفق معه من شرور الحال وظهور ما لا يزال بحقيقة منها وان
العباس رحمه الله لما راى الامر يفضي الى الوحشة ووقوع الفرقة سال له
صلى الله عليه واله رد امرها اليه ففعل فزوجها منه وما يجري على هذا الوجه
معلوم انه على غير اختيار ولا ايثار وبينا في الكتاب الذي ذكرناه انه
لا يمتنع الشرع ان يبيح الشرع ان ينكح بالاكراه من لا يجوز مناكحته مع
الاختيار لا سيما اذا كان المنكح مظهرا للاسلام والتمسك بالشريعة

وبينا ان العقل لا يمتنع من مناكحة الكفار علي ساير انواع كفرهم وانا المرجع فيما يحل من
ذلك او يحرم الي الشريعة وفعل امير المومنين عليه السلام اقوي حجة في احكام الشرع وبينا
الجواب عن الزامهم لنا فلو اكره علي نكاح اليهود والنصاري لكان يجوز ذلك وفرقنا
بين الامرين بان قلنا ان كان السوال عما في العقل فلا فرق بين الامرين وان كان عما في
الشرع فالاجماع يحظر ان ينكح اليهود علي كل حال وما اجمعوا علي حظر نكاح من ظاهره
الاسلام وهو علي نوع من القبح نكفره اذا اضطررنا الي ذلك واكرهنا عليه واذا قال
فما الفرق بين كفر اليهود وبين ما ذكرتم قلنا لهم اي فرق بين كفر اليهودية في
جواز نكاحها عندكم وكفر الوثنية واما الدخول في الشوري فقد بينا في كتابنا المعهد
ذكره الكلام فيه وفي علته مستقصي وجملته انه عليه السلام لولا الشوري لم يكن متمكن
من الاحتجاج علي القوم بفضائله ومناقبه والاخبار الدالة علي النص بالامامة عليه
وبما ذكره عليه من الامور التي تدل علي ان اسبابه الي الامامة اقوي من اسبابهم وطرقه
الي نيلها اوضح من طرقهم ومن كان يصغي لولا الشوري الي كلامه عليه السلام المستوفي
في هذا المعني واي حال لولاها كانت تقتضي ذكر ما ذكره من المقامات والفضايل
فلو لم يكن في الشوري من الغرض الا هذا وحده لكان كافيا مغنيا وبعد فان المدخل
له في الشوري هو الحامل له علي اظهار البيعة للرجلين والرضي بامامتهما وامضا
عقودهما فكيف يخالف في الشوري ويخرج منها وهي عقد من عقود من لم يزل
عليه السلام مصيبا في الظاهر لعقوده حافظا لعهوده واول ما كان يقال له انك
انما لا تدخل في الشوري لاعتقادك ان الامامة اليك وان اختيار الامة للامام بعد
الرسول صلي الله عليه واله باطل وفي هذا ما فيه والامتناع من الدخول يقود
اليه ويحمل عليه وقد قال قوم من اصحابنا انه عليه السلام انما دخل فيها تجويزا
ان ينال

ان ينال الامر فيها ومعلوم ان كل سبب ظن معه عرج او تجويز الوصول الي الامر الذي قد
تعين عليه القيام به يلزمه عليه السلام التوصل به والتحري له وهذه الجملة كافية في
الجواب عما تضمنه السوال مسلة فان قيل اذا كنتم تروون عنه عليه السلام و
تدعون عليه في احكام الشريعة مذاهب كثيرة لا يعرف الفقها لها مذهبا وقد كان عليه
السلام عندكم يشاهد الامر يجري بخلافها فالا افتي بمذاهبه ونبه عليها وارشد اليها وليس
لكم ان تقولوا انه عليه السلام استعمل التقية كما استعملها فيما تقدم لانه عليه السلام قد
خالفهم في مذاهب استبد بها وتفرد بالقول فيها مثل قطع السارق من الاصابع وبيع امهات
الاولاد والمسايل في الحد وغير ذلك مما مذهبه عليه السلام فيه الي الان معروف فكيف
اتقي في بعض وامضي في اخر وحكم الجميع واحد في انه خلاف في احكام شرعية لا تتعلق
بامامة ولا بتصحيح نص ولا ابطال اختيار الجواب قلنا لم يظهر امير المومنين
صلوات الله عليه في احكام الشريعة خلاف للقوم الا بحيث كان له موافق وان قل عدده
او بحيث علم ان الخلاف لا يودي الي فساد ولا يقتضي مجاهرة ولا مظاهرة وهذه
حال تعلمها الحاضر بالمشاهدة او يغلب علي ظنه فيها ما لا يعلمه الغايب عنها ولا
يظنه واستعمال التقية فيما يودي الي الوحشة بين الناس وتنافر بعضهم من بعض
لا يسوغ الا بما فقد نجد كثيرا من الناس يستوحشون من ان يخالفوا في مذهب
من المذاهب غاية الاستيحاش وان لم يستوحش من الخلاف فيما هو اعظم منه
واجل موقعا وتعصبهم في هذا الباب الصغير ولا تعصبهم الكبير وهذا انما يكون
لعادات جرت واسباب استحكمت ولاعتقاداتهم ان بعض الامور وان صغرت

في ظاهره فانه يودي الي العظايم و الكباير او لاعتقادهم ان الخلاف في بعض
الاشيا وان كان ظاهرا لا يمنع الخلاف في غيره لا يقع الامر بحاد منافس
واذا كان الامر علي ما ذكرناه لم ننكر ان يكون امير المومنين صلوات الله عليه
انما لم يظهر جميع مذاهبه التي خالف فيها القوم اظهارا كلا واحدا لانه يودي
من الضرر في الدين الي ما لا يودي اليه اظهارها وما اظهره وهذا واضح
لمن تدبره وقد دخل في جملة ما ذكرناه الجواب لم لم يغير الاحكام
ويظهر مذاهبه وما كان مخيرا في نفسه عند افضا الامر اليه وحصول
الخلافة في يديه فانه لا تقية علي من هو امير المومنين وامام جميع المسلمين
لانا قد بينا ان الامر ما افضي اليه ع الا بالاسم دون المعني وقد كان
معارضا منازعا منقصا طول ايام ولايته الي ان قبضه الله تعالي الي جنته
وكيف يامن في ولايته الخلاف علي المتقدمين من عليه دخل من تابعه
وجمهورهم شيعة لعداية ومن يري انهم مضوا علي افضل الامور ولعدلها
وان غاية من يأتي بعدهم ان يتبع اثارهم ويقتفي طرايقهم وما العجب من ترك
امير المومنين ع ما ترك من اظهار بعض مذاهبه التي كان الجمهور يخالفه
فيها وانما العجب من اظهاره شيا من ذلك مع ما كان عليه من شرف
الفتنة وخوف الفرقة وقد كان ع يتجرع في كل مقام يقومه ما هو عليه من فقد
التمكن وتقاعد الانصار وتخاذل الاعوان بما ان لو ذكرنا قليله طال به الشرح
وهو عليه السلام القايل هو والله لو ثنيت لي الوسادة لحكمت بين اهل التوراة
بتوراتهم وبين اهل الانجيل بانجيلهم وبين اهل الزبور بزبورهم وبين اهل

[illegible]

الفرقان

الفرقان بفرقانهم حتى يزهر كل كتاب من هذه الكتب ويقول يا رب ان عليا
قد قضي بقضائك وهو ع القايل وقد استاذنه قضاته فقالوا بم نقضي يا امير المومنين
فقال صلوات الله عليه اقضوا بما كنتم تقضون حتى يكون الناس جماعة او اموت كما مات
اصحابي يعني ع من تقدم موته من اصحابه والمخالفين من شيعته الذين قبضهم
الله تعالي وهم علي احوال التقية والتمسك بظاهر ما اوجب الله جل جلاله اسمه
عليهم التمسك به وهذا واضح لما قصدناه وقد تضمن كلامنا هذا الجواب
عن سوال من سأل عن السبب في امتناعه ع في رد فدك الي مستحقها لما
افضي التصرف في الامامة اليه ع مسئلة فان قيل فما الوجه في تحكيمه ع
ابا موسي الاشعري وعمرو العاص وما العذر في انه حكم في الدين الرجال
وهذا يدل علي شكه في امامته وحاجته الي علم بصحة طريقته ثم ما الوجه
في تحكيمه فاسقين عنده عدوين له او ليس قد تعرض بذلك لان يخلعا امامته
ويشككا فيه شيعته وقد مكنهما من ذلك بان حكمهما وكانا غير متمكنين منه
ولا اقوالهما حجة في مثله ثم ما العذر في تاخيره جهاد المارقة الفسقة وتاجيله
ذلك مع امكانه واستظهاره وحضور ناصره ثم ما الوجه في محو اسمه من الكتاب
بالامامة وتنظره بمعاوية في ذكر اسمه مجرد الاسم المضاف الي الاب كما فعل ذلك
بروايته تعلمون ان هذه الامور ضلت الخوارج مع شدة تخشنها في الدين وتمسكها
بعلانيتها وروعاتها الجواب قلنا كل امر ثبت بدليل قاطع غير محتمل
فليس يجوز ان يرجع عنه ويتشكك فيه لاجل امر محتمل وقد ثبت امامة امير المومنين

عن عصمته وطهارته من الخطايا وبراءته من العيوب والذنوب بادلة عقلية
وسمعية فليس يجوز ان يرجع عن ذلك اجمع لاجل شي منه لما وقع من التحكيم المحتمل للصواب
لظاهره وقيل للتعلق به كاحتماله للخطا ولانه لو كان ظاهره اقرب الي الخطا وادني
الي مخالفة الصواب بل الواجب في ذلك القطع علي مطابقة ما ظهر من المحتمل لما ثبت
بالدليل وصرف ما له ظاهر عن ظاهره والعدول به الي موافقة مدلول الدلالة التي
لا يحتمل مدلولها ولا يتطرق عليها التاويل وهذا فعلنا فيما ورد من اي القران التي لها
ظواهر الادلة العقلية مما يتعلق به الملحدون او المجبرة او المشبهة وهذه جملة
قد كررنا ذكرها في كتابنا هذا لجلالة موقعها من الحجة ولو اقتصرنا في حل هذه الشبهة
عليها لكانت مغنية كافية كما انها كذلك فيما ذكرناه من الاصول لكنا نزيد في
تفصيلها ولا نقتصر عليها كما لم نفعل ذلك فيما صدر بانه هذا الكتاب من الكلام
في تنزيه الانبياء عليهم السلام عن المعاصي فنقول ان امير المومنين ع ما حكم
مختارا بل احوج الي التحكيم والجي اليه لان اصحابه كانوا من التخاذل والتقاعد
والتواكل الا القليل منهم علي ما هو معروف مشهور ولما طالت الحرب وكثر القتل
وجل الخطب ملوا ذلك وطلبوا مخرجا من مقارعة السيوف واتفق من رفع اهل الشام
للمصاحف والتماسهم الرجوع اليها واظهارهم الرضا بما فيها ما اتفق بالحيلة التي
نصبها عدو الله عمرو بن العاص والمكيدة التي كاد بها لما احس بالبوار
وعلو كلمة اهل الحق وان معوية وجنده ماخوذون قد علتهم السيوف ودنت
منهم الحتوف فعند ذلك وجد هولاء الاغنام طريقا الي الفرار وسبيلا الي
وقوف امر المناجزة ولعل فيهم من دخلت عليه الشبهة لبعده عن الحق وغلظ

ولعلمه ان الذي

ولعلمه ان الذي دعا اليه اهل الشام من التحكيم وكف الحرب علي سبيل البحث عن الحق والاستسلام
للحجة لا علي وجه المكيدة والخدعة ~~فلما ليوه ع ترك الحرب والرضي وجه المكيدة والخدعة~~
بما بذله القوم فامتنع صلوات الله عليه واله من ذلك امتناع عالم بالمكيدة ظاهر
علي الحيلة وصرح لهم بان ذلك مكر وخداع فابوا والحوا فاشفق ع من الامتناع
عليهم والخلاف لهم وهم جمرة عسكره وجمهور اصحابه من فتنة صماء هي اقرب اليه من حرب
عدوه ولم يامن ان يتعدي ما بينه وبينهم الي ان يسلموه الي عدوه او يسفكوا دمه
فاجاب الي التحكيم علي مضض ورد من كان قد اخذ بخناق معوية وقارب تناوله
واشرف علي التمكن منه حتي انهم قالوا للاشتر وقد امتنع من ان يكف عن القتال وقد
احس بالظفر وايقن بالنصر اتحب انك ظفرت ههنا وامير المومنين صلوات الله عليه
بمكانه قد اسلم الي عدوه وتفرق اصحابه عنه وقال لهم امير المومنين ع عند رفعهم
المصاحف اتقوا الله وامضوا علي حقكم فان القوم ليسوا باصحاب دين ولا قران
وانا اعرف بهم منكم قد صحبتهم اطفالا ورجالا فكانوا شر اطفال وشر رجال
رجال انهم والله ما رفعوا المصاحف ليعملوا بها وانما رفعوها خديعة ودهاء ومكيدة
فاجاب ع الي التحكيم دفعا للشر القوي بالشر الضعيف وتلافيا للضرر الاعظم
بتحمل الضرر الايسر واراد ان يحكم من جهته عبد الله ابن عباس رحمه الله فابوا عليه
ولجوا كما لجوا في اصل التحكيم وقالوا لا بد من يماني مع مضري فقال عليه السلام
ضموا الاشتر وهو يماني الي عمرو فقال الاشعث ابن قيس الاشتر هو الذي طرحنا

فيما نحن فيه واختاره اموسا مقترحين له عليه السلام ملزمين له بحكمه فحكمهما شرطا ان يحكما
بكتاب الله ولا يتعدياه وانهما متى تعدياه فلا حكم لهما وهذا غاية التحرز
ونهاية التيقظ لانا نعلم انهما لو حكما بما في الكتاب لاصابا الحق وعلما ان امير المومنين
عليه السلام اولى بالامر وانه لاحظ لمعوية وذويه في شي منه ولما عدلا الى طلب
الدنيا ومكر احدهما بصاحبه ونبذا الكتاب وحكمه خرجا من التحكيم وبطل قولهما
وحكمهما وهذا بعينه موجود في كلام امير المومنين عليه السلام لما ناظر الخوارج
فاحتجوا عليه بالتحكيم وكلما ذكرناه في هذا الفصل من ذكر الاعذار في التحكيم والوجوه
المحسنة له ماخوذ من كلامه عليه السلام فقد روي ذلك عنه مفصلا مشروحا
فاما تحكيمه مع علمه بفسقهما فلا سوال فيه اذ كنا قد بينا ان الاكراه وقع على اصل
الاختيار وفرعه وانه الجي الى ان تحكيمه ولو خلي عليه السلام واختياره ما اجاب الى
التحكيم ولا رفع السيوف عن اعناق القوم لكنه اجاب اليه ملجا كما اجاب الى من
اختاره بعينه لذلك وقد صرح عليه السلام بذلك في كلامه حيث يقول لقد
امسيت اميرا واصبحت مامورا وكنت بالامس ناهيا واصبحت اليوم منهيا
وكيف يكون التحكيم منه عليه السلام دالا على الشك وهو نابذ عنه وغير راض
عنه ومصرح بانه من الخديعة وانما يدل على شك من حمله وقاده اليه
وانما يقال ان التحكيم على الشك اذ كنا لا نعرف سببه والحامل عليه او كان
لا وجه له الا ما يقتضي الشك فاما اذ كنا قد عرفنا ما اقتضاه وادخل فيه وعلمنا

انه عليه السلام ما اجاب اليه الا لدفع الضرر العظيم ولان تزول الشبهة عن قلب من ظن
به عليه السلام انه لا يرضى بالكتاب ولا يجيب الى تحكيمه فلا وجه لما ذكروه وقد اجاب صلى
الله عليه على هذه الشبهة بعينها في مواطن لما قالوا له شككت فقال عليه السلام
انا اولى بان لا اشك في ديني ام النبي صلى الله عليه واله وما قال الله لرسوله
قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين
واما قول السائل عليه السلام يعرض بخلع امامته ومكن الفاسقين من ان
يحكما عليه بالباطل فمعاذ الله ان يكون كذلك لانا قد بينا انه صلى الله عليه واله
انما حكمهما بشرط لو وفيا به وعملا عليه لاقرا امامته واوجبا طاعته لكنهما
عدلا عنه فبطل حكمهما فما مكنهما من خلع امامته ولا عرض منهما لذلك ونحن نعلم
ان من قلد حاكما او ولى اميرا ليحكم بالحق ويعمل بالواجب فعدل عما شرط عليه و
خالفه لا يسوغ القول بان من ولاه عرضه للباطل ومكنه من العدول عن الواجب
ولم يلحقه شي من اللوم بذلك بل كان اللوم عائدا على من خالف ما شرط عليه فاما
تاخير جهاد الظالمين وتاجيل ما ياتي من استيصالهم فقد بينا العذر فيه وان اصحابه
تخاذلوا وتواكلوا واختلفوا وان الحرب بلا انصار وبغير اعوان لا يمكن
والتعرض للامور بنفسه واصحابه فاما عدوله عن التسمية بامير المومنين
واقتصاره على التسمية المجردة فضرورة الحال دعت اليها وقد سبقه الى مثل
ذلك سيد الاولين والاخرين رسول الله صلى الله عليه واله في عام الحديبية وقصه

سهيل بن عمرو وانذره بانه عليه السلام سيدعى الى مثل ذلك ويجيب على مضض
فكان كما انذره وخبر صلى الله عليهما وآلهما بلا اشكال دليل على ما اقتدى فيه
بالرسول صلى الله عليه وآله وهذه جملة يتصل بها يطول وفيها لمن انصف
من نفسه بلاغ وكفاية مسألة فان قيل فاذا كان الامام عليه السلام من
امر التحكيم على ثقة ويقين فلم روي عنه انه كان يقول بعد التحكيم في مقام بعد
مقام لقد عثرت عثرة لا اجبر سوف اكيس بعدها واستمر
واجمع الرأي الشتيت المنتشر بلى اوليس هذا اذعانا بان التحكيم جرى
على خلاف الصواب الجواب قلنا الجواب قد علم كل عاقل سمع الاخبار ضرورة
ان امير المؤمنين صلوات الله عليه وخلصاء شيعته واصحابه كانوا من اشد
الناس اظهارا لوقوع التحكيم من الصواب والسداد موقعه وان الذي دعا
اليه حسن التدبير اوجبه وانه عليه السلام ما اعترف قط بخطائه ولا
اغضى من الاحتجاج على من شك فيه وضعفه كيف والخوارج انما ضلت
وعاصته وخرجت عليه لاجل انها ارادته على الاعتراف بالزلل في التحكيم
فامتنع كل امتناع وابى اشد اباء وقد كانوا يقنعون منه وبما دون نطقه
وتصريحه بدون هذا الذي اضافوه اليه عليه السلام من الاقرار بالخطا
واظهار الندم وكيف يمتنع من شيء ويعترف بالاكثر منه ويغضب من جزء
ويجيب الى كل هذا اما لا يظن عليه صلى الله عليه من يعرفه حق معرفته

وهو الخبر شاذ ضعيف فاما ان يكون باطلا موضوعا او يكون الغرض فيه غير
ما ظنه القوم من الاعتراف بالخطا في التحكيم وقد روي عنه عليه السلام
معنى هذا الخبر وتفسير مراده منه ونقل من طرق معروفة موجودة في كتب
اهل السيرة انه عليه السلام لما سئل عن مراده بهذا الكلام قال كتب الي محمد
ابن ابي بكر بان اكتب له كتابا في القضاء يعمل عليه فكتبت له الذي ذلك
وانفذته اليه فاعترضه معوية فاخذه فتاسف صلى الله عليه وآله وسلم على
ظفر عدوه بذلك واشفق ان يعمل فيه من الاحكام ويوهم ضعفه اصحابه
ان ذلك من علمه ومن عنده فتقوى الشبهة به عليهم وهذا وجه صحيح
يقتضي التاسف والتندم وليس في الخبر المتضمن للشعر ما يقتضي ان
تندمه كان على التحكيم دون غيره واذا جاءت رواية بتفسير ذلك
عنه عليه السلام كان الاخذ بها اولى مسألة فان قيل فما الوجه
فيما فعله امير المؤمنين صلوات الله عليه عند حربه للخوارج يوم النهروان
من رفعه راسه الى السماء ناظرا اليها والى الارض اخرى وقوله والله ما كذبت
ولا كذبت فلما قتلهم وفرغ من الحرب قال له الحسن صلى الله وآله عهد
اليك في هؤلاء بشي فقال لا ولكن امر رسول الله صلى الله عليه وآله بكل حق
ومن الحق ان اقاتل المارقين والناكثين والقاسطين او ليس قد حقق هذا
النظام في كتابه المعروف بالنكت وقال هذا ايهام منه لاصحابه ان رجل

بلغ

الله صلي الله عليه واله وقد تقدم اليه في امر الخوارج اذ يقول والله ما كذبت
ولا كذبت الجواب انا لا ادري كيف ذهب علي النظام كذب هذه
الروايه يعني المتضمنه لقوله عليه السلام انه لم يتقدم الي رسول الله صلي
الله واله في ذلك بشي ان كان النظام رواها ونقلها ام كيف استجاز ان
يضيفها اليه عليه السلام ان كان يخرصها وكيف ظن ان ذلك يخفي علي احد
مع ظهور الحال وتواتر الروايات عنه بالانذار بقتال اهل النهروان
وكيفيته والاشعار بقتل المخدج ذي الثديه وانما كان عليه السلام
ينظر الي السما ثم الي الارض ويقول والله ما كذبت ولا كذبت الجواب
انا لا ادري كيف ذهب علي النظام كذب هذه الروايه يعني المتضمنه
لقوله عليه السلام انه لم يتقدم الي رسول الله صلي الله عليه واله في ذلك بشي
ان كان النظام رواها او نقلها ام كيف استجاز ان يضيفها اليه عليه السلام
ان كان يخرصها وكيف ظن ان ذلك يخفي علي احد مع ظهور الحال وتواتر
الروايات عنه بالانذار بقتال اهل النهروان وكيفيته والاشعار بقتل
المخدج لانه عليه السلام عند قتل القوم امر بطلبه في جمله القتلي فلما طال
الامر في وجوده واستبعد عليه السلام وقوع شبهه من ضعفة اصحابه
فيما كان يخبر به وينذر من وجوده فقلق عليه السلام لذلك واستدعى
ذكر قوله ما كذبت ولا كذبت الي ان اباح الله تعالي وجوده والظفر به بين

القتلي

القتلي علي الهيئة التي كان عليه السلام ذكرها فلما احضره اياه كبر عليه السلام
واستبشر وزال الشبهه في صحة خبره وقد روي من طرق مختلفه وجهات
كثيره عنه عليه السلام الانذار بقتل الخوارج وقتل المخدج علي الصفة التي وجد
عليها وانه صلي الله عليه واله كان يقول لاصحابه انهم لا يعبرون النهر حتي
يصرعوا دونه وانه لا يقتل من اصحابه الا دون العشره ولا يبقي من الخوارج الا دون
العشره حتي ان رجلا من اصحابه عليه السلام قال يا امير المومنين ذهب
القوم وقطعوا اليهم فقال لا والله لا يقطعوه ولا يقطعونه حتي تقتلوا دونه
عهد من الله ورسوله صلي الله عليه واله فكيف يشفع عاقل ان كان ذلك
من غير علم ولا اطلاع من الرسول صلي الله عليهما علي وقوعه وكونه وقد
روي ان عبيدة السلماني لما سمعه عليه السلام يخبر عن النبي صلي الله عليه واله
بقتال الخوارج قبل ذلك بمدة طويلة وبقتل المخدج شك فيه لضعف بصيرته
فقال له ع انت سمعت من رسول الله ع ذلك فقال اي ورب الكعبه وقد
روي ام الخوارج وقال امير المومنين ع لهم وانذار الرسول ع
بذلك جماعه من الصحابه لولا ان في ذكر ذلك خروجا عن غرض الكتاب
لذكرناه حتي ان عايشه روت ذلك فيما رواه عامر عن مسروق قال دخلت
علي عايشه فقالت من قتل الخوارج قلت قتلهم علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه

فسكتت فقلت لها يا أماه أقسمت عليك بالله وبحق نبيه صلى الله عليه وآله وحقي إني لك ولد
إن كنت سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيهم شيئاً إلا أخبرتنيه
فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول هم شر الخلق والخليقة يقتلهم
خير الخلق والخليقة وأقربهم عند الله وسيلة وعن مسروق أيضاً عن عائشة
أنها قالت من قتل ذا الثدية فقلت علي بن أبي طالب قالت لعن
الله عمرو بن العاص فإنه كتب إلي يخبرني أنه قتله بالإسكندرية ألا إنه لا
يمنعني ما في نفسي أن أقول ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله فيه سمعته
يقول يقتلهم خير أمتي من بعدي وروى فضالة ابن أبي فضالة وكان
ممن شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله بدراً قال اشتكى أمير المؤمنين
ع بينبع شكاة ثقل منها فخرج أبي يعوده فخرجت معه فلما دخل إليه
قال له ألا تخرج إلى المدينة فإن أصابك أجلك شهدك أصحابك وصلوا
عليك فإنك ها هنا من ظهراني أعراب جهينة فقال ع إني لا أموت
من مرضي هذا لأنه فيما عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وآله أني لا أموت حتى
أؤمر وأقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين وحتى تخضب هذه من هذا
وأشار ع إلى لحيته ورأسه وذكر الكروي في هذا الباب يطول الأمر
في أخباره ع بقصة الخوارج وقتاله لهم وإنذاره بذلك ظاهر جداً
مسألة فإن قيل فما الوجه فيما روي عنه ع من قوله إذا حدثتكم

عن رسول الله ص فهو كما حدثتكم فوالله لأن أخر من السماء أحب إلي من أن أكذب
على رسول الله صلى الله عليه وآله وإذا سمعتموني أحدث فيما بيني وبينكم فإنما
الحرب خدعة وليس هذا مما عابه النظام المتكلم وقال لو لم يكذبهم عن رسول
الله صلى الله عليه وآله بالمعاريض لما اعتذر من ذلك وذكر أن هذا يجري مجرى
التدليس في الحديث الجواب قلنا إن أمير المؤمنين صلوات الله عليه وسلامه
لقوة احتياطه في الدين وتخشنه فيه وعلمه بالمخبر لما دعته الضرورة إلى
ترك التصريح أو استعمل له التعريض أراد أن يميز للسامعين بين ما يصرح ويفصح
لهم بين ما لا يدخل فيه التعريض من كلامه ما باطنه كظاهره وبين ما يجوز أن يعرض
فيه للضرورة وهذا نهاية الحكمة منه ع ولو لم يزل اللبس والشبهة ويجري
البيان والإفصاح مما توهمه النظام من دخوله في باب التدليس في الحديث
لأن المدلس يقصد إلى الإيهام ويعدل عن البيان والإفصاح طلباً لتمام
غرضه وهو ع ميز بين كلامه وفرق بين أنواعه حتى لا يدخل الشبهة فيه
على أحد والعجب من هذا كله قوله لو لم يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله
بالمعاريض لما اعتذر من ذلك لأنه ع ما اعتذر كما ظنه وإنما بين أن
يكون التعريض ما يدخل روايته عن الرسول ع كما أنه ربما دخل ما يخبر به
عن نفسه قصداً للإفصاح ونفي الشبهة وليس كل من نفى عن نفسه شيئاً
واحتج عن براءته منه فقد فعله وقوله ع لأن أخر من السماء أحب إلي إنه

ما فعل ذلك ولا يفعله وانما نفاه حتى لا يلتبس على احد خبره عن نفسه وما
يجوز فيه مما يرويه ويسنده الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فان قيل ما الوجه فيما روي عنه عليه السلام انه قال كنت اذا
حدثني احد عن رسول الله صلى الله عليه وآله بحديث استحلفته
بالله انه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله فان حلف صدقته
والا فلا وحدثني ابو بكر وصدق ابو بكر وليس هذا الخبر مما طعن به
النظام وقال لا يخلو المحدث عنده من ان يكون ثقة او ظنينا
فان كان ثقة فما معنى الاستحلاف وان كان متهما فكيف يتحقق قول
المتهم بيمينه واذا جاز ان يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله بالباطل
جاز ان يحلف على ذلك الباطل الجواب قلنا هذا خبر ضعيف
مطعون على اسناده لان عثمان ابن المغيرة رواه عن علي بن ربيعة
الوالبي عن اسماء ابن الحكم الفزاري قال سمعت عليا عليه السلام
يقول كذا وكذا واسماء ابن الحكم هذا مجهول عند اهل الرواية
لا يعرفونه ولا روي عنه شيء من الاحاديث غير هذا الخبر الواحد
وقد روي ايضا من طريق سعد بن سعيد بن ابي سعيد المقبري
عن اخيه عن جده ابي سعيد عن امير المؤمنين صلوات الله عليه
وقال الزبير عن سعد بن سعيد انه ما روى احد منه وقال

ابو عبد الرحمن

ابو عبد الرحمن الشيباني عبد الله بن سعيد بن ابي سعيد المقبري متروك
الحديث وقال يحيى ابن معين انه ضعيف ورووه من طريق ابي المغيرة المخزومي عن
عن ابن نافع عن سليمان بن يزيد عن المقبري وابو المغيرة المخزومي مجهول لا
يعرفه اكثر اهل الحديث ورووه من طريق عطا بن مسلم عن عمارة بن عبد الجزري عن
ابي هريرة عن امير المؤمنين عليه السلام قالوا والجزري لم يسمع من امير المؤمنين صلوات الله
عليه بل لم يره وعمارة هو عمارة بن جوين وهو ابن هرون العبدي وقيل انه
متروك الحديث ومما يدل على ضعف هذا الحديث واختلاله انه من المعروف الظاهر
ان امير المؤمنين عليه السلام لم يرو عن احد قط حديثا عن النبي صلى الله عليه وآله واكثر ما علم
عليه من ذلك هذا الخبر الذي نحن في الكلام عليه وقد روي انه ما حدثني احد عن الرسول
عليه وآله السلام الا استحلفته يقتضي ظاهره انه قد سمع اخبارا عنه عليه السلام من جماعة
من الصحابة والمعلوم خلاف ذلك فاما ما تعجب النظام من الاستحلاف ففي غير موضعه
لانا نعلم ان في عرض اليمين تهيبا لمن عرضت عليه وتذكيرا بالله تعالى وتخويفا
لعقابه سواء كان من عرض عليه ثقة او ظنينا لان بذل اليمين والاقدام عليها
يزيد الثقة بصيرة وربما قوي ذلك على الظنين بعد الاقدام على اليمين الفاجرة
ولهذا نجد كثيرا من الجاحدين للحقوق متى عرضت عليهم اليمين امتنعوا منها
واقروا بها بعد الجحود واللجاج ولهذا استظهر في الشريعة باليمين على المدعى عليه وفي
اللعان دون زوجته بالتغليظ باللعان ولولا ذلك لكان اراد الطعن على الشريعة
واستعمل من الشبهة ما استعمله النظام وقال اي معنى لليمين في الدعاوي

والسني لو ان كان حقيقة فلا معنى لاستحلافه وان كان ظنينا متهما وهو بان
يقدم على اليمين اولى وكذلك في الاذان روجعت لما كان له جواب الا اجابه
له الكلام وقد ذكرناه وحكي عن الزبير بن بكار في هذا الخبر تاويل قريب
وهو انه قال كان ابو بكر وعمر واذا جاءهما حديث عن رسول الله صلى
الله عليه واله وسلم فانه لم يقبلاه حتى ياتي مع الذي ذكره اخر فيقوما
مقام الشاهدين قال فاقام امير المؤمنين عم اليمين مع دعوى
المحدث مقام الشاهد مع اليمين في الحقوق كما اقاما الرواية في طلب شاهدين
عليها مقام باقي الحقوق فان قيل افليس هذا الحديث اذا سلمتموه
واخذتم في تاويله يقتضي ان امير المؤمنين عم ما كان يعلم الشيء الذي
يخبر به عن الرسول صلى الله عليه واله وانه كان يستفيده من المخبر لولا ذلك
لما كان لاستحلافه معنى وهذا يوجب انه كان غير محيط بعلم الشريعة
على ما تذهبون اليه قلنا قد بينا الجواب عن هذه الشبهة
في كتابنا الملقب بالشافي بالامامة وذكرنا انه عم وان كان عالما
بصحة ما اخبر به المخبر وانه من الشرع فقد يجوز ان يكون المخبر له
ما سمعه من الرسول عم وان كان من سمعه يكون كاذبا في ادعائه
السماع وكان يستحلفه لهذه العلة وقلنا ايضا لا يمتنع ان يكون
ذلك انما كان منه عم في حياة الرسول صلى الله عليه واله وفي تلك الاحوال

محيط

محيط بجميع الاحكام بل كان يستفيدها حالا بعد حال فان
قيل فكيف خص ابا بكر في هذا الباب بما لم يخص به غيره قلنا
يحتمل ان يكون ابا بكر حدثه بما علم انه سمعه من الرسول وحضر
تلقينه له من جهته فلم يحتج الى استحلافه من هذا الوجه مسئلة فان قيل
فما الوجه الذي فيما ذكره النظام في كتابه المعروف بالنكت من
قوله العجب مما حكم به علي بن ابي طالب عليه السلام في حرب اصحاب
الجمل لانه قتل المقاتلة ولم يغنم فقال له قوم من اصحابه ان كان
قتلهم حلالا فغنيمتهم حلال وان كان غنيمتهم حرام
فقتلهم حرام فكيف قتلت ولم تسلب فقال عليه السلام فايكم
ياخذ عايشة في سهمه فقال قوم ان عايشة تصان لرسول
الله صلى الله عليه واله فنحن لا نغنمها ونغنم من ليس سبيله
من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم سبيلها قال فلم يجبهم
الى شيء من ذلك فقال له عبد الله ابن وهب الراسبي اليس
قد جاز ان نقتل من حارب مع عايشة ولا نقتل عايشة قال
بلى قد جاز ذلك واحل الله تعالى قال له عبد الله ابن وهب فلم
لا جاز ان نغنم غير عايشة ممن حاربنا وتكون غنيمة عايشة غير
حلال لنا وغايب فعنا عن حقنا فامسك عن جوابه فكان هذا

اول شي حفظ منها الشراه على علي ابن ابي طالب عليه السلام الحوار
ملحا ليس يتبع امير المومنين عليه السلام و يعترضه في الاحكام
الامن قد اعمي الله قلبه واضله عن رشده لانه عليه السلام المعصوم
الموفق المسدد على ما دلت عليه الادلة الواضحة ثم لو لم يكن كذلك
وكان على ما يعتقده المخالفون اليس هو الذي شهد له الرسول
صلى الله عليه بانه اقضى الامة واعرفها باحكام الشريعة
وهو الذي شهد له بان الحق معه يدور كيف ما دار فينبغي
لمن جهل وجه شي فعله ان يعود على نفسه باللوم ويقرعها بالعجز والنقص
ويعلم ان ذلك موافق للصواب والسداد وان جهل وجهه
وضل عن علته وهذه جملة المتمسك بها عن كثير من التفصيل
واستعمال كثير من التاويل وامير المومنين عليه السلام لم يقاتل
اهل القبلة الا بعهد من الرسول عليه السلام وقد صرح بذلك
في كثير من كلامه الذي قد مضا حكاية بعضه ولم يسر فيهم
الا بما عهده اليه من السيرة وليس بمنكر ان يختلف احكام
المحاربين فيكون منهم من يقتل ويغنم ومنهم من يقتل
ولا يغنم لان احكام الكفار في الاصل مختلفة ومقاتلوا
امير المومنين عليه السلام عندنا كفار بقتالهم له واذا كان

في الكفار من يقر على كفره ويوخذ منه الجزية ومنهم من لا يقر على
على كفره ولا يعتقد عن محاربته الى غير ذلك مما اختلفوا فيه من
الاحكام جاز ايضا ان يكون فيهم من يغنم ومن لا يغنم لان الشرع
لا ينكر فيه هذا الضرب من الاختلاف وقد روي ان مرتدا
على عهد ابي بكر يعرف بعلاثة ارتد فلم يعرض ابو بكر لماله
وقالت امراته ان يكن علاثة ارتد فانا لم ارتد وروي مثل
ذلك في مرتد قتل في ايام عمر ابن الخطاب فلم يعرض لماله وروي
ان امير المومنين عليه السلام قتل مستورد العجلي ولم يتعرض لميراثه
فالقتل ووجوبه ليس بامارة على تناول المال واستباحته على
ان الذي رواه النظام من القصة محرف معدول عن الصواب
والذي تظاهرت به الرواية ونقله اهل السيرة في هذا الباب
من طرق مختلفة ان امير المومنين عليه السلام لما خطب بالبصرة
واجاب عن مسايل شتى سيل عنها واخبر بملاحم واشياء تكون
بالبصرة قام اليه عمار ابن ياسر رضي الله عنه فقال يا امير المومنين
ان الناس كلهم يكثرون في امر الفيء ويقولون ما قاتلنا فهو وولده
وماله فيء لنا فقام من بكر ابن وايل رجل يقال له عباد ابن
قيس فقال يا امير المومنين والله ما قسمت بالسوية ولا عدلت ا

في المرعبه فقالوا بحكم قال لانك قسمت ما في العسكر وتركت
الاموال والنسا والذرية فقال امير المومنين عليه السلام يا ايها
الناس من كانت به جراحة فليداويها بالسمن فقال عباد جينا
نطلب غنايمنا فجانا بالترهات فقال امير المومنين عليه السلام
ان كنت كاذبا فلا اماتك الله حتى يدركك غلام ثقيف فقال
رجل يا امير المومنين ومن غلام ثقيف قال عليه السلام رجل
لا يدع لله حرمة الا انتهكها قال الرجل ايموت او يقتل قال
امير المومنين عليه السلام بل يقصمه قاصم الجبارين يحترق سريره
لكثرة ما يحدث من بطنه يا اخا بكر انت امرؤ ضعيف الراي اما
علمت انا لا ناخذ الصغير بذنب الكبير وان الاموال كانت
بينهم قبل الفرقة نقسم ما حوى عسكرهم وما كان في دورهم
فهو ميراث لذريتهم فان عدا علينا احد اخذناه بذنبه وان كف
عنا لم نحمل عليه ذنب غيره يا اخا بكر والله لقد حكمت فيكم
بحكم رسول الله صلى الله عليه واله في اهل مكة قسم ما حوى العسكر
ولم يعرض لما سوى ذلك وانما اقتفيت اثره حذو النعل بالنعل
يا اخا بكر اما علمت ان دار الحرب يحل ما فيها ودار الهجرة يحرم
ما فيها الا بالحق مهلا مهلا رحمكم الله فان انتم نكرتم
ذلك

ذلك علي فايكم ياخذ عايشة في سهمه فقالوا يا امير المومنين
اصبت واخطانا وعلمت وجهلنا اصاب الله بك الرشاد
والسداد فاما قول النظام ان هذا اول ما حقدته الشراة
عليه فباطل لان الشراة ما شكوا قط فيه عليه السلام ولا
ارتابوا بشي من افعاله قبل التحكيم الذي منه دخلت الشبهة عليهم
وكيف يكون ذلك وهم الناصرون له بصفين والمجاهدون بين
يديه والسافكون دماهم تحت رايته وحرب صفين كانت بعد
الجمل بمدة طويلة فكيف يدعي ان الشك في امره كان ابتداوه في
الجمل لولا ضعف البصاير مسألة ما قيل فما الوجه فيما ذكره النظام
من ان ابن جرموز لما اتى امير المومنين عليه السلام براس الزبير وقد
قتله بوادي السباع قال له امير المومنين عليه السلام والله ما كان ابن
صفية جبانا ولا لئيما ولكن الحين ومصارع السوء فقال ابن
جرموز الجائزة يا امير المومنين فقال عليه السلام سمعت النبي صلى
الله عليه واله يقول بشر قاتل ابن صفية بالنار فخرج ابن جرموز وهو
يقول اتيت عليا براس الزبير وكنت ارجو به الزلفه فبشر بالنار
قبل العيان فبئس بشارة ذي التحفه فقلت له ان قتل الزبير لولا رضاك الكلفه
فان ترض ذاك فمنك الرضا والا فدونك لي الحلفه
ورب المحلين والمحرمين ورب الجماعة والالفه

بلغ مقابلة

لسيان عندي قتل الزبير وضرط عنز بذي الجحفه قال النظام
وقد كان يجب على علي عليه السلام ان يقيده بالزبير وكان يجب على الزبير انه
ان بان على خطا ان يلحق بعلي عليه السلام فيجاهد معه الجواب انه لا
شبهة في ان الواجب على الزبير ان يعدل الى امير المومنين عليه السلام
وينحاز اليه وينذر لنصرته ولا سيما ان كان رجوعه على طريق التوبة
والانابة ومن اظهر ما اظهره من المباينة والمحاربة اذا تاب وتبين خطاه
يجب عليه ان يظهر ضد ما كان اظهره لا سيما وامير المومنين عليه السلام
في تلك الحال مصاف لعدوه ومحتاج الى نصرة من هو دون الزبير في
الشجاعه والنجده وليس هذا موضع استقصا ما يتصل بهذا المعنى
وقد ذكرناه في الكتاب الشافي المقدم ذكره فاما امير المومنين عليه
السلام فانما عدل عن ان يقيد ابن جرموز بالزبير لاحد امرين
ان كان ابن جرموز قتله غدرا وبعد ان امنه وقتله بعد ان ولى
مدبرا وقد كان امير المومنين عليه السلام امر اصحابه ان لا يتبعوا
مدبرا ولا يجهزوا على جريح فلما قتل ابن جرموز الزبير مدبرا كان
بذلك عاصيا مخالفا لامر امامه فالسبب في انه لم يقده به ان اوليا
الدم هم اولاد الزبير لم يطالبوه بذلك ولا حاكموه وكان كبيرهم
والمنظور اليه منهم عبد الله محاربا لامير المومنين عليه السلام مجاهرا
له بالعداوه والمشاقه فقد ابطل بذلك حقه لانه لو اراد يطالب به

لرجع

لرجع عن الحرب وبايع وسلم ثم طالب بعد ذلك فانصف له منه
وان كان الامر الاخر وهو ان يكون ابن جرموز ما قتل الزبير الا
مبارزة من غير غدر ولا امان تقدم على ما ذهب اليه قوم فلم
يستحق بذلك قودا ولا مسلة ها هنا في القود فان قيل على
هذا الوجه اي معنى لبشارته بالنار قلنا المعنى فيها الخبر عن عاقبة
امره لان الثواب والعقاب انما يحصلان على عواقب الاعمال
وخواتيمها وابن جرموز هذا خرج مع اهل النهر على امير المومنين
صلوات الله عليه فقتل هناك وكان بذلك الخروج من اهل النار
لا بقتل الزبير فان قيل واي فايدة لاضافة البشارة بالنار الى
قتل الزبير وقتله طاعة وقربة وانما يجب ان يضاف البشارة
بالنار الى ما يستحق به النار قلنا عن هذا جوابان احدهما
انه عليه السلام اراد التعريف والتنبيه وانما يعرف الانسان بالمشهور
من افعاله والظاهر من اوصافه وابن جرموز كان خاملا وكان
فعله بالزبير من اشهر ما يعرف به مثله فهذا وجه في التعريف صحيح
الجواب الثاني ان قتل ~~ما يعرف به مثله فهذا وجه في التعريف~~ الزبير
اذا كان باستحقاق على وجه الصواب من اعظم الطاعات واكبر القربات
ومن جرى على يديه يظن به الفوز بالجنة فاراد صلى الله عليه واله
ان يعلم الناس ان هذه الطاعة العظيمة التي يكثر ثوابها اذا لم تصحب
بالنية غير نافعه لهذا القاتل وانه سياتي من فعله في المستقبل ما

ما يستحق به النار فلا تظنوا انه لما اتفق على يده من هذه الطاعة خيرًا
وهذا يجري مجرى ان يكون لاحدنا صاحب خصيص به خفيف في طاعته
مشهور بصحبته مشهور هذا المحبوب بعد برهة من الزمان لمن يريد
الطرافة ونفعه بحسبه الليس صاحبي فلان الذي كانت له من الحقوق كذا
وكذا وبلغ من الاختصاص بي الى منزلة كذا فقتلته وهتكت حرمته
وسلبت ماله وان كان ذلك انما استحقه بما يجدد منه في المستقبل وان
عرفنا بالحسن من اعماله على سبيل التعجب وهذا واضح مسئلة فان
قيل فما الوجه فيما عابه النظام به من الاحكام التي ادعى انه
خالف بها جميع الامة مثل بيع امهات الاولاد وقطع يد السارق من اصول
الاصابع ودفع السارق الى شهود وجلد الوليد بن عقبة اربعين سوطا
في خلافة عثمان وجهره بتسمية الرجال في القنوت وقبوله شهادة الصبيان
بعضهم على بعض والله تعالى يقول واشهدوا ذوي عدل منكم واخذه
نصف دية الرجل من اولياء المرأة واخذه نصف دية العين من المقتص
من الاعور وتخليفه رجلا يصلي العيدين بالضعفاء في المسجد الاعظم وانه
احرق رجلا اتى غلامًا في دبره واكثر ما وجب على من فعل هذا الفعل
الرجم وانه ع اتي بمال من مهور البغايا فقال ارفعوه حتى يجي عطاء
غني وباهله وقال النظام لم خص بها الطيب عنها وباهله فان
كانوا مؤمنين فمن عداهم من المؤمنين كهم وجوارتنا وله هذا المال وان
كانوا غير مؤمنين فكيف ياخذون العطاء مع المؤمنين قال وذكر الوا

وان كان

وان كان من مهور البغايا وبيع لحوم الخنازير بعد ان تملكه الكفار ثم فتحه الله
على المؤمنين فهو حلال طيب للمؤمنين الجواب مليا انا قد بينا قبل هذا الموضع
انه لا يعترض على امير المؤمنين صلوات الله عليه في احكام الشريعة ويطعن منه
في عثرة او زلة الا جاهل لا يعرف قدره من شهد له النبي صلى الله عليه واله بانه اقضى
الامة وان الحق معه يدور كيفما دار وضرب على صدره بيده وقال اللهم اهد قلبه
وثبت لسانه لما بعثه الى اليمن حتى قال امير المؤمنين ع ما شككت في قضاء بين
اثنين وقال فيه ع انا مدينة العلم وعلي بابها فمن اراد العلم فليات
من الباب لا يجوز ان يعترض احكامه ولا يظن بها الا الصحة والسداد والعجب من هذا
كله الطعن على هذه الاحكام واشباهها بانها خلاف الاجماع واي اجماع ليت
شعري استقر وامير المؤمنين ع خارج منه ولا احد من الصحابة الذين لهم في
الاحكام مذاهب وفتاوي الا وقد تفرد بشي لم يكن له عليه موافق وما عدوه
خروجا عن الاجماع ولولا التطويل لذكرنا شرح هذه الجمل ومعرفتها وظهورها
يغنيان عن تكلف ذلك ولو كان للطعن على امير المؤمنين ع بهذه الاحكام مجال
وله وجه لكان اعداؤه من بني امية والمتقربين اليهم من شيعتهم بذلك اجدر واليه
اسبق وكانوا يعيبونه عليه ويدخلونه في جملة مثالبهم ومعايبهم التي ينحلونها
له ولما تركوا ذلك حتى يستدركه النظام بعد السنين الطويلة في اخر ايامهم
عن ذلك دليل على انه لا مطعن بذلك ولا معاب وبعد فكل شي فعله امير
المؤمنين ع من الاحكام وكان له مذهبا ففعله ع له واعتقاده اياه هو الحجة

راكز البرهان على صحة القيام الادلة على انه لا يزال ملا يتغاظ وما يحتاج الي بيان وجوده
زايده على ما ذكرناه الا على سبيل الاستظهار والتقريب على الخصوم وتسهيل طرق الحجة
عليهم فاما امهات الاولاد فلم يرفعهن الا بنص الكتاب وظاهره قال الله تعالى
والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين
فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون ولا شك في ان ام الولد يطاها سيدها بملك
اليمين لانها ليست زوجة ولا هو عاد في وطيها الي ما لا يحل واذا كانت مملوكة
مسترقة وبطل ما يدعون من ان ولدها اعتقها وبين ذلك ايضا انه لا خلاف
في ان لسيدها ان يعتقها ولو كان الولد قد اعتقها لما صح ذلك لان عتق المعتق
محال فهذه الجملة توضح عن بطلان ما يدعونه من ان ولدها اعتقها ثم يقال
ليس هذا الخبر لم يقتضي ان لها جميع احكام المعتقات لانه اقتضى ذلك لما جاز
ان يعتقها ولا ان يطاها الا بعقد وانما اقتضى بعض احكام المعتقات فلا بد
من حمله فيقال لهم فانكرتم من ان يكون مخالفكم يمكنه ان يستعمله ايضا على
سبيل التخصيص كما استعملتموه فيقول انه لو اراد ان يبيعها لا يجوز الا في
دين وعند ضرورة وعند موت الولد وكانها تجري مجرى المعتقات فيما لا
يجوز بيعها فيه وان لم يجز من كل وجه دون البعض كما اجريتموها مجرى من
في وجه دون اخر فاما قطع السارق من اصول الاصابع فهو الحق الواضح الجلي لان
الله تعالى قال والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما واسم اليد يقع على جملة
هذا العضو الي المنكب ويقع ايضا عليه الي المرفق والي الزند والي الاشاجع كل

ذلك على سبيل الحقيقة ولهذا يقول اهل اللغة ادخلت يدي في الماء الي اصول
الاصابع والي الزند والي المرفق والي الكتف فيجعل كل ذلك غاية وقال الله
تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ومعلوم ان الكتابة
بالاصابع ولو يبرى احدنا قلما فيضرب السكين اصابعه لقيل قطع
يده وعقرها ونحو ذلك وقال الله تعالى في قصة يوسف عليه السلم
فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن ومعلوم انهن ما قطعن الكفهن الي الزند
على ما ذكرناه واذا ذكرناه واذا كان الامر على ما ذكرناه وان لم يجز ان
تحمل اليد على الكل ما سا ولة هذه اللفظة حتى يقطع من الكتف على مذهب
الخوارج لان هذا باطل عند جميع الفقهاء وجب ان تحمله على ادنى ما تناوله
وهو اصول الاشاجع والقطع من الاصابع اولى في الحكمة وارفق بالمقطوع
لانه اذا قطع من الزند فاته من المنافع اكثر مما يفوته اذا قطع من
الاشاجع وقد روي ان علي من اجمع سرق عيبه سفيولن فاتي به
امير المؤمنين صلوات الله عليه وسلامه فقطعه من اشاجعه فقيل
له يا امير المؤمنين لو قطعته من الرسغ قال عليه السلام فعلى اي شيء يتوكا
وباي شيء يستنجي ومع هذا فكنا لا نشك في ان امير المؤمنين عليه السلام
كان اعلم باللغة العربية من النظام وجميع الفقهاء الذين خالفوا في القطع
واقرب الي فهم ما ينطق به القران وان قوله عليه السلام حجة في العربية وقدوة

وقد سمع الآية وعرف اللغة التي نزل القرآن بها فلم يذهب الى ما ذهب
اليه الا عن خبرة ويقين فاما دفع السارق الى الشهود فلا ادري
من اي وجه كان عيبا وهل دفعه اليهم ليقطعوه الا كدفعه الى غيرهم
ممن يتولى ذلك منه وفي هذا فضل استظهار عليهم وتغييب لهم من
ان يكذبوا فيحظر عليهم تولي ذلك ومباشرته بنفوسهم ويعدل بهم الى الحزم
والاحتياط للدين فاما جلد الوليد بن عقبة اربعين سوطا فان المروي
انه صلى الله عليه وآله جلده بتسعة لها راسان وكان الحد ثمانين كاملا وهذا
ماخوذ من قوله تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث فاما الخبر
بتسمية الرجال في القنوت فقد سبقه الى ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله
وتظاهرت الرواية بانه عليه السلام كان يقنت في صلاة الصبح ويلعن قوما
من اعدائه باسمائهم فمن عاب ذلك وطعن به فقد طعن على الاسلام
وقدح في الرسول صلى الله عليه وآله فاما قبوله شهادة
الصبيان فان الاحتياط للدين يقتضيه ولم يتفرد امير المؤمنين عليه السلام بذلك
بل قد قاله بعينه او قريبا منه جماعة من الصحابة والتابعين وروي
عن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان في شهادة الصبي يشهد بعد كبره
والعبد بعد عتقه والنصراني بعد اسلامه انها جائزة وهو قول
جماعة من الفقهاء المتاخرين كالثوري وابي حنيفة واصحابه وروى

مالك بن انس

مالك بن انس عن هشام بن عروه ان عبدالله بن الزبير كان يقضي بشهادة
الصبيان فيما بينهم من الجراح وروى عن هشام بن عروه انه قال سمعت
ابي يقول يجوز شهادة الصبيان بعضهم على بعض يوخذ باول قولهم وروى
عن مالك بن انس انه قال المجتمع عليه عندنا يعني اهل المدينه ان شهادة
الصبيان تجوز فيما بينهم من الجراح ولا تجوز على غيرهم اذا كان ذلك قبل ان يتفرقوا
ويجيبوا او يعلموا فان تفرقوا فلا شهادة لهم الا ان يكونوا قد شهدوا عدولا
على شهادتهم قبل ان يتفرقوا ويوشك ان يكون الوجه في الاخذ باول
اقوالهم لان من عادة الصبي وسجيته اذا اخبر بالبديهة ان يذكر الحق الذي عاينه
ولا يتعمد لتحريفه وليس جميع الشهادات مراعى فيها العدالة وجماعة من العلماء
قد اجازوا شهادة اهل الذمة في الوصية في السفر اذا لم يوجد مسلم وتاولوا
لذلك قول الله تعالى اثنان ذوا عدل منكم او آخران من غيركم وقد اجازوا
ايضا شهادة النساء وحدهن فيما لا يجوز ان ينظر اليه الرجال وقبلوا شهادة
القابلة وانما اردنا بذكر قبول شهادة النساء ان قوله تعالى واشهدوا ذوي
عدل منكم مخصوص غير عام في جميع الشهادات الا ترى ان ذلك غير مانع من
قبول اليمين مع شهادة الواحد وبعد فليس قوله تعالى واشهدوا ذوي
عدل يقتضي غير الامر بالشهادة على هذا الوجه وليس بمانع من قبول
شهادة غير العدلين ولا له تعلق باحكام قبول الشهادات فاما اخذ
نصف الدية من اولياء المراة اذا ارادوا قتل الرجل بها فهو الصحيح الواضح

الذي لا يجوز خلافه لأن دية الرجل عشرة آلاف درهم ودية المرأة نصفها فإذا
أراد أولياء المرأة قتل الرجل فإنما يقتلون نفساً ديتها الضعف من دية مقتولهم
فلا بد أن يضمنوا ذلك من رد الفضل بين القيمتين ولهذا لو أرادوا أخذ
الدية لم يأخذوا الدية لم يأخذوا أكثر من خمسة آلاف وهكذا القول
في أخذ نصف الدية من المقتص من الأعور لأن دية عين الأعور عشرة آلاف ودية
عين الصحيح خمسة آلاف فلا بد من الرجوع بالفضل على ما ذكرناه وما ذكره
من أي وجه تطرق العيب في تخليفه عليه السلام رجلاً يصلي العيدين بالضعفاء
ورفقه بهم وتوصله إلى أن يحظوا بفضل هذه الصلاة من غير تحمل مشقة الخروج
إلى المصلى فأما ما حكاه من إحراقه عم اللوطي فالمعروف أنه صلى الله عليه وآله
ألقى على الفاعل والمفعول به لما رآهما الجدار ولو صح الإحراق لم ينكر أن
يكون ذلك الذي عرفه من رسول الله صلوات الله وسلامه عليه نقل
روى محمد بن سلمة عن القسم ابن أمية العدوي عن عمر بن أبي
حفص مولى الزبير عن شريك عن إبراهيم بن عبد الأعلى عن سويد بن
غفلة أن أبا بكر أتي برجل نكح فأمر به فضرب عنقه ثم أمر به فأحرق
ولعل أمير المؤمنين عم أحرقه بالنار بعد القتل بالسيف كما فعل أبو بكر
فليس ما روي من الإحراق بمانع أن يكون القتل متقدماً له وقد روي
قتل المتلوطين من طرق مختلفة عن الرسول عليه السلام ولذكر روي
رجمهما وروى داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس

قال

قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله اقتلوا الفاعل والمفعول به
روى عبد العزيز عن ابن جريج عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول
الله صلى الله عليه وآله قال فمن وجد يعمل عمل قوم لوط مثل ذلك وروى
أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قال الذي يعمل عمل قوم لوط ارجموا الأعلى
والأسفل ارجموهما جميعاً وسئل ابن عباس ما حد اللوطي قال أرفع بناء
في القرية فيرمى به منكساً ثم يتبع بالحجارة وروى أن عثمان أشرف
على الناس يوم الدار فقال ألم تعلموا أنه لا يحل دم امرئ مسلم إلا بأربعة
رجل قتل فيقتل ورجل زنى بعد أن أحصن ورجل ارتد بعد إسلام ورجل
عمل عمل قوم لوط فلا شبهة على ما يروى في قتل اللوطي ولا مرتاب في جواز
ذلك عليه وكيف يتكلم مخالف في حد بقيه من يتحرى فيما يخصه التحري المشهور
منقول عنه عم لما ضربه اللعين ابن ملجم احبسوا الأسير فإن عشت فأنا
ولي دمي وإن مت فضربة بضربة ولا تمثلوا بالرجل فإن رسول الله صلى
الله عليه وآله نهى عن المثلة ولو بالكلب العقور فمن نهى عن التمثيل بقاتله
مع الغيظ الذي يجده الإنسان على ظالمه وميله إلى الاستيفاء والانتقام ممن
يمثل بمن لا ترة بينه وبينه ولا حسيكة له في قلبه وهذا لا يظنه بمثله
عم إلا مأووف العقل فحسبه عم ما اكتسب من محض البغي عليه
عني وبأهله فلئن كان صحيحاً وجد وجوابه ذلك الحال في الحسب الأصيل
حسنين السبب ومثله نزه عنه ذو الأقدار من جلة المؤمنين

ووجوه المسلمين وان كان حلالاً مطلقاً فليس كل الحلال يتساوى الناس في
التصرف فيه فان من المكاسب والمهن والحرف ما يحل ويطيب ويتنزه ذو المروات
والاقدار عنها وقد فعل النبي صلى الله عليه وآله نظير ما فعله امير المؤمنين ع فانه
روي عنه عليه السلام انه نهى عن كسب الحجام فلما روجع في امر المراجع له ان يطعمه
رقيقه ويعلفه ناضحه وانما قصد عليه السلام الى الوجه الذي ذكرناه من التنزيه
وان كان ذلك المكسب حلالاً مطلقاً وهاتان قبيلتان معروفتان بالدناءة ولو
لم لا اصل يطعنون عليهما ايضاً في ديانتهما فخصهما بالمكسب اللئيم وعوض من لنفي ذلك
المال سهمه من الجملة والوصي من غيره ذلك المال وكل هذا واضح لمن تدبره

مسألة فان قيل اليس قد روي عن امير المؤمنين عليه السلام انه خطب
بنت ابي جهل ابن هشام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله حتى بلغ فاطمة فشكته الى النبي
صلى الله عليه وآله فقام على المنبر قائلاً ان علياً قد اذاني يخطب بنت ابي جهل ابن هشام ليجمع بينها وبين
فاطمة ولن يستقيم الجمع بين بنت ولي الله وبنت عدوه اما علمتم معشر الناس ان من اذى
فاطمة فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله تعالى فما الوجه في ذلك الجواب
قلنا هذا الخبر باطل موضوع غير معروف ولا ثابت عند اهل النقل وانما ذكره الكرابيسي
طاعناً به على امير المؤمنين صلوات الله عليه ومعارضاً بذكره لبعض ما يذكره شيعته من الاخبار
في اعدائه وهيهات ان يشبه الحق بالباطل ولو لم يكن في ضعفه الا رواية الكرابيسي
له واعتماده عليه وهو من العداوة لاهل البيت والمناصبة لهم والازراء على فضائلهم
وماثرهم على ما هو مشهور لكفى على ان هذا الخبر قد تضمن ما يشهد ببطلانه ويقضي على كذبه

من حيث ادعى فيه ان النبي صلى الله عليه وآله ذم هذا الفعل وخطب بانكاره على المنابر
ومعلوم ان امير المؤمنين ع لو كان فعل ذلك على ما حكي لما كان فاعلاً لمحظور في الشريعة
لان نكاح الاربع حلال على لسان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم والمباح لا ينكره الرسول
عليه وآله السلام ويصرح بذمه وبانه يؤذيه وقد رفعه الله تعالى عن هذه المنزلة
واعطاه عن كل منقصة ومذمة ولو كان عليه السلم وبين غيرها بالطباع التي
تنفر من الحسن والقبيح لما جاز ان ينكره بلسانه ثم ما جاز ان يبالغ في الانكار
ويعلن به على المنابر وفوق رؤوس الاشهاد ولو بلغ من ايلامه له كل مبلغ
فاما هو صلوات الله عليه من الحلم والكظم ووصف الله تعالى له به من جميل الاخلاق
وكريم الاداب ينافي ذلك ويحيله ويمنع اضافته وتصديقه عليه واكثر
ما يفعل مثله عليه السلم في هذا الامر اذا ثقل على قلبه ان يعاتب عليه سراً
ويتكلم في العدول عنه خفياً على وجه جميل وبقول لطيف وهذا المعروف
الذي لا قياس بينه وبين الرسول صلى الله عليه وآله وقد انكح اباجعفر
محمد بن علي عليهما السلام ابنته ونقلها معه الى مدينة الرسول صلى الله عليه وآله
لما كانت تذكر انه قد تزوج عليها وتسرى فيقول مجيباً لها ومنكراً
عليها انما انكحناه لنحظر عليه ما اباحه الله له ولما كان اولى بالاستعاض من غيره
بنته وحاله اجمل للطمع من هذا الباب والانكار له ورد الله ان الطعن
على النبي صلى الله عليه وآله بما تضمنه هذا الخبر الخبيث اعظم من الطعن على امير المؤمنين
عليه السلام وما وضع هذا الخبر الا ملحد قاصداً الى الطعن عليهما او ناصب
معاند لا يبالي ان يشفي غيظه بما يرجع على اصوله بالقدح والهدم على انه

لاخلاف بين اهل النقل ان الله تعالى هو الذي اختار امير المومنين صلوات
الله عليه لنكاح سيدة النسا عليها السلام وان النبي صلى الله عليه واله ردهما
جلة اصحابه وقد خطبوها وقال عليه السلام اني لم ازوج عليا حتى
زوجها الله تعالى اياه من سماه ونحن نعلم ان الله تعالى لا يختار لها عليها
السلام من بين الخلايق من يعترها ويوذيها ويغمها فان ذلك من ادل
الدلايل على كذب الراوي لهذا الحديث وبعد فان الشي انما يحمل على
نظايره ويلحق بامثاله وقد علم كل من سمع الاخبار انه لم يعهد من امير
المومنين عليه السلام خلاف الرسول صلى الله عليه واله ولا كان قط بكره
على اختلاف الاحوال وتقلب الازمان وطول الصحبة ولا عاتبه عليه
السلام على شي من افعاله مع ان احدا من الصحابه لم يخل من عتاب على هفوة
ونكير لاجل زلة فكيف خرق بهذا الفعل عادة وفارق على هفوة ونكير
لاجل زلة فكيف خرق بهذا الفعل عادة وفارق سجيته وسنة لولا قرض
الاعدا وبعد فان كانوا اعداوه عليه السلام من بني اميه وشيعتهم عن
هذه الفرصة للتشنيع وكيف لم يجعلوها عنوانا لما يتخرصونه من
العيوب والقروف وكيف لم يحلوا الكذب وعولوا على الحق وفي علمنا بان
احدا من الاعدا المتقدمين لم يذكر دليلا على انه باطل موضوع
ابو محمد الحسن بن علي صلوات الله عليهما مسئلة فان قيل
في خلع نفسه عن الامامة وتسليمها الى معوية مع ظهور فجوره
وبعده عن اسباب الامامة وتعريه من صفات مستحقها ثم في بيعته

واخذ عطاياه وصلاته واظهار موالاته والقول بامامته هذا مع توفر انصاره
واجتماع اصحابه ومبايعة من كان يبذل عنه دمه وماله حتى سموه مذل المومنين
وعابوه في وجهه عم الجواب مطلقا قد ثبت انه صلى الله عليه واله الامام
المعصوم المويد الموفق بالحجج الظاهرة والادلة القاهرة فلا بد من التسليم بجميع افعاله
وحملها على الصحة وان كان فيها ما لا يعرف وجهه على التفصيل او كان له ظاهر
بما تقربه النفس عنه وقد مضى تلخيص هذه الجملة وتقريرها في مواضع من كتابنا
هذا وبعد فان الذي جرى منه عم كان السبب فيه ظاهرا اولى مل عليها
وبينا جليا لا الحجة تعين له من الاصحاب وان كانوا كثيري العدد فقد كانت
قلوب اكثرهم نغلة غير صافية وقد كانوا صبوا الى دنيا معوية واموالها من
رحب في الاموال من غير مراقبة ولا مساترة فاظهر اليه عم النفور وحملوه على
المحاربة والاستعداد لها طمعا في ان يورطوه ويسلموه واحس عم بغدر منهم
قبل التولج والتلبس فتخلى من الامور وتحرز من المكيدة التي كادت تتم عليه
في سعة من الوقت وقد صرح صلى الله عليه واله بهذه الجملة وبكثير من تفصيلها في مواقف
كثيرة وبالفاظ مختلفة وقال عم انما هادنت حقنا للدما وصيانتها
واشفاقا على نفسي واهلي والمخلصين من اصحابي وكيف لا وفي اصحابه وتجهيهم
على نفسه واهله وهو عم لما كتب الى معوية يعلمه ان الناس قد بايعوه بعد ابيه
عليهما السلام ويدعوه الى طاعته فاجابه معوية بالجواب المعروف المتضمن
للمغالطة منه والموادعة وقال له فيه وكنت اعلم انك اقوم بالامر واضبط
للناس واكيد للعدو واقوى على جميع الاحوال حتى لبايعتك لانني اراك لكل

حجراً هلّا وقال في كتابه ان امري وامرك شبيه بابي بكر وامركم بعد
رسول الله صلى الله عليه وآله فدعاه ذلك الى ان خطب اصحابه بالكوفة
يحرضهم على الجهاد ويعرفهم فضله وما في الصبر عليه من الاجر وامرهم ان يخرجوا
الى معسكرهم فما اجابه احد فقال لهم عدي بن حاتم سبحان الله الا
تجيبون امامكم اين خطباء المصر فقام قيس بن سعد وفلان وفلان
فبذلوا الجهاد واحسنوا القول ونحن نعلم ان من نهض بكلامه اولى ان
نظن بافعاله اوليس احدهم حبس له في مظلم ساباط وطعنه بمعول كان
معه اصاب فخذه وشقه حتى وصل الى العظم وانتزع من يده وحمل ع الى
المداين وعليها سعد بن مسعود عم المختار وان كان امير المؤمنين
صلوات الله عليه وآله ولاه اياها فادخل منزله فاشار المختار على عمه
ان يوثقه ويسيره الى معاوية على ان يطعمه خراج جوخى سنة فابى
عليه وقال المختار قبح الله رايك انا عامل ابيه وقد ائتمنني وشرفني
وهبلني نسيت بلاء ابيه اما رسول الله صلى الله عليه وآله ولا احفظه
في ابن ابنته وحبيبه ثم ان سعد بن مسعود اتاه ع بطبيب وقام عليه
حتى برأ وحوله الى ابيض المداين فمن الذي يرجوا السلامة بالمقام
بين اظهر هؤلاء فضلا عن النصرة وقد اجاب ع حجر بن عدي الكندي
لما قال له سودت وجوه المؤمنين فقال له ع ما كل احد يحب ما
تحب ولا رايه كرايك وانما فعلت ما فعلت ابقاء عليكم وروى
عباس بن هشام عن ابيه عن ابي مخنف عن ابي الكنود عبد الرحمن

بن عبيد

بن عبيد قال لما بايع الحسن ع معاوية اقبلت الشيعة تتلاقى باظهار
الاسف والحسرة على ترك القتال فخرجوا اليه بعد سنتين من يوم بايع معاوية
فقال له سليمان بن صرد الخزاعي ما ينقضي تعجبنا من بيعتك معاوية ومعك اربعون
الف مقاتل من اهل الكوفة كلهم ياخذ العطاء وهم على ابواب منازلهم ومعهم
مثلهم من ابنائهم واتباعهم سوى شيعتك من اهل البصرة والحجاز ثم لم تاخذ
لنفسك ثقة في العقد ولا حظا من العطية فلو كنت اذ فعلت ما فعلت اشهدت على
معاوية وجوه اهل المشرق والمغرب وكتبت عليه كتابا بان الامر لك بعده
كان الامر علينا ايسر ولكنه اعطاك شيئا بينك وبينه لم يف به ثم لم يلبث
ان قال على رؤوس الاشهاد اني كنت شرطت شروطا ووعدت عدات
ارادة لاطفاء نار الحرب ومداراة لقطع الفتنة فاما اذا جمع الله لنا الكلمة
والالفة فان ذلك تحت قدمي والله ما عنى بذلك غيرك وما اراد الا ما كان
بينه وبينك وقد نقض فاذا شئت فاعد الحرب جذعة واذن لي
في تقدمك الى الكوفة فاخرج عنها عامله واظهر خلعه وتنبذ اليه على
سواء ان الله لا يحب الخائنين وتكلم الباقون بمثل كلام سليمان فقال
الحسن ع انتم شيعتنا واهل مودتنا فلو كنت بالحزم في امر الدنيا
اعمل ولسلطانها اركض وانصب ما كان معاوية باباس مني باسا ولا اشد
شكيمة ولا امضى عزيمة ولكني ارى غير ما رايتم وما اردت بما فعلت الا حقن
الدماء فارضوا بقضاء الله وسلموا لامره والزموا بيوتكم وامسكوا او

وامسكوا وقال كفوا ايديكم حتى يستريح بر او يستراح من فاجر وهذا
كلام منه عم يشفي الصدور ويذهب بكل شبهة في هذا الباب وقد روي
انه عليه السلام لما طالبه معوية بان يتكلم على الناس ويعلمهم ما عنده في هذا الباب قام
فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان اكيس الكيس التقى واحمق الحمق الفجور ايها الناس انكم لو طلبتم
بين جابلق وجابرس رجلاً جده رسول الله صلى الله عليه واله ما وجدتموه غيري
وغير اخي الحسين وان الله قد هداكم باولنا محمد صلى الله عليه واله وان معوية نازعني
حقاً هو لي فتركته لصلاح الامة وحقن دمايها وقد بايعتموني على ان تسالموا من
سالمت وقد رايت من اسالمه ورايت ان ما حقن الدما خيراً مما سفكها واردت
صلاحكم وان يكون ما صنعت حجة على من كان يتمنى هذا الامر وان ادري لعله فتنة
لكم ومتاع الى حين وكلامه عليه السلام في هذا الباب الذي يصرح في جملته بانه مغلوب مقهور
ملجا الى التسليم دافع بالمسالمة الضرر العظيم عن الدين والمسلمين اشهر من الشمس واجلى
من الصبح فاما قول السايل انه خلع نفسه من الامامة فمعاذ الله لان الامامة بعد
حصولها للامام لا تخرج عنه بقوله وعند اكثر مخالفينا ايضا في الامامة بعد ان
خلع الامام نفسه لا يوثر في خروجه من الامامة عنهم بالاحداث والكباير
ولو كان خلعه نفسه موثراً لكان انما يوثر اذا وقع اختيارا فاما مع الالجا والاكراه
فلا تاثير له لو كان موثراً في موضع من المواضع ولم يسلم ايضا الامر الى معوية
بل كف عن المحاربة والمغالبة لفقد الاعوان وعوز الانصار وتلافي الفتنة على ما ذكرناه
فتغلب عليه معوية بالقهر والسلطان مع انه كان متغلباً على اكثره ولو اظهر عليه السلم

التسليم

التسليم قولاً لما كان فيه شي اذا كان عن اكراه واضطهاد فاما البيعة فان اريد بها
الصفقة واظهار الرضا والكف عن المنازعة فقد كان ذلك لكنا قد بينا جهة
وقوعه والاسباب المحوجة اليه ولا حجة في ذلك عليه صلوات الله عليه كما
لم يكن في مثله حجة على ابيه صلوات الله عليهما لما بايع المتقدمين عليه وكف
عن نزاعهم وامسك عن خلافهم وان اريد بالبيعة الرضى وطيب النفس
فالحال شاهدة بخلاف ذلك وكلامه المشهور كله يدل على انه احرج
واخرج وان الامر له وهو احق الناس به وانما كف عن المنازعة للغلبة
والقهر والخوف على الدين والمسلمين فاما اخذ العطا فقد بينا في هذا الكتاب
عند الكلام فيما فعله امير المومنين صلوات الله عليه والرض ذلك ان اخذه
من يد الجاير الظالم المتغلب جايز وانه لا لوم فيه على الاخذ فاما
اخذ الصلات فسايغ بل واجب لان كل مال في يد الجاير الظالم المتغلب
على امر الامة يجب على الامام وعلى جميع المسلمين انتزاعه من يده كيف ما امكن
بالطوع او الاكراه ووضعه في مواضعه فاذا لم يتمكن صلوات الله عليه من انتزاع
جميع ما في يد معوية من اموال الله تعالى واخرج هو شيئاً منها اليه على سبيل
الصلة فواجب عليه ان يتناوله من يده ويأخذ منه حقه ويقسمه على مستحقه
لان التصرف في ذلك المال بحق الولاية عليه لم يكن في تلك الحال الا له صلى
الله عليه وليس لاحد ان يقول ان الصلات التي كان يقبلها من معاوية
انما كان ينفقها على نفسه وعياله ولا يخرجها الى غيره وذلك ان هذا مما لا
يمكن احد ان يدعي العلم به والقطع عليه ولا شك انه عليه السلام كان ينفق منها
لان فيها حقه وحق عياله واهله ولا بد من ان يكون قد اخرج منها الى

المستحق منهم وكيف يظهر ذلك وهو عليه السلم كان قاصداً الى اخفائه وستره
لمكان التقية والمخرج له عليه السلم الى تقول تلك الاموال على سبيل الصلة هو المخرج
له الى استخراجها او اخراج بعضها الى مستحقها من المسلمين وقد كان عليه واله
السلام يتصدق بكثير من امواله ويواسي الفقراء ويصل المحتاجين ولعل في جملة ذلك
هذه الحقوق فاما اظهار موالاته فاما اظهر عليه السلام من ذلك شيا كما لم يبطنه
وكلامه عليه السلام فيه يشهد بما رويه ومعنيه معروف ظاهر ولو فعل ذلك خوفاً
واستصلاحاً وتلافياً للشر العظيم لكان واجباً فقد فعل ابوه صلوات الله عليه واله
مثله مع المتقدمين عليه واعجب من هذا كله دعوى القول بامامة وعلوم ضرورة
لا يصلح ان يكون بعض ولاة الامام وتباعه فضلاً عن الامامة نفسها وليس يظن مثل
هذه الامور الا عامي حشوي قد قعد به التقليد وما سبق الى اعتقاده من تصويب
القوم كلهم عن التامل وسماع الاخبار المأثورة في هذا الباب فهو لا يسمع الا ما يوافقه
واذا سمع لم يصدق الا ما اعجبه والله المستعان ابو عبد الله الحسين بن علي
صلوات الله وسلامه عليهما مسئلة فان قيل ما العذر في خروجه
صلوات الله عليه واله من مكة باهله وعياله الى الكوفة بابيه واخيه صلوات الله عليهما
وانهم غادرون خوانون وكيف خالف ظنه ظن جميع نصحائه في الخروج وابن عباس
رحمة الله عليه مشير بالعدول عن الخروج ويقطع على العطب فيه وابن عمر لما ودعه عليه السلم
يقول له استودعك الله من قتيل الى غير من ذكرناه ممن تكلم في هذا الباب ثم لما
علم بقتل مسلم بن عقيل وقد انفذه رائداً له كيف لم يرجع ويعلم الغدر من القوم
ويتفطن بالحيلة والمكيدة ثم كيف استجاز ان يحارب بنفر قليل لجموع عظيمة
خلفها مواد لها كثيرة ثم لما عرض عليه ابن زياد الامان وان يبايع يزيد كيف لم يستجب

حقنا لدمه ودم من معه من اهله وشيعته ومواليه ولم القى بيده الى التهلكة
وبدون هذا الخوف سلم اخوه الحسن عليهما السلام الامر الى معاوية فكيف
يجمع بين فعليهما في الصحة الجواب قلنا قد علمنا ان الامام متى غلب على ظنه
انه يصل الى حقه والقيام بما فوض اليه بضرب من الفعل وجب عليه ذلك
وان كان فيه ضرب من المشقة تتحمل مثلها تحملها وسيدنا ابو عبد الله صلوات
الله عليه لم يسر طالباً للكوفة الا بعد توثق من القوم وعهود وعقود وبعد
ان كاتبوه عليه السلم طائعين غير مكرهين ومبتدئين غير مجيبين وقد كانت المكاتبة
من وجوه اهل الكوفة واشرافها وقرائها تقدمت اليه عليه السلام في ايام
معوية وبعد الصلح الواقع بينه وبين الحسن عليه السلام فدفعهم وقال في
الجواب ما وجب ثم كاتبوه بعد وفاة الحسن عليه السلم ومعوية باق فوعدهم
ومناهم وكانت ايام معوية صعبة لا يطمع في مثلها فلما مضى معاوية
واعادوا المكاتبة وبذلوا الطاعة وكرروا الطلب والرغبة ورأى عليه السلم
من قوتهم على من كان يليهم في الحال من قبل يزيد وتسلطهم عليه وضعفه
عنهم ما قوى في ظنه ان المسير هو الواجب تعين عليه ما فعله من الاجتهاد والتسبب
ولم يكن في حسابه عليهم السلام ان القوم يغدر بعضهم ويضعف اهل الحق عن
نصرته ويتفق ما اتفق من الامور الغريبة فان مسلم ابن عقيل لما دخل الكوفة اخذ
البيعة على اكثر اهلها فلما وردها عبيد الله ابن زياد وقد سمع بخبر مسلم ودخوله الكوفة
وحصوله في دار هاني بن عروة المرادي على ما شرح في السيرة وحصل شريك بن
الاعور بها جاءه ابن زياد عند حضوره لعيادة شريك وامكنه ذلك وتيسر له فما فعل واعتذر

وكاتبه بالمناجزة وهو الآن اذ علقت مخالبنا به يرجو النجاة ولات حين اوان
قال فلما رأى عليه السلام اقدام القوم عليه وان الدين منبوذ وراء ظهورهم وعلم انه ان دخل
تحت حكم ابن زياد تعجل الذل والعار والامر من بعده الى القتل الذي يخاف
التجأ الى المحاربة والمدافعة بنفسه واهله ومن صبر من شيعته ووهب دمه
له ووقاه بنفسه وكان بين احدى الحسنيين اما الظفر فربما ظفر
الضعيف القليل او الشهادة والميتة الكريمة فاما مخالفة ظن ابن عباس لظن جميع من اشار
عليه من النصحاء كابن عباس وغيره فالظنون انما تغلب بحسب الامارات
وقد تقوى عند واحد وتضعف عند آخر ولعل ابن عباس لم يقف على ما كتب به
عليه السلام من الكوفة وما تردد في ذلك من المكاتبات والمراسلات والعهود
والمواثيق وهذه امور تختلف احوال الناس فيها ولا يمكن الاشارة الا الى
جملها دون تفصيلها فالسبب في انه لم يعد بعد قتل مسلم ابن عقيل رحمه الله
عليه فقد بيناه وذكرنا ان الرواية وردت بانه هم بذلك فمنع منه وحيل بينه
وبينه فاما محاربة الكثير بالنفر القليل فقد بينا ان الضرورة دعت اليها
وان الدين والحزم معا ما اقتضيا في تلك الحال الا ما فعل ولم يبذل ابن زياد
لعنه الله من الامان ما يوثق بمثله وانما اراد اذلاله والغض من قدره بالنزول
تحت حكمه ثم يفضي الامر ما بعد الذل الى ما جرى من اتلاف النفس ولو اراد
به عليه السلام الخير على وجه لا يلحقه فيه تبعة من الطاعة ليزيد لكان قد
مكنه من التوجه نحوه واستظهر عليه بمن ينفذه معه لكن البراة البدرية والاحقاد

بعد فوت الامر الى شريك بان ذلك فتك وان النبي صلى الله عليه واله قال ان الايمان قيد الفتك
ولو كان فعل مسلم من قتل ابن زياد ما تمكن منه ووافقه شريك عليه لبطل الامر ودخل الحسين
صلوات الله عليه واله الكوفة غير مدافع عنها وحسر كل واحد قناعه في نصرته واجتمع
له من كان في قلبه نصرته وظاهره مع اعدائه وقد كان مسلم ابن عقيل ايضا لما حبس
ابن زياد هانيا سار اليه في جماعة من اهل الكوفة حتى حصره في قصره واخذ بكظمه
واغلق ابن زياد الابواب دونه خوفا وجبنا حتى بث الناس في كل وجه يرغبون
الناس ويرهبونهم ويخذلونهم عن نصرة ابن عقيل فتقاعدوا وتفرق اكثرهم
حتى امسى في شرذمة وانصرف وكان من امره ما كان وانما اردنا بذكر
هذه الجملة ان اسباب الظفر بالاعداء كانت لائحة متوجهة وان الاتفاق
السيء عكس الامر وقلبه حتى تم فيه ما تم وقد هم سيدنا ابو عبد الله صلوات
الله عليه لما عرف قتل مسلم ابن عقيل واشير عليه بالعود فوثب اليه بنو عقيل فقالوا
والله لا ننصرف حتى ندرك ثارنا او نذوق ما ذاق ابونا فقال عليه السلام لا خير
في العيش بعد هؤلاء ثم لحقه الحر ابن يزيد ومن معه من الرجال الذين انفذهم
ابن زياد ومنعه من الانصراف وسامه ان يقدمه على ابن زياد الا على حكمه فامتنع ولما
رأى ان لا سبيل له الى العود ولا الى دخول الكوفة سلك طريق الشام سائرا نحو يزيد
ابن معوية لعلمه عليه السلام بانه على ما به ارأف به من ابن زياد واصحابه فسار صلى الله
عليه واله حتى قدم عليه عمر بن سعد في العسكر العظيم وكان من امره ما قد ذكر وسطر فكيف
يقال انه عليه السلام القى بيده الى التهلكة وقد روي انه صلى الله عليه واله قال لعمر بن
سعد اختاروا مني اما الرجوع الى المكان الذي اقبلت منه او ان اضع يدي في يد يزيد
فهو ابن عمي ليرى في رايه واما ان تسيروا بي الى ثغر من ثغور المسلمين فاكون رجلا
من اهله لي ما لهم وعلي ما عليهم وان عمر كتب الى عبد الله بن زياد بما سال فابى عليه

النبوية ظهرت في هذه الاحوال وليس يمتنع ان يكون ع في تلك الاحوال
مجوزا ان يفي اليه قوم ممن بايعه وعاهده ثم قعد عنه ويحملهم ما
يرون من صبره واستسلامه وقلة ناصره على الرجوع الى الحق دينا او حمية
فقد فعل ذلك نفر منهم حتى قتلوا بين يديه عليه السلم شهدا او مثل هذا يطمع
فيه ويتوقع في احوال الشده فاما الجمع بين فعله وفعل اخيه الحسن صلوات
الله عليهما فواضح صحيح لان اخاه الحسن عليه السلام كف للفتنة وخوفا على
اهله وشيعته واحساسا بالغدر من اصحابه وهذا عليه السلام لما قوي
في ظنه النصرة ممن كاتبه ووثق له وراى من اسباب قوة نصار الحق
وضعف نصار الباطل ما وجب معه عليه الطلب والخروج فلما انعكس
ذلك وظهرت امارات الغدر فيه وسوء الاتفاق رام الرجوع والمكافة والتسليم
كما فعل اخوه عليه السلام فمنع من ذلك وحيل بينه وبينه فالحالان
متفقان الا ان التسليم والمكافة عند ظهور اسباب الخوف لم يقبلا
منه عليه السلام ولم يجب على الموادعة وطلبت نفسه ع فمنع منها بجهده
حتى مضى كريما الى جنة الله ورضوانه وهذا واضح لمتامله واذا كنا قد
بينا عذر امير المومنين ع في الكف عن نزاع من استولى على ما هو مردود
اليه من امر الامة وان الحزم والصواب فيما فعله فذلك بعينه عذر لكل امام
من ابنائه ع في الكف عن طلب حقوقهم من الامامة فلا وجه لتكرار ذلك
في كل واحد من الائمة عليهم السلم والوجه ان نتكلم على ما لم يمض الكلام على مثله

مسألة ابو الحسن علي بن موسى الرضا عليهما السلام

مسألة فان قيل كيف تولى عليه السلام العهد للمامون وتلك جهة لا يستحق
الامامة منها او ليس هذا ايهاما فيما يتعلق بالدين الجواب قلنا
قد مضى من الكلام في سبب دخول امير المومنين عليه السلام في الشورى ما هو اصل لهذا
الباب وجملته ان ذا الحق له ان يتوصل اليه من كل جهة وسبب لا سيما اذا كان يتعلق
بذلك الحق تكليف عليه فانه يصير واجبا عليه التوصل والتمحل والتصرف في الامامة يستحقه
الرضا عليه السلام بالنص من ابائه عليه فاذا دفع عن ذلك وجعل اليه من وجه اخر ان
يتصرف وجب عليه ان يجيب الى ذلك الوجه ليصل منه الى حقه وليس في هذا
ايهام لان الادلة الدالة على استحقاقه عليه السلام الامامة بنفسه تمنع من دخول
الشبهة بذلك وان كان فيه بعض الايهام فحسنه دفع الضرورة اليه كما حملته
واباءه عليهم السلام على اظهار مبايعة الظالمين والقول بامامتهم ولعله
عليه السلم اجاب الى ولاية العهد للتقية فيفضي الامر الى المباينة والمجاهرة
والحال لا يقتضيهما وهذا بين

القايم المهدي عليه السلام

مسألة فان قال قائل ما الوجه في غيبته واستتاره على الاستمرار والدوام
حتى ان ذلك قد صار سببا لنفي ولادته وانكار وجوده وكيف يجوز ان يكون
اماما للخلق وهو لم يظهر لاحد منهم واباءه عليهم السلام وان كانوا
غير امرين فيما يتعلق بالامامة ولا ناهين فقد كانوا ظاهرين بارزين يفتون
في الاحكام ويرشدون عند المعضلات لا يمكن احد نفي وجودهم وان نفى امامتهم
الجواب قلنا اما الاستتار والغيبة فسببهما اخافة الظالمين له عليه
السلام على نفسه ومن اخيف على نفسه فقد احوج الى الاستتار ولم تكن الغيبة
من ابتدائها على ما هي عليه الان فانه عليه السلم في ابتداء الامر كان ظاهرا لاوليائه

غائبا عن اعدائه ولما اشتد الامر وقوي الخوف وزاد الطلب استتر على الولي

على الولي والعدو فليس ما ذكره السائل من انه لم يظهر لاحد من الخلق صحيحا

فاما كون ذلك الاجل الشبهه سببا لنفي ولادته فلم يكن سببا الا من ذلك الا بالشبهه

وضعف البصره والتقصير عن النظر الصحيح وما كان التقصير واعتبار الشبهه

الاعتقادات وعلي الحق فيه دليل واضح بادٍ لمن اراده ظاهر لمن طلبه فوجوده ليس

يجب المنع في دار التكليف والمحنه من لا ترى ان تكليف الله تعالى من علم انه يكفر قد

صار سببا لاعتقادات كثيره باطله فالملحدون جعلوه طريقا الى نفي الصانع

والمجبره جعلته طريقا الى ان القبيح منا لا يقبح من فعله تعالى واخرون جعلوه

طريقا الى الشك والحيره والدفع عن القطع على حكمة القديم تعالى وكذلك فعل

الالام بالاطفال والبهايم قد شكك كثيرا من الناس منهم الثنويه

واصحاب التناسخ والبكريه والمجبره ولم يكن دخول الشبهه بما ذكرناه الاول

على من قصر في النظر وانقاد للشبهه مع وضوح الحق له لو اراده موجبا على

الله تعالى دفعها حتى لا يكلف الا المؤمنين حاليا لم الا البالغين ولهذا الباب

نظاير كثيره ذكرها يطول والاشاره اليها كافيه فاما الفرق بينه وبين ابائه عليهم

جماعتهم السلم فواضح لان خوف من يشار اليه بان القائم المهدي الذي يظهر

بالسيف ويقهر الاعدا ويزيل الدول والممالك لا يكون كخوف غيره ممن يجوز له

مع الظهور التقيه وملازمة منزله وليس من تكليفه ولا ممن سبق انه يجري

على يده الجهاد واستيصال الظالمين فان قيل اذا كان

الخوف قد اقتضى المصلحه في استتاره وتباعده فقد تغيرت الحال اذا في

المصلحه بالامام واختلف وصار ما توجبونه من كون المصلحه مستمره بوجوده

وامره ونهيه مختلفا على ما ترون وهذا خلاف مذهبكم الجواب قلنا

المصلحة التي توجب استمرارها على الدوام بوجوده وامره ونهيه انما هي

للمطيعين وهذه المصلحة ما تغيره ولا تتغير وانما قلنا ان الخوف من

الظالمين اقتضى ان يكون من مصلحته هو في نفسه عليه السلام الاستتار والتباعد

وما يرجع الى مصلحة المكلفين به لم يختلف ومصلحتنا ان كانت لا تتم الا بظهوره

وبدونه وقد قلنا ان مصلحته الان في نفسه في خلاف الظهور

فذلك غير متناقض لان من اخاف الامام واحوجه الى الغيبة والحيان

يكون الاستتار من مصلحته قادر على ان يزيل خوفه فيظهر ويبرز ويصل

كل مكلف الى مصلحته والتمكن مما يسهل سبيل المصلحه تمكن من المصلحه فمن

هذا الوجه لم يزل التكليف الذي للامام لطف فيه عن المكلفين بالغيبة

منه والاستتار على ان هذا يلزم في النبي صلى الله عليه واله لما استتر في

الغار عن قومه بحيث لا يعرفونه لانا نعلم ان المصلحة بظهوره وبيانه

كانت ثابته غير متغيره ومع هذه الحال فان المصلحة لم لي الاستتار والغيبة

عند الخوف ولا جواب عن ذلك وبيانه انه لا تنافي فيه ولا تناقض

الا بمثل ما اعتمدناه بغيبة فان قيل اذا كان الامام غائبا

بحيث لا يصل اليه احد من الخلق ولا ينتفع به فما الفرق بين وجوده

وعدمه فاذا جاز ان يكون اخافة الظالمين سببا لغيبته بحيث لا يصل

الى مصلحتنا به حتى اذا ازالت الاخافة ظهر فلم لا جاز ان يكون اخافتهم

~~الظالمين~~ له سببا لان يعدمه الله تعالى فاذا انقادوا واذعنوا

اوجبوه لهم الجواب قلنا اولا ما نقوله انا غير قاطعين ان الامام لا يصل اليه
احد ولا يلقاه بشر فهذا غير معلوم ولا سبيل الى القطع عليه ثم الفرق بين
وجوده غايبا عن اعدايه للتقية وهو في خلال ذلك منتظر ان يمكن
فيظهر ويتصرف وبين عدمه ولا واضح لاخفايه وهو بين كون الحجة
فيما فات من مصالح العباد اللازمة لمدع وبين ان يكون لازمة للبشر
لانه اذا اخيف فتغيب شخصه عنهم كان ما يفوتهم من مصلحة عقيب
فعل سببوه والجاروه اليه فكانت العهدة فيه عليهم والوزر لازما لهم
واذا اعدمه الله تعالى اختيارا كان ما يفوت بالاعدام من المصالح لازما له
ومنسوبا اليه **مسئلة فان قيل** فالحدود التي تجب على الجناة في حال
الغيبة كيف حكمها وهل تسقط عن اهلها وهذا ان قلتموه صرحتم بنسخ الشرع
بغير الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وان اثبتموه فمن الذي يقيمها والامام
غايب مستتر **الجواب** قلنا اما الحدود المستحقة بالاعمال القبيحة فواجب
في جنوب من يفعل القبايح وان تعذر على الامام اقامتها في حال الغيبة
والاثم فيما تعذر من ذلك على مسبب الغيبة واوجبها بفعله وليس هذا
نسخا للشريعة لان المقرر بالشرع وجوب اقامة الحدود مع التمكن
وارتفاع الموانع وسقوط فرض اقامته مع الموانع وارتفاع التمكن
لا يكون نسخا للشرع المقرر لان الشرط في الواجب لم يحصل وانما يكون
وانما يكون ذلك نسخا لو سقط فرض اقامة الحدود عن الامام مع تمكنه
على ان هذا يلزم مخالفنا في الامامة اذا قيل لهم كيف الحكم في الحدود التي تستحق

في الامامة اذا قيل لهم كيف الحكم في الحدود التي تستحق في الاحوال التي لا يتمكن
فيها اهل الحل والعقد من نصب الامام واختياره وهل تبطل الحدود او تستحق
مع تعذر اقامتها وهل تقتضي هذا التعذر نسخ الشريعة فاي شيء اعتصموا
به من ذلك فهو جوابنا بعينه **مسئلة فان قيل** فالحق في غيبة
الامام يدرك وهذا يقتضي ان يكون الناس في حيرة مع الغيبة فان قلتم
انه يدرك من جهة الادلة المنصوبة عليه قبل الحكم فهذا يقتضي الاستغناء عن
الامام بهذه الادلة **الجواب قلنا** اما العلة المحوجة الى الامام في كل عصر وعلى
كل حال فهي كونه لطفا فيما وجب علينا فعله من العقليات من الانصاف والعدل
واجتناب الظلم والبغي لان ما عدا هذه العلة من الامور المستندة الى السمع
والعبادة جايز ارتفاعها لجواز خلو المكلفين من العبادات الشرعية كلها
وما يجوز على حال ارتفاعه لا يجوز ان يكون علة في امر مستمر لا يجوز
زواله وقد استقصينا في هذا المعنى في كتابنا الشافي في الامامة وا
واوضحناه ثم يقول من بعد ذلك ان الحق في زماننا هذا على ضربين
عقلي وسمعي فالعقلي يدركه العقل ولا يؤثر فيه وجود الامام ولا فقده
والسمعي انما يدرك بالنقل الذي في مثله الحجة ولا حق يجب علينا العلم
به من الشرع الا وعليه دليل شرعي وقد ورد النقل به عن النبي او
الايمة عليهم السلام من ولده صلى الله عليه وعليهم ونحن نصيب الحق بالرجوع
الى هذه الادلة والنظر فيها والحاجة مع ذلك كله الى الامام فيها ثابتة لان الناقلين

ادينتهي بمن ليس قوله حجة ولا دليل فتحتاج حينئذ المكلفون الي دليل هو قول
الامام عليه السلم وبيانه وانما يثق المكلفون بما نقل اليهم وان جميع الشرع لعلمهم
بان وراء هذا النقل اماما متي اختل استدركه وبين عما شذ منه فالحاجة الي
الامام ثابتة مع ادراك الحق في احوال الغيبة من الادلة الشرعية علي ما بيناه
مسلة فان قيل اذا كانت العلة في استتار الامام خوفه من
الظالمين واتقاه من المعاندين فهذه العلة زايلة في اوليايه وشيعته
فيجب ان يكون ظاهرا لهم ويجب ان يكون التكليف الذي اماميتهم لطف
فيه ساقطا عنهم لانه لا يجوز ان يكلفوا ما فيه لطف لهم ثم يحرموه لجناية
غيرهم **الجواب قلنا** قد اجاب اصحابنا عن هذا بان العلة في
استتاره من الاعدا هي الخوف منهم والتقية وعلة استتاره عن
الاوليا لا يمتنع ليلا يشيعوا خبره ويتحدثوا عنه بما يودي الي خوفه
وان كانوا غير قاصدين بذلك وقد ذكرنا في كتاب الامامة جوابا
اخر وهو ان الامام عليه السلم عند ظهوره من الغيبة انما يعرف شخصه
ويميز عينه من جهة المعجز الذي يظهر علي يديه لان النص المتقدم من ابايه عليه
السلم عليه لا يميز شخصه من غيره كما ميز النص اشخاص ابايه عليه السلم لما وقع
علي اعيانهم والمعجز انما يعلم انه دلالة وحجة بضرب من الاستدلال
والشبه معترضة لذلك وداخلة فيه فلا يمتنع علي هذا ان يكون كل من لم
يظهر له من اوليايه فلان المعلوم من حاله انه متي ظهر له قصر في النظر في معجزه

ولحق هذا التقصير عند دخول الشبهة بمن يخاف منه من الاعدا وقلنا
ايضا غير ممتنع ان يكون الامام يظهر لبعض اوليايه ممن لا يخشي من جهته
شيا من اسباب الخوف فان هذا مما لا يمكن القطع علي ارتفاعه وامتناعه
وانما يعلم كل واحد من شيعته حال نفسه ولا سبيل له الي العلم بحال غيره
ولولا ان الاستقصا للكلام من مسايل الغيبة يطول ويخرج عن الغرض
بهذا الكتاب لاستوفيناه هاهنا وقد اوردنا منه الكثير في كتابنا في الا
مامة ولعلنا ان نستقصي الكلام فيه ونأتي علي ما لعله لم نورده في كتاب
الامامة في موضع نفرده له ان شا الله تعالي في المدة ونتفضل بالتاييد و
المعونة فهو المسول ذلك والمامول لكل فضل وخير قريبا من ثوابه وبا
عدايه من عقابه تم الكتاب

والحمد لله رب العالمين وصلوته
علي خير خلقه محمد واله الطيبين الطاهرين
تحريرا في اليوم الثاني عشر من شهر جمادي الاخر
من شهور سنة ... من الهجرة النبوية
وكان ذلك علي يد العبد الضعيف ...
ابن ...
حامدا ومصليا
ومسلما

بسم الله الرحمن الرحيم

للارباب الهام الحق والصواب انه نفتح الابواب وها انا افيض في المقصود
مستفيضا من ولي الطول والجود فاقول افعال العباد دايرة
بحسب الاحتمال العقلي من امور الاول ان يكون حصولها بقدرة الله
وارادته من غير مدخل لقدرة العبد وارادته فيها الثاني ان يكون
حصولها بقدرة العبد وارادته من غير مدخل لقدرة الله وارادته فيه
اي بلا واسطة اذ لا يتكلم عاقل ان الاقتدار والتمكين مستند الى الله تعالى
اما ابتداء او بواسطة الثالث ان يكون حصولها بمجموع القدرتين
وذلك اما بان يكون المؤثر قدرة الله تعالى بواسطة قدرة العبد
او بالعكس او يكون المؤثر مجموعهما من غير تخصيص احدهما بالمؤثرية
والاخرى بالالية وقد ذهب الى كل من الاحتمالات ما خلا الاحتمال
الثاني من محتملات الشق الثالث طائفة اما الاول فقد ذهب اليه
الاشعري ومن وافقه واما الثاني فقد ذهب اليه المعتزلة القائلون
بان العبد خالق لافعاله الاختيارية بقدرته وارادته وان كان
الاقتدار والتمكين منه تعالى والله تعالى عالم في الازل بافعال العبد وعلمه
تعالى لا يخرجه عن كونه فعله اختياريا للعبد كما ان من اعطى عبده سيفا
وهو يعلم ما يصنع العبد به والعبد صرفه في قتل نفس مثلا لا يخرج فعل
العبد هذا بعلم سيده به عن ان يكون اختياريا للعبد والثالث

مذهب الاستاذ ابي اسحق الاسفرايني ومن تبعه وحجج الفريقين ومناقضاتهم
مذكورة في الكتب الكلامية فلا نشتغل بها والذي نقول هيهنا ان
الاشعري لما تقرر عنده ان لا مؤثر في الوجود الا الله تعالى وان ما عداه
اسباب عادية والممكنات مستندة اليه تعالى من غير واسطة لزم
على اصوله ان يكون خالق تلك الافعال هو الله تعالى غاية الامر
ان يكون قدرة العبد وارادته سببا عاديا لها على القول بحو ساير
الاسباب العادية ولا يلزم عليه الشناعة التي يوردها المعتزلة
عليه من انه يلزم عليه ~~في انه يلزم عليه~~ ان لا يكون بين حركة المرتعش
وحركة المختار فرق وربما يدعون البداهة في بطلان مذهبه حتى نقل
عن ابي الهذيل العلاف انه قال حمار بشر اعقل من بشر فان حماره
يفرق بين ما يقدر عليه وبين ما لا يقدر عليه من حيث انه اذا وصل
الى نهر صغير يقدر على العبور عنه يطفره وان وصل الى ما لا يقدر
على العبور عنه لا يخوض فيه وان اوجع بالضرب وهذا دليل
على انه يفرق بين المقدور وغير المقدور وانت تعلم ان هذه
الشناعة انما يلزم على من لا يثبت للعبد قدرة وارادة اصلا
كما ينقل عن الحشوية وما اظن ان عاقلا يقول به في المعنى وان
تفوه بحسب اللفظ واما الذي يثبت القدرة والارادة للعبد
ويدعي عدم تأثيرهما في الافعال كالاشعري فلا يرد عليه ذلك

اذ القدر

اذ القدر الضروري ثبوت القدرة والارادة للعبد واما انهما مؤثران
في الفعل فليس بضروري اصلا لجواز ان يكونا من الاسباب العادية
كما يقوله الاشعري ودعوى ان ذلك مكابرة مكابرة وذلك مما يعلمه
العقلاء فضلا عن حمار بشر وهيهنا يعرف الفرق بين الجبر المحض وبين
ما ذهب اليه الاشعري فان الاول نفي القدرة والارادة عن العبد
والثاني نفي تأثير قدرة العبد وارادته لا يقال التأثير معتبر في
القدرة فانهم عرفوها بصفة تؤثر وفق الارادة لانا نقول الاشعري
يقسم القدرة الى المؤثرة والكاسبة وما ذكرتم تعريف القسم الاول
لا مطلق القدرة ومن ههنا تبين ان معنى الكسب الذي يثبته الاشعري
هو تعلق قدرة العبد وارادته الذي هو سبب عادي لخلق
الله تعالى الفعل في العبد ثم نقول اذا فتشنا عن حال الفعل الاختياري
وجدناه مستندا الى انبعاث القوة المحركة ووجدنا ذلك مستندا
الى تعلق الارادة الجازمة ووجدنا الارادة منبعثة عن الشوق
بل هي تأكد الشوق ووجدنا الشوق منبعثا عن تصور الشيء
الملائم واعتقاد الملائمة من غير معارض فهذه امور لا يتخلف
تحقق الفعل عن تحققها وجميعها بقدرة الله تعالى وارادته لا
باختيار العبد وارادته فان تصور الامر الملائم واعتقاد الملائمة

عين تعدد ور وانبعاث الشوق والارادة بعدها لازم بالضرورة وانبعاث
القوة المحركة بعده ضروري وتلك الضرورة اما عقلية كما هو مذهب الحكماء
او عادية كما هو مذهب الاشعري فالافعال الاختيارية للعبد مستندة
الي امور ليس شي منها بقدرته واختياره ولكن هذا لا يخرج الفعل عن
ان يكون اختياريا فان صفة القدرة الارادة والعلم ليستا في
شي من المراد باختيار الموصوف الا تري ان الله تعالى فاعل مختار
بالاتفاق مع ان علمه وقدرته وارادته ليست مستندا الي
اختياره اذ لو كانت مستندة اليه لتوقفت علي العلم والقدرة
والارادة ~~والعلم ليستا في شي من المراد باختيار الموصوف الا ترى~~
~~ان الله تعالى فاعل مختار بالاتفاق مع ان علمه وقدرته وارادته~~
ليست فيلزم اما الدور او التسلسل والمعتزلة مع انهم قائلون
بان المؤثر في الافعال الاختيارية للعبد قدرته وارادته
لا ينكرون ان قدرة العبد وارادته منه تعالى فلا يبقى النزاع
بين الاشعري والمعتزلة الا في ان قدرة العبد مؤثرة عند
المعتزلة وغير مؤثرة عند الاشعري وانت خبير بان هذا
الفرق لا ينفع في دفع الشبهة التي يتبادر الي الاوهام العامية في
ترتيب الثواب والعقاب علي افعال العباد فانه لو قال

المعتزلي

المعتزلي ان ترتيب الثواب والعقاب عليها لكون قدرة العبد وارادته
مؤثرة فيها فللسائل ان يعود ويقول فهل القدرة والارادة بقدرته
ولا ومعلوم ان المعتزلي لا ينكر كون القدرة والارادة وتعلقهما من
الله سبحانه كما علم من التفصيل السابق وصدور الفعل بعد تعلق القدرة
والارادة ضروري ونسبة القدرة والارادة المتعلقين بالفعل الي العبد
نسبة المقبول الي القابل لا نسبة المفعول الي الفاعل فالشبهة متجهة عن
عليهما اذ مثل العبد مثل من اضطر الي شي ثم عوقب به فان الله تعالى اعطى
في ذهنه صورة الامر الملايم واعتقاد النفع فيه ثم صار ذلك سببا لحدوث
الشوق الكامل الي ذلك الامر ثم صار ذلك سببا لتعلق الارادة الجازمة
ثم صار ذلك سببا لانبعاث القوة المحركة الي الفعل وتلك الاسباب
سابقة الي مسبباتها بالضرورة العقلية عندهم فالشبهة لا يندفع بهذا
القدر الذي تدعيه المعتزلة اعني تاثير قدرة العبد وارادته علي ما
نظهر بادني تامل صادق من ذي فطرة سليمة بل الوجه في دفع الشبهة
ان الممكنات لما لم يكن في انفسها موجودة وانما وجودها مستفاد من الواجب
فليس لها عليه تعالى حق حتى ينسب الي الله تعالى في تخصيص بعضها بالثواب
وبعضها بالعقاب ظلم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وليس حاله كحال
من يملك عبدين ثم يعذب احدهما من غير جريمة وينعم الاخر من غير
سابقة استحقاق فان العبد ليس مخلوقا للمالك بل هو ومالكه

شيان في انفسها مخلوقان له تعالي مستفيدان للوجود منه فهو كان
في الحقيقة له نعم فله حق المالك في العبد الا ما عينه الله ونبه عليه
هذا ابو جه جيد ان الانسان اذا تخيل صورا مليحة وصورا قبيحة لا يتوجه
الاعتراض عليه بانك لو خصصت هذه الصورة بالعذاب وتلك بالنعيم
ولعلم ان خلق الكافر ليس بقبيح وان كان الكفر قبيحا كما ان تصوير
الصور القبيحة ليس قبيحا وان كانت الصورة قبيحة بل ربما دل
تصوير الصور القبيحة علي كمال حذاقة الصانع ومهارته في صنعته
والحق الذي يلوح انواره من كون التحقيق ان فيض الوجود من منبع
الجود فايض علي الماهيات الممكنة بحسب استعدادها وتقبلها وكما ان
الفعل في النشاتين ممكن فكذلك التعذيب فيهما والتنعيم في احدهما
دون الاخر ممكن واعطاؤه تعالي غير مقطوع ولا ممنوع فان يد الله
تعالي سحاء ملاي بالخير والكمال وخزانة كرمه مملوة من نفايس
جواهر الجود والافضال فلا بد ان يوجد جميع الاقسام واصل
هذا ان الصفات الالهية باسرها يقتضي ظهورها في مظاهر الاكوان
وبروزها في مجالي الاعيان فكما ان الاسماء الجمالية يقتضي البروز
وتابي الاستار فكذلك الاسماء الجلالية يستدعي الظهور والاظهار
وكما ان اسم الهادي يتجلي في مجالي نشات المومنين والابرار كذلك
اسم المذل يظهر في مظاهر الكفار والمشركين والسوال لم صار

هنا

هذا مظهرا لذلك الاسم وذلك الاسم اخر مختص بمحل عند التحقيق فانه لو كان
هذا مظهرا للاسم الاخر لكان ذلك ثم تتوجه اعادة السوال مسلسل فانه
دقيق واعتبر ذلك في جميع الاسماء والصفات ينكشف عليك لمعة من
لمعات انوار الحقيقة وتهتدي الي شئ من نفحات الاسرار الدقيقة

ثم اعلم ان للتوحيد بحسب القسمة الاولي ثلث مراتب
ادناها مرتبة توحيد الله تعالي وهو ان تحقق بعلم اليقين او بعين
اليقين او بحق اليقين انه لا موثر في الوجود الا الله تعالي وقد انكشف
ذلك علي الاشعري اما من وراء حجاب القوة النظرية الفكرية او ببينة
من مشكوة النبوة فانه قليلا ما يفارق ظواهر الكتاب والسنة والحكم
ايضا ما يلوح بان الله تعالي هو الفاعل الحقيقي لجميع الممكنات وان
ما عداه بمنزلة الشرايط والالات وهذا وان كان خلاف ما اشتهر بين
المتاخرين المتعلقين لاقاويلهم لكنه مما صرح به المحققون منهم حتي الشيخ
ورئيسهم ابا علي الحسين بن عبد الله بن سينا في كتابه بالشفاء وتلميذه
الفاضل عمر ابن الخيام رسالة في تحقيق ذلك اشبع فيها القول
وبينه بمقدمات دقيقة لولا ما فيه من الشواغل العايقة وكوني علي
جناح السفر مستوفزا للخصت بعضها وذكره ايضا تلميذه المبرز
بهمنيار في كتاب التحصيل مشيرا الي مقدمات دليله واعود الي اصل

المشهور

الاستغفار الاتحاد في الشرع

وللمحقق الطوسي ايضا رسالة في ذلك

الكلام واقول ان هذه المرتبة من التوحيد وهو توحيد الافعال
اول فتوحات السالكين الى الله تعالى ومن نتايج هذه المرتبة
التوكل وهو ان تكل اموره كلها الى الفاعل الحقيقي ويثق بعنايته
وجوده وثانيتها مرتبة توحيد الصفات وهو ان يرى كل قدرة
مستغرقة في قدرته الشاملة وكل علم مضمحلا في علمه الكامل بل يرى
كل كمال لمعة من عكوس انوار كماله كما ان الشمس اذا تجلت وانتشر
اضواوها على الاعيان فالذي لم يتحقق حقيقة الحال ربما يعتقد
ان الاعيان مشاركة للشمس في النور لكن المستبصر يرى ان تلك
الانوار باسرها نور الشمس ظهرت عليها بحسب قابلياتها و[illegible]
اياها وهذه المرتبة اعلى من المرتبة الاولى ومستلزمة لها وثالثتها مرتبة
توحيد الذوات والذات وهناك تنمحي الاشارة وتنطمس العبارة
ولا احد من الوقت المساعد للخوض فيه فانه بحر عميق ويكفي في
تحقيق هذه المرتبة الكلمات الخمس المأثورة عن امير المؤمنين ويعسوب
الموحدين علي النبي وعليه الصلوة والسلم والتحية والاكرام في جواب
كميل ابن زياد صاحب سره وقابل جوده وبره فلينظر فيه بنظر
دقيق وليتفكر فيه بفكر عميق يتجلى عليه انوار التحقيق والله ولي التوفيق

وصلى الله على محمد واله اجمعين وسلم تسليما
وكان ذلك في حادي عشر شهر رمضان من شهور
سنة تسع وتسعين وتسعماية على يد
العبد علي ابن هرون
الكاتب